

ورادة الثقافة

المخارص التراث العربي

(٧٢)

مِن

تأليف
الدكتور
سعد منصور

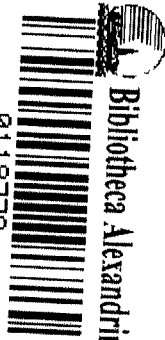
للمؤثر الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الأبي

الترقى سنة ٤٤١ هـ

التفسير الثاني

اختار قصص وقدم لها وعلق عليها

منظر راجحي



0119778

Bibliotheca Alexandrina

السيدان رضي الله عنهما : زهير الكمو

من نشر الدر - السفر الثاني

الهيئة العامة لحفظ التراث الثقافي	رقم التوثيق
رقم التوثيق	رقم التوثيق
رقم التوثيق	رقم التوثيق

وِزَارَةُ الثَّقَافَةِ
الْمُخْتَارِ مِنَ الثَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ
٧٢

مِنْ

تَبَاتُ الدَّيْمِ

لِلْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي سَعْدٍ مَنْصُورِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي

المتوفى سنة ٤٢١ هـ



السُّفْرَةُ الثَّانِيَّةُ

اختيار النصوص وقدم لها وعلق عليها

منظر دراجي

Generalization of the Alexandria Library
بمبادرة سورية



منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية

دمشق ١٩٩٧

من نشر الدر / أبو سعد منصور بن الحسين الأبي، اختار النصوص وقدم لها وعلق
عليها مظهر الحجبي. - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧. - ٤ ج؛ ٢٠ سم. -
(المختار من التراث العربي؛ ٧١-٧٤).

١- ٨١٨،٠٢ س ع د م ٢- العننوان ٣- أبو سعد الأبي
٤- المحي ٥- السلسلة

مكتبة الأسد

الايداع القانوني: ع - ٤٤١ / ٣ / ١٩٩٧

الباب الأول

كلام معاوية بن أبي سفيان وولده

قال الهيثم (١) : خرج معاويةُ يريدُ مكةَ ،
حتى إذا كان بالأبواء (٢) اطلعَ في بئرٍ عاديةٍ (٣) ؛
فأصابتهُ القموةُ (٤) . فأتى مكةَ ، فلما قضى نسسه ،
وصار إلى منزله ، دعا بثوبٍ ، فلفه على رأسه ، وعلى
جانِب وجهه الذي أصابه فيه ما أصابه ، ثم أذن للناسِ
فدخلوا عليه ، وعنده مروانُ ، فقال :

إنَّ أكنُ قد ابتليتُ فقد ابتلي الصالحون قبلي ،

(١) هو الهيثم بن عدي أبو عبد الرحمن الطائي الأخباري المؤرخ ،
توفي سنة ٢٠٧ هـ .

(٢) الأبواء . فرجة بينها وبين المدينة ثلاثة وعشرون ميلا ، بها
قبر والدة الرسول عليه السلام .

(٣) بئر عادية : قديمة نسة إلى عاد

(٤) القموة . داء يصيب الوجه فيعوج الفم أو جانب منه .

وأرجو أن أكونَ منهم وإنْ عُوِّقْتُ فتمدَّ عُوْقِبَ الظالمونَ
قبلي، وما آمنَ أنْ أكونَ منهم ، وقد ابْتَسَلْتُ في أحسنِّي (١)
وما يَسْبِدُ ومني ، وما أحصي صحيجي . وما كان لي
على ربِّي إلا ما أعطاني . واللهِ إنْ كان عَتَبَ بعضُ
خاصَّتِكُم لقد كنتُ حادياً على عامَّتِكُم ؛ فرحمَ اللهُ
امرءاً دعا لي بالعافية .

دخل المسوّر على معاويةَ ، فقال له : كيف تركتَ
قريشاً ؟ قال : أفنتَ سيدها يا أميرَ المؤمنين ، أعلاها
كعبياً ، وأسودها (٢) أباً ، وأرفعها ذكراً وأجلها
قدراً . قال : كيف تركتَ سعيداً (٣) ؟ قال : عليلاً .
قال : لليدينِ وليلئلم (٤) :

(١) المعنى : في أحسن عضو . والظاهر لكل إنسان وهو وجهه .

(٢) أسودها . من السيادة .

(٣) يريد سعيد بن العاص كما سنيين من الكلام بعد

(٤) هذا من أقوال العرب في الدعاء على الإنسان : أي : أسقطه الله

لليدين وللمم

بِهِ لَا بِيْطَبِيِّ بِالصَّرِيْمَةِ (١) أَعْفَرَ (٢)

قال : وعمرو بن سعيدٍ صبيٌّ يسمعُ قوله من ورأيه .
فقال : إِذَا وَاللَّهِ لَا يَسُدُّ جُفْرَتَكَ (٣) ، وَلَا بَزِيدٌ فِي
رِزْقِكَ ، وَلَا يَدْفَعُ حَتْفًا عَنْكَ ، بَلْ يَنْتُ فِي عَضْدِكَ ،
وَيَهِيضُ ظَهْرَكَ ، وَيَنْشُرُ أَمْرَكَ ، فَتَدْعُو فَلَا تُجَابُ ،
وَتَتَوَعَّدُ فَلَا تُهَابُ .

فقال معاوية : أَبَا أُمِيَّةَ ؛ أَرَأَيْكَ هَا هُنَا . إِنَّ أَبَاكَ
جَارَانَا إِلَى غَايَةِ الشَّرْفِ ، فَلِمَ تَعْلُقُ بَأْتَارِهِ ، وَلِمَ نَقُصُّ
لِمِحْفَارِهِ (٤) ، وَلِمَ نَلْحَقُ بِمِضْمَارِهِ ، وَلِمَ نَنْدُنُ مِنْ
غُبْبَارِهِ ، هَذَا مَعَ قُوَّةِ مَكَانٍ ، وَعِزَّةِ سُلْطَانٍ . وَإِنَّ

(١) الصريمة : القطعة المنفردة من الرمل

(٢) عجز بيت صدره

أقول له لما أتاني نعيه

والبيت للفرزدق .

(٣) الحفرة : مجمع البطن والصدر .

(٤) المحفار . الفرس الشديد العدو .

أثقل قومنا علينا من سبقنا إلى غاية شرفٍ ؛ فأخذ أبوك
علينا القصبَةَ (١) ، وملكَ دوننا الغلبة .

رُوِيَ أَنَّ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَدِمَ
الشَّامَ . وَمَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَوْ أَبُو عُبَيْدَةَ ، وَهُمَا
عَلَى حِمَارَيْنِ قَرِيبَيْنِ مِنَ الْأَرْضِ ، فَتَلَقَّاهُمَا ، مَعَاوِيَةُ
بِئْسَ كَوَكْبَةً (٢) خَشَّئَهُ ؛ فَشَتَّى وَرَكَهَ ، فَتَنَزَلَ ،
وَسَأَلَ بِالْخِلَافَةِ : هَلْ يَرُدُّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَوْ
أَبُو عُبَيْدَةَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْضَرْتَ الْفَتَى (٣) فَلَوْ كَانَتْهُ .
فَقَالَ : إِنَّكَ لِصَاحِبِ الْجَيْشِ الَّذِي أَرَى ؟ قَالَ : نَعَمْ .
قَالَ : مَعَ شِدَّةِ احْتِجَابِكَ ، وَوَقُوفِ ذَوِي الْحَوَائِجِ
بِبَابِكَ ؟ قَالَ : أَجَلٌ . قَالَ : لَمْ ؟ يَا وَيْلَكَ ! قَالَ : لِأَنَّ
بِبِلَادِ يَكْثُرُ بِهَا جَوَاسِيسُ الْعَدُوِّ ، فَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَسْتَمْخِذْ
الْعُدَّةَ وَالْعَدَدَ اسْتَخَفَّ بِنَا . وَهَجَمَ عَلَيَّ عَوْرَتُنَا . وَأَنَا

-
- (١) المراد : سبق إلى المعالي يقال للمراهن في السباق : أحرز
القصبه ، لأنهم كانوا يركزون فصبا عند غاية المصمار .
(٢) الكوكبة : الجماعه ، والخشناء : الخفيرة السلاح .
(٣) بمعنى حثب به أو دعونه .

— بعدُ — عامُلك ؛ فإن وقفتني وقفتُ ، وإن استزدتني
زدتُ ، وإن استنقصتني نقصتُ .

قال : والله لئن كنتَ كاذباً لِنه لرأى أريبٌ .
ولئن كنتَ صادقاً لِنه لتدبيرُ أديبٍ . ما سألتُك قطُّ عن
شيءٍ إلا تركتني فيه أضيقَ من رواجبِ الضررس (١) .
لا أمرك ولا أنهاك .

فلما انصرف قال له صاحبه : لقد أحسنَ الفتى في
إصدارِ ما أوردتَ عليه . قال : بحسنِ إصدارِه وإبرادِه
جشمَ مناه (٢) ما جشمَ مناه .

قال معاويةُ : معروفُ زماننا هذا منكرُ زمانٍ قد
مضى ، ومنكرُ زماننا هذا معروفُ زمانٍ لم يأتِ .

ومن كلامه : الفرصةُ خائبةٌ ، والحياةُ يمنعُ الرزقَ ،
والهسيبةُ خبيثةٌ ، والحكمةُ ضالَّةُ المؤمنِ .

(١) الرواجب . أصول الأصابع ، والضررس : الرجل الداهية
والمراد تركتني في أمر يصعب علي الخروج منه .
(٢) جشمه : كلفه أمراً فيه مشقه .

وقال ذات يومٍ لابنه يزيد : يا بُنيَّ ؛ لا تستفسدِ
الحر فساداً لا تصلحهُ أبداً . قال : بماذا ؟ قال : لا
تشتمنَّ له عريضاً ، ولا تصرِّبنَّ له ظهرأ ، فإن الحرَّ
لا يرى الدُّنْبا عِوضاً من هذين ، ولكن خذ ماله ،
ومتى شئت أن تُصلِحَه فمالٌ بمالٍ .

وقال له عمرو بن العاص : قد أعياني أن أعلمَ
شُجاعٌ أنت أم جَبانٌ ؟ فقال :

شجاعٌ إذا ما أمكنتني فرصةٌ
وإن لم تكن لي فرصةٌ فجبانٌ
وقال لعاملٍ له : كُلْ قليلاً تعملُ طويلاً ، الزمِ
العفاف يازمك العملُ ، وإيَّاك والرُّشسا يشتدُّ ظهرك عند
الخصام .

ورفع يوماً شُنبوتيه (١) بيديه ، ثم قال : لقد علمَ
الناسُ أن الخليلَ لا تجري بمثلي ، فكيف قال النجاشي : (٢)

(١) الشنودة : عند الرجل تقابل الثدي عند المرأة . أراد معاوية
أن يدل على ددائه وثقل وره .

(٢) النجاشي هو قيس بن عمر بن مالك شاعر إسلامي .

وتجى ابن حربٍ سابحٌ* (١) ذو عمالةٍ (٢)
أجشٌ (٣) هزيمٌ* والرماحُ دوانٌ
وقال : إني لأكره النكارة (٤) في السبد ، وأحبُّ
أن يكونَ غافلاً أو متغافلاً (٥) .

وقال لأبي الجهم العدوي : أنا أكبرُ أم أنت يا أبا
الجهم ؟ فقال : لقد أكلتُ من عرسِ أمك . فقال :
عند أيِّ أزواجِها ؟ قال : في عرسِ حفص بن مغيرةٍ
فقال : يا أبا الجهم ؛ إيتاك والسلطان ، فإنه يغضبُ
غضبَ الصبيِّ ، ويعاقب عقوبةَ الأسد ، فإن قلباه
يغابُ كثيرَ الناس .

وقال يوماً : أنا أعرفُ أرخصَ ما في السوق وأغلاه ،

(١) السابح : الفرس . وتسمى الخيل السوابح ؛ لأنها تسبح في
سيرها .

(٢) العمالة : بقية جري الفرس .

(٣) الأجش . الغليظ الصوت ، أو الذي جهد صهيله ، والهزيم
من الخيل : الشديد الصوت .

(٤) النكارة : الفطنة والدهاء .

(٥) المتغافل : الذي يظهر النقلة ولبست فيه .

فقيل : وكيف ذلك ؟ فقال : أعلمُ أن الجيّدَ رخيصٌ
والرديءُ غالٍ .

ولما مات زياد وفد عليه عبيدُ الله ابنُه . فقال له :
من استخلفَ أخي عليَ عميلَه بالكوفةِ ؟ قال : عبدُ الله
ابنَ خالدِ أسيّد (١) قال : فعلى البصرة ؟ قال : سمرة
ابنَ جندبٍ (٢) . فقال له معاوية : لو استعملك أبوك
استعملتُك ! . فقال له عبيدُ الله : أنشدك الله أن يقولها
لي أحمدٌ بعدك : لو ولّك أبوك ، وعمك وليتُك .
فولّاه خراسانَ .

وأوصاهُ فقال : اتقِ اللهَ ولا تُؤثرنَّ على تقواه
شيئاً ، وقِ عرضك (٣) من أن تُدَنِّسهُ وإذا أعطيتَ

-
- (١) عبد الله بن خالد بن أسيد اختلف في كونه مخزومياً أو أموياً .
ولي فارس من قبل معاوية واستحلفه زياد على البصرة .
(٢) سمرة بن جندب بن هلال كان على شرطة زياد ، وكان من
الحفاظ الكثرين . مات سنة ٥٨ هـ .
(٣) ق عرضك : احفظه وصنه ، فعل أمر من وقى . ف : فعل أمر
من وفى .

عهداً فَنَفَّ بِه ، ولا تَتَّبِعَنَّ كَثِيراً بِقَلِيلٍ ، وَخِذْ لِنَفْسِكَ
من نَفْسِكَ ، ولا يُخْرِجَنَّ مِنْكَ أَمْرٌ حَتَّى تَبْرِمَهُ ،
فَإِذَا خَرَجَ فَلَا يُرَدَّنَّ عَلَيْكَ . وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ فَغَلِّبْكَ
على ظَهْرِ الأَرْضِ فَلَا يَغْلِبَنَّكَ على بطنها ، وَإِنْ احتَاجَ
أَصْحَابُكَ أَنْ تُؤاسِيَهُمْ بِنَفْسِكَ فؤاسِيَهُمْ ، ولا تُطْمِئِنَّ
أحداً في غيرِ حَقِّهِ ولا تُؤَيِّسَنَّ أحداً من حَقِّهِ هو لِنَه .
وَخطبَ مرَّةً فقال : أَيها الناسُ ، إنا قد أَصَبَحْنَا
في دهرٍ عَنُودٍ ، وزمنٍ شَدِيدٍ ، يَصْبِحُ فِيهِ المَحْسَنُ مُسْتَمًّا ،
ويزدادُ الظَّالِمُ عُتُوءاً ، لا نَسْتَنْفَعُ بِما عَلِمْنَا ، ولا نَسألُ
عَمَّا جَهِلْنَا ، ولا نَسْتَخَوِّفُ قارِعَةً حَتَّى تَحْمِلَ بنا ،
فالناسُ على أربعةِ أَصْدافٍ : منهم مَن لا يَمْنَعُهُ مِنَ الفَسادِ
إلا مَهانَةٌ نَفْسِهِ ، وَكلالُ حَدِّهِ ، وَنَضْيِضُ (١) وَهُرْدِ
ومِنهم المَصْلايُ (٢) لِسَيْفِهِ ، المَجْجَلِبُ بِرِجْلِهِ .
المُعْلينُ بِشَرِّهِ ، قد أَشْرَطَ نَفْسَهُ (٣) ، وَأوبقَ دِينَهُ (٤)

(١) النضض القليل وهو في الأصل الماء القليل ، والوفر المال

المدخر .

(٢) أصات سيهه : جرده من غمده . وأحلب برجله : جاء برحاله

(٣) أشرط نفسه . أعلمها وأعدّها .

(٤) أوبق دينه . أهلكه .

لُحْطَامٍ يَنْتَهِزُهُ ، وَمِيقَاتٍ (١) يَقُودُهُ أَوْ مُتَبِرٍ يَتَقَرَّعُهُ (٢) ،
 وَلِبَاسٍ الْمَتَجَرُّ أَنْ تَرَاهُمَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا ، وَمَمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ
 عَوَضًا . وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ ، وَلَا
 يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا ، قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِيهِ ،
 وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ ، وَزَحَرَفَ نَفْسَهُ
 لِلْأَمَانَةِ ، وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ .
 وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنِ طَلْبِ الْمَالِ نَفْسَهُ ، وَانْقَطَعَ سَبَبُهُ ،
 فَقَصَرَ بِهِ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقِنَاعَةِ ،
 وَتَزَيَّنَ بِاسْمِ الزَّهَادِ ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاحٍ وَلَا مَفْذَى .

وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرَ الْمَرْجِعِ ،
 وَأَرَأَقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ ؛ فَهَمَّ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ (٣)
 وَخَائِفٍ مُنْتَمِعٍ (٤) وَسَاكِتٍ مَكْتَعُومٍ (٥) ، وَدَاعٍ

(١) المقتب : جماعة الخيل والفرسان بين الأربعين والخمسين .

(٢) فرع المنبر : علاه .

(٣) الناد : الشريد النافر .

(٤) المنتمع : الذليل ، وانقمع الرجل : ذل .

(٥) مكعوم من كعمه : سد فمه .

مُخلص ومُوجعٍ نكّالانَ ، قد أحمألتهمُ التّقيّة ، وشملتهم
الذّلة ؛ فهم في بَحرٍ أُجاج ، أفواهُمُ ضامرة ،
وقلوبهم قَريحة . وَعَظُوا حتى مَأوا ، وقُهِروا حتى
ذَلّوا ، وقُتِلوا حتى قَلّوا ؛ فلتكنِ الدنيا أَقلّ في
أعينكم من حُثالة القَرَظِ (١) وقَراضةِ (٢) الجَلَسِ
واتعَظُوا بمن كان قبلكم ، قبل أن يَتَّعِظَ . بكم من
بعدكم .

قدم رجلٌ من مصر عليه ، فإنه ليحادثه إذ حَبَقَ (٣) ؛
فانقبض وترك الكلام ، فقال معاوية : خذُ فيما كنتَ
فيه . فما سمعتها من أحدٍ أكثرَ مما سمعتها من نفسي .

ودخل عليه رجلٌ مرتفعُ العطاء فرأى في عينيه
رَمَصاً (٤) ؛ فحطَّ عطاءه وقال : بعجزُ أحدِكُم إذا
أصبحَ أن يتعهدَ أديمَ وجهه .

(١) حثالة القَرَظ : نفايته ، والقَرَظ : ورق شجر السلم .

(٢) القَراضة : ما يتساقط من الثوب عند قصه . والجلم : المقص .

(٣) حَبَق : ضرب .

(٤) الرمص : قذى العين .

وقال لقريش في خلافته : إني أقعُ إذا طرتم ، وأطير
إذا وقعتُم ، ولو وافق طيراني طيرانكم لاختلفتنا .
وقال : العيال أَرْضَةٌ (١) المال .

وقيل له : ما بَسَلَعَ من عقلك ؟ قال : لم أثقُ بأحدٍ .
ونظر إلى يزيدَ وهو يضربُ غُلاماً له ؛ فقال له :
لا تُفسِدِ أَدَبَكَ بتأديبه ، ولكن وكِّلْ به من يؤدبه .

رُوي عن بعضهم أنه قال : قدم معاوية المدينة ،
فدنوتُ من المنبر لأحفظَ عنه ؛ فحمد الله وأثنى عليه ،
ثم قال :

أما بعد ، فإِنَّا قدمنا على صديقٍ مستبشر ، وعلى عدوٍ
مُستتبسِّر ، وناسٍ بين ذلك ينظرون وينتظرون ؛
فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها سخطوا .
ولسنا نسعُ الناسَ كلَّهم ، فإن تكن محمداً فلا بدَّ من
لائمة ، ليكن لوماً هوناً ، إذا ذكر غفراً ، وإيّاكم

(١) الأرضة : دويبة قارضة ، والمراد : تفني المال كما تفني
الأرضة ما تقرضه .

والعُظْمَى الَّتِي إِنْ ظَهَرَتْ أَوْ بَقِيََتْ ، وَإِنْ خَفِيََتْ
أَوْ تَغَيَّرَتْ (١) .

وبلغته أَنْ أَيْتَهُ امْتَنَعَتْ عَلَى ابْنِ عَامِرٍ فِي الْاِفْتِضَاضِ ،
فَمَشَى إِلَيْهَا يَتَوَذَّفُ (٢) فِي مِشْيَتِهِ ، وَفِي يَدِهِ مَخْضَرَةٌ ،
فَجَلَسَ ، وَجَعَلَ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ وَيَقُولُ :

مِنْ الْخَفِيرَاتِ الْبَيْضِ ؛ أُمَّاً حَرَامُهَا
فَصَعْبٌ ، وَأُمَّاً حَالُهَا فَذَكَرُوهُ

وَنُخْرِجُ ، وَدَخَلَ ابْنُ عَامِرٍ فَلَمْ تَمْنَعْ عَلَيْهِ .

وَسُئِلَ : مَا النَّبِيلُ ؟ . فَقَالَ : الْحَلْمُ عِنْدَ الْغَضَبِ ،
وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ .

وَقَالَ : الدُّنْيَا بِحَذَائِرِهَا (٣) الْخَفِضُ وَالِدَّاعَةُ .

وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : وَاللَّهِ لَقَدْ بَايَعْتُكَ وَأَنَا كَارِهٌِ .

فَقَالَ : قَدْ جَعَلَ اللَّهُ فِي الْكُرْهِ خَيْرًا كَثِيرًا .

(١) أوتفت : أهلكت . وأوبقت : أهلكت .

(٢) يتوذف : يسرع الخطا ويقارها .

(٣) حذائرها : جمع حذفور وهو الجانب والمراد : كل ما تشمل

عليه .

وكان يَأْذَنُ لِلأَحْنَفِ فِي أَوَّلِ مَنْ يَأْذَنُ لَهُ ،
فَأَذَنَ لَهُ يَوْمًا ، ثُمَّ أَذِنَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الأَشْعَثِ ، فَجَاءَ
مُحَمَّدٌ فَجَلَسَ بَيْنَ مَعَاوِيَةَ وَبَيْنَ الأَحْنَفِ ؛ فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ :
لَقَدْ أَحْسَسْتَ فِي نَفْسِكَ ذُلًّا ، إِنْ لَمْ أَذَنَ لَهُ قَبْلَكَ لِيَكُونَ
فِي المَعْلَسِ دُونَكَ ، وَإِنَّا كَمَا نَمْلِكُ أُمُورَكُمْ نَمْلِكُ
تَسْأَلِيكُمْ ، فَأَرِيدُوا مَا يَرَادُ بِكُمْ ؛ فَإِنَّهُ أَبْقَى لِنِعْمَتِكُمْ ،
وَأَحْسَنُ لِأَدْبِكُمْ .

وقال معاويةٌ في النساءِ : إِنْهِنَّ يَغْلِبْنَ الكِرَامَ ،
وَيَغْلِبُهُنَّ اللُّثَمَّ .

وفخر عنده سُلَيْمٌ مَوْلَى زِيَادٍ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ :
اسْكُتْ ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَكَ صَاحِبُكَ شَيْئًا بِسِيفِهِ إِلاَّ وَقَدْ
أَدْرَكَتُ أَكْثَرَ مِنْهُ بِلِسَانِي .

* * *

يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ وَوَالِدُهُ

كتب إلى أهل المدينة : أما بعدُ ، فـ ((إِنْ اللهَ لا
يُغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بَأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا

أَرَادَ اللهُ بِيقومٍ سوءاً فَلَاحَ مَرَدٌ لَهُ ، وَمَالَهُمْ مِنْ
دُونِهِ مِنْ وَآلٍ) (١) وَإِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ لَبِستُكُمْ
فَأَخَذتُكُمْ (٢) . وَرَفقتُ بِكُمْ فَأَخْرقتُكُمْ (٣) . ثُمَّ
وَضَعتُكُمْ عَلَى رَأْسِي ، ثُمَّ عَلَى عَيْنِي ، ثُمَّ عَلَى فَمِي ،
ثُمَّ عَلَى بَطْنِي . وَايَسُّمُ اللهُ إِنِّي وَضَعتُكُمْ تَحْتَ قَدَمِي
لَأَطَأَنَّكُمْ وَطَأَةٌ أَقِيلُ بِهَا عَدَدَكُمْ ، وَأَذِلُّ غَابِرَكُمْ ،
وَأَتْرِكُكُمْ أَحَادِيثَ تُنْسَخُ فِيهَا أَخْبَارُكُمْ مَعَ أَخْبَارِ عَادٍ
وَمُحَمَّدٍ .

لَعَلَّ الْحَلِمَ دَلَّ (٤) عَلَيَّ قَوْمِي

وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ (٥)

تَكَلَّمْتُ يَوْمًا عِنْدَ مَعَاوِيَةَ الْخَطِيبِ فَأَحْسَنُوا وَأَكْثَرُوا ؛
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَأَرْمِيَنَّهُمْ بِالْحَطِيبِ الْأَشْدَقِ (٦) ، قُمْ
يَا يَزِيدُ فَتَكَلَّمْ .

(١) سورة الرعد : ١١ .

(٢) أَخَذتُكُمْ : أَلْبَيْتُكُمْ .

(٣) أَخْرقتُكُمْ : سَبَّتُ لَكُمْ الْحَرْقَ وَهُوَ الْحَقُّ .

(٤) دَلَّ : جَرَأَ ، مِنْ الدَّلَالِ .

(٥) الْحَلِيمُ : لَقِيْسُ بْنُ زَهْرٍ الْعَبْسِيُّ .

(٦) الْأَشْدَقُ : الْوَاسِعُ الشَّدَقِيْنَ .

ذَكَرَ أَنَّ الْحِجَّاجَ لَمَّا أَكْرَهَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ عَلَى أَنْ يَزُوجَهُ ابْنَتَهُ (١) اسْتَأْجَلَهُ فِي تَسْمِيئِهَا سَنَةً ، فَفَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ فِي الْإِنْفِكَالِ مِنْهُ ؛ فَأَلْقَى فِي رُوعِهِ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ ابْنَ مَعَاوِيَةَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يُعْلِمُهُ ذَلِكَ . وَكَانَ الْحِجَّاجُ تَزَوَّجَهَا بِإِذْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَوَرَدَ عَلَى خَالِدٍ كِتَابُهُ لَيْلًا ؛ فَاسْتَأْذَنَ مِنْ سَاعَتِهِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ؛ فَتَقَبَّلَ : أَيْ هَذَا الْوَقْتُ ؟ فَقَالَ : إِنَّهُ أَمْرٌ لَا يُؤَخَّرُ ، فَأَعْلَمَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِذَلِكَ . فَأَذَّنَ لَهُ ، فَأَمَّا دَخَلَ إِلَيْهِ قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : فِيمَ السُّرَى (٢) يَا أَبَاهَا شِمُّ ؟ قَالَ : أَمْرٌ جَلِيلٌ ، لَمْ أَمْنُ أَنْ أُؤَخَّرَهُ ؛ فَتَحَدَّثَ عَلِيٌّ سَادِثَةً ، فَلَا أَكُونُ قَضِيْتُ حَقَّ بَيْعَتِكَ . قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : تَعْلَمُ أَنََّّهُ كَانَ بَيْنَ حَيَّيْنِ مِنَ الْعِدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ ، مَا كَانَ بَيْنَ آلِ الزُّبَيْرِ وَبَيْنَنَا ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَإِنَّ تَزَوُّجِي لِي آلِ (٣) الزُّبَيْرِ حَلَّلَ لِهِمْ مَا كَانَ

(١) هي أم كلثوم بنت عبد الله بن جهمر ، وأمها زيب بنت علي ابن أبي طالب .

(٢) السرى : السبر ليلاً .

(٣) تزوج خالد بن يزيد رءمة بنت الزبير بن العوام وله فيها شعر .

في قلبي ، فما أهل بيت أحب إليّ منهم . قال : إن ذلك ليكون ؟ قال : فكيف أذنت للحجاج أن يتزوج من بني هاشم ، وأنت تعلم ما يقولون ويقال فيهم ، والحجاج من سلطانيك بحيث عامت . قال : فجزاهُ خيراً . وكتب إلى الحجاج يعزمُ عليه أن يُسلِّطَها . فظانقَها . فعدا الناس يُعزِّزونه عنها .

وكان فيمن أتاه عمرو بن عتبة بن أبي سفيان (١) ، فأوقع الحجاجُ بخالد . فقال : كان الأمرُ لآبائه فعجز عنه حتى انتزع منه . فقال له عمرو : لا تقل ذلك أيها الأمير ؛ فإن لخالد قديماً سبق إليه ، وحديثاً لن يُغلبَ عليه ، فلو طأبب الأمرَ لطلبهُ بجيدٍ وجدِّ ، ولكن علم علماء فسلم العلم إلى أهليه . فقال الحجاجُ ؛ يا آل أبي سفيان ؛ أنتم تحبسون أن تحاسموا ، ولا يكون الحلمُ إلا عن غمضٍ ، فنحن نغضبكم في العاجل ابتغاءَ مرضاتكم في الآجل .

(١) عمرو بن عتبة بن أبي سفيان ابن عم خالد بن يزيد ، قتل مع ابن الأشعث .

ثم قال الحمصاج : والله لأتروحنَّ من هو أمس
به رحماً ، ثم لا يمكنه فيه شيء : فتزوج أمّ الحلاّس
بنت عبد الله بن خالد بن أسيد .

تهنّد عبد الملك بن خالد بالجرّسان ؛ فقال خالد :
أهدّني ، ويهدّ الله فوقك مانعةً ، وعشاءُ الله دونك
ميسول^(١) ؟ .

قال رجل لخالد بن يزيد بن معاوية : ما أقربُ شيءٍ ؟
قال : الأجل . قيل : فما أبعدُ شيءٍ ؟ قال : الأمل .
قيل : فما أنسُ شيءٍ ؟ قال : الصاحبُ الموثقُ (١) .
قيل : فما أوحشُ شيءٍ ؟ قال : الممسّت .

دخل عبدُ الملك بن مروان على يزيد بن معاوية .
فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن لك أرضاً بوادي القرى (٢)
ليست لها غمامة ، فإن رأيتَ أن تأمرَ لي بها فقال له يزيد :
إننا لا نخذع عن الصغير ، ولا نبخلُ بالكبير ، وهي لك .

(١) الصاحب الموثق . الموافق .

(٢) وادي القرى : وهو واد بين المدينة والشام ، من أعمال المدينة
سعي كذلك لكثرة القرى فيه .

فلما ولى قال يزيد: إن أهل الكتب يدعون أن هذا يرث ما نحن فيه ، فإن كان كما قالوا فقد صانعناه ، وإن لم يكن فقد وصانناه .

قال معاوية ليزيد : إن كنت بعدي - وكنه

فابدأ بالخير ، فإنه يعصني (١) على الشر ، وما صنعت من شيء فاجعل بينك وبين الله ستراً ترجوه له ، وتأمله به . وإيّاك والقتل فإن الله قاتل القاتلين .

وصف معاوية الوليد بن عتبة (٢) فقال : إنه لبعيد الغور ، ساكن القصور (٣) ، نبتة أصل لا يخلف ، وسليل فحل لا يقرف (٤) .

ودخل خالد بن يزيد دار عبد الملك ، وكان يسحب

(١) يعني على الشر : يزيه ويفنيه .

(٢) الوليد بن عتبة بن أبي سميان ، ابن أخي معاوية ، اشتهر بالفصاحة والحلم والكرم .

(٣) القور : مصدر فار والمراد قليل الغضب .

(٤) أقرف الفرس : صار هجيناً وأقرف الرجل إذا كان أحد

أبويه غير عربي

ثيابه ؛ فقام إليه عبدُ الرحمن بن الضحاك (١) يتلقاه
معظماً له ؛ فقال له : بأبي أنت وأمي ، لم تُطعم الأرضَ
فضول ثيابك ؟ فقال : إني أكره أن أكون كما قال
الشاعر :

قصيرُ الثياب فاحشٌ عند بيته

وشرُّ قريشٍ في قريشٍ مُركباً (١)

وهذا البيت هُجِّي به الضحاكُ . قال الجاحظ : لو

لم يتكافأ مالا يعنيه لم يسمع هذا الجواب .

قال بعضهم : كنتُ عند معاويةَ إذ دخل عبدُ الملك ،
فحدث ونهض ، فقال معاوية : إنَّ لهذا الغلام همةً ،
وخلقاً أن تبلغَ به هِمَّتَهُ ، وإنه مع ما ذكرتُ تاركٌ
لثلاث أخذٍ بثلاث : تاركٌ مساءةِ الجليسِ جيدٍ آوهزلاً ،
تاركٌ لما يعتذرُ منه ، تاركٌ لما لا يعنيه ؛ أخذٌ بأحسنِ
الحديث إذا حدثتُ ، وبأحسنِ الاستماع إذا حدثتُ ،
وبأهونِ الأمرين عليه إذا خولف .

(٥) عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس ، قتل أبوه في موقعة مرج راهط ،
واستعمله يزيد بن عبد الملك والياً على المدينة .

(١) المركب . الطبع .

وقال لعبيد الله بن زياد : يا بن أخي ؛ احفظ عني ،
لا يكوننَّ في عسكرك أميرٌ غيرُك . ولا تقولنَّ على
منبر قولاً يخالفه فيعلُّك . ومهما غابت فلا تُغابنَّ على
مِيتةٍ كريمة .

وقال معاوية : آفةُ المروعةِ الكبرُ وإخوانُ السوء .
وآفةُ العلمِ النسيانُ ، وآفةُ الحلمِ الذلُّ ، وآفةُ الجودِ
السرفُ ، وآفةُ القصدِ البخلُ ، وآفةُ المنطقِ الفحشُ .
وآفةُ الجلمدِ الكسلُ ، وآفةُ الرراثةِ الكِبَرُ . وآفةُ
الصِّمتِ العيُّ ، وآفةُ اللبِّ العُجبُ . وآفةُ الظِّرفِ
الصلافُ ، وآفةُ الحياءِ الضعْفُ .

وقال : لا جَدَّ إلا ما أقعصَّ عنك ما تكره (١) .

وقال : لا تُعِدَّنَّ شيئاً ، وحسبكُ جوداً أن تُعطيَ
إذا سُئِلتَ .

وقال لابنه يزيد : ما المروعة ؟ فقال : إذا ابتليتَ
صبرت ، وإذا أُعطيَت شكرت ، وإذا وَعَدتْ أنجزت .

(١) الجد : الحظ . أقعص الرجل : قتله قتلا سريعاً .

قال : أنتَ مني ، وأنا منك يا يزيد ،
وقال معاويةُ : المروءة مؤاخِصَةٌ الأَكْفَاءُ
ومُداخِجَةٌ (١) الأعداء .

وقال : ما وجدتُ لِدَّةَ شيءٍ أَلذَّ عِنْدِي غَيْبًا (٣)
من غِيظٍ أَتَجَرَّبُهُ ، ومن سَفَهٍ بِالْحِلْمِ أَقْبَعُهُ .

وأغلظَ له رجلٌ فاحتملته ، وأفرطَ عليه فحلم
عنه ؛ فقبل له في ذلك . فقال : لا نَحْمُولُ بَيْنَ النَّاسِ
وَأَلَسْتِهِمْ مالم يَحْوُلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَا كُنَّا .

وقال لابنه : يا بني ، اتَّخَذِ المَعْرُوفَ عِنْد ذَوِي
الْأَحْسَابِ تَسْتَسْمِلُ بِهِ قُلُوبَهُمْ ، وَتَعْظُمُ بِهِ فِي أَعْيُنِهِمْ .
وَتَكْفُتُ بِهِ عَنكَ عَادِيَتُهُمْ .

* * *

(١) المداخجة : المداراة ، وعدم إظهار العداوة

(٢) الغب : العاقبة .

الباب الثاني

كلام مروان بن الحكم^(١) وولده في الخلفاء

كتب مروان إلى النعمان (١) بن بشير بخطب إليه
ابنته أم أبان لابنه عبد الملك :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من مروان بن الحكم إلى النعمان بن بشير .
سلامٌ عليك ، فإنني أحمدُ إليك الله الذي لا إله
إلا هو .

أما بعد ؛ فإن الله ذَا المنِّ والبرهان ، والعظيمة
والسلطان ؛ قد خصَّكم — معاشر الأنصار — بنصرة

(١) مروان بن الحكم ولد سنة ٢ هـ استكتبه عثمان بن عفان وولاه
معاوية المدينة ومكة والطائف ، تولى الخلافة واستمر بها أشهراً ، ومات
سنة ٦٥ هـ .

(٢) النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري ، ولد قبل وفاة الرسول
بثمان سنين .

دينه ، وإعزازٍ نبيته محمد - صلى الله عليه وسلم - وقد جعلك منهم في البيت العميم ، والفرع القديم وقد دعاني إلى إحياب مُصاهرتك والإيثار لك على الأَكْفَاءِ من ولد أبيي . وقد أحببتُ أن تُزوّجَ ابني عبدَ الملك بن مروان ابنتك أمَّ أبانٍ بنتَ النعمان ، وقد جعلت صداقها ما نطقَ به لسائلكَ وتردّمتَ به شفقتك ، وبلغه منك . وحكمتَ به في بيتِ المالِ قبيلك .

وقال مروانُ لابنه : آثِرِ الحَقَّ ، وحصِّنْ مملكتك بالعدل ، فإنه سورُها المشبَعُ الذي لا يُغرقُه ماءٌ ، ولا تحرقُه نارٌ . ولا يهدِمُه سنجنيقٌ (١) .

وذكر أبو هريرة معاويةَ في مجلس فيه مروانُ فاغتابه ، ثم خاف أن يبلُغَ معاويةَ ذلك ؛ فقال : إن رسولَ الله صلى الله عليه قال : « المَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ » ، وسأل مروانَ أن يكتُمَ عليه .

(١) المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة .

فقال مروانُ : واللهِ . لَمَّا رَكِبْتَ مِنِّي فِي ظَنِّكَ
بِي أَنِّي أَتَقَلُّ حَدِيثَكَ أَعْظَمُ مِمَّا رَكِبْتَ مِنْ مُعَاوِيَةَ .

عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ

نَحَطِبُ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، اْعْمَلُوا لِلَّهِ رَغْبَةً أَوْ
رَهْبَةً ، فَإِنَّكُمْ بِنَاتُ نِعْمَتِهِ ، وَحَصِيدُ نِقْمَتِهِ ، وَلَا
تَغْرَسُوا لَكُمْ الْأَمَالَ مَا تَهْتَسِنِيهِ الْأَجَالُ . وَأَقِلُّوا
الرَّغْبَةَ فِيمَا يورِثُ العَطَبَ ، فَكُلُّ مَا تَزْرَعُهُ العَاجِلَةُ
تَقْلَعُهُ الْأَجَلَةُ . واحذَرُوا الجَليدينَ ؛ فهما يَكْرَهُانِ
عليكم باقتِسامِ النُّفوسِ ، وَهَدْمِ ، المأسوسِ . كَفَانَا
اللَّهُ وإياكم سَطْوَةَ القَدَرِ ، وَأَعَانَا بِطَاعَتِهِ عَنِ الحَذَرِ
مِن شَرِّ الزَّمَنِ ، وَمُعْضِلَاتِ الفِتَنِ .

استأذن رجلٌ عليه ، فأذنَ له ، فوقفَ بين يديه
وَوَعظَهُ ؛ فقال عبدُ المَلِكِ لرجلٍ : قُلْ للحَاجِبِ ،
إذا جاءَ هذا فلا تَمْنَعْنَهُ ، وإِنما أرادَ أن يَعرِفَهُ الحَاجِبُ
فلا يَأْذَنَ له .

وقال : إني لأَعرِفُ عِزَّةَ الرجلِ مِن ذلتهِ بِجِلسَتِهِ .

وقال له ابنه الوليد : ما السياسة ؟ قال : هيبةُ
الخاصةِ مع صدقِ مودتها ، واقتيادُ قلوبِ العامةِ
بالإنصافِ لها ، واحتمالُ هفواتِ الصنائعِ .

ودخل الشعبيُّ عليه ، فخطبته في مجلس واحد في
ثلاث ، سمع الشعبيُّ منه حديثاً ؛ فقال : أكتبنيه .
فقال : نحن معاشر الخلفاء لا نُكْتَبُ أحداً شيئاً . وذكر
رجلاً فكتبته فقال : نحن معاشر الخلفاء لا يُكْتَبُ الرجالُ
في مجالسنا ، ودخل إليه الأخطل ، فدعا له بكرسي .
فقال : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : الخلفاء لا تُسأل ،
فأنجله في أول مقام .

وقال لأخيه عبد العزيز (١) حين وجهه إلى مصر :
تَسْقَدَ كَاتِبُكَ وَحَاجِبُكَ وَجَلِيسُكَ ؛ فَإِنَّ الْغَائِبَ يَخْبِرُهُ
عَنْكَ كَاتِبُكَ ، وَالْمَتَوَسِّمَ (٢) يَعْرِفُكَ بِحَاجِبِكَ وَالخَارِجَ
مَنْ عِنْدَكَ يَعْرِفُكَ بِجَلِيسِكَ .

(١) عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، والد عمر بن عبد العزيز ،
ولد في المدينة ، وولاه مروان مصر ، فكانت إقامته بجلوان . توفي
سنة ٨٥ هـ .

(٢) المتوسم : المتفرس المتخيل .

وقال : أفضلُ الرجالِ مَنْ تَواضَعَ عن رفعة ،
وزهد عن قُدرةٍ ، وأنصف عن قوة .
وقال : الهدايةُ السُّحرُ الظَّاهِرُ .

وقال لِمُعَلِّمٍ ولدهِ : رَوِّ بَنِيَّ الشُّعْرَ يَعْرِفُوا
به مكارِمَ الأَخلاقِ ، ولا تروِّهم شعراً هُدَيْلِ (١)
فترينَ لهم الفِرارَ ، ولا شعراً أَحْيِيحَةَ بنِ الجُلَّاحِ (٢)
فتمحسِّنَ لهم البُعْخُلَ ؛ وأطعمهمُ اللحمَ تَشْتدُّ قُلُوبُهُمْ ،
وجنِّزْ أشعارَهُمْ تَغْلُظْ رِقَابُهُمْ .

وقال : اطلبوا معيشةً لا يقدرُ سلطانُ جائِرٍ على
غَضَبِها . فقيل : وما هو ؟ قال : الأدب .

دخل إليه أعرابيٌّ فبرك بين يديه ، ثم قال : يا أمير
المؤمنين ، إن الناقة إذا منعتِ الحلبَ قومَتِها العَصا ؛
فقال عبد الملك : إذا تكفسيء الإناء ، وتكسرُ أنف
الحالب .

(١) هذيل الأشجعي شاعر أموي ، عمي في أواخر أيامه .

(٢) أحيحة بن الجلاح بن الحريش : شاعر جاهلي .

وقال زُفر بن الحارث (١) : ما ظنُّك بي ؟ قال :
ظني بك أنك تقتلني ؛ فقال : قد أكذب اللهُ ظنُّك ،
وقد عفوتُ عنك .

ونازعه عبدُ الرحمن بنُ خالدِ بن الوليدِ (٢) ،
فأرَبَّى عليه ، فقيل له : لو شكوتَه إلى عمِّه لا تنتقم لك
منه ؛ فقال : مِثلي لا شكُّو ، ولا أعدُّ — أنا — انتقام
غيري لي انتقاماً ؛ فلما استخلف قيل له في ذلك ؛ فقال :
حِقِّدُ السُّلطان عجز .

قال عمرو بن عبيد (٣) : كتب عبدُ الملكُ وصيةً
بيده ، وأمر الناس بتدبُّر ما فيها وهي :

(١) كان زفر بن الحارث الكلابي قد خرج على عبد الملك ، مع
الضحاك بن قيس ، ولما قتل الضحاك في مرج راهط تحصن زفر بقرقيسها
على نهر الفرات إلى أن مات سنة ٧٥ هـ .

(٢) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي ، قائد شديد البأس
من التابعين ، شهد صفين مع معاوية ، كما شهد فتوح الشام ومات سنة ٤٦ هـ .

(٣) عمرو بن عبيد ، شيخ المعتزلة ، كان أواه شرطياً للحجاج وهو
فارسي الأصل . ولد سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٤٢ هـ .

إن الله جعل لعباده عقولاً عاقبهم بها على معصيته ،
 وأتابهم على طاعته ؛ فالناسُ بين مُحسِنٍ بنعمة الله عليه ،
 ومُسيءٍ بخذلان الله إِيَّاه ، والله النعمة على المحسن والحجةُ
 على المسيء ، فما أولى بمن تَمَتَّت عليه النعمةُ في نفسه ،
 ورأى العِبْرَةَ في غيره ، بأن يضع الدنيا حيثُ وضعها الله ،
 فيعطي ما عليه منها ولا يكثرُ بما ليس له فيها ، فإنَّ
 الدنيا دارُ فناءٍ ولا سبيل إلى بقائِها . ولا بد من لقاء الله ،
 فأحدركم الله الذي حدركم نفسه ، وأوصيكم بتعجيل
 ما أخرته العَجْزَةُ قبل أن تصيروا إلى الدار التي صاروا
 إليها ، فلا تقدرون فيها على توبةٍ . وليست لكم منها
 أوبةٌ ، وأنا استخلفُ الله عليكم ، وأستخلفه منكم .

وأذن يوماً لخاصته ، فأخذوا مجالسهم ، وأقبل
 رجلٌ منهم على عيب مُصعب بعد قتله ؛ فنظر إليه
 عبدُ الملك نظر كراهية ، ليما قال ، ثم قال : أمسِكْ .
 أما علمتَ أن مَنْ صَغَّرَ مقتولاً فقد أزرى بقاتله .

* * *

الوليدُ بنُ عبدِ المَلِكِ (١)

جاء إليه رجلٌ فقال : إنَّ فلاناً نالَ منك . قال :
أتريدُ أنْ تَقْتَصَّ أوتساركِ مِنَ الناسِ بي ؟ .

وهرب من الطاعون ، فقال له رجل : يا أميرَ
المؤمنين إن الله تعالى يقول : « لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ
إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَأَنْتُمْ مَمْتَعُونَ
إِلَّا قَلِيلًا » (٢) فقال الوليد : إنما نريدُ ذلك القليل .

وقال له رجلٌ : إن فلاناً شتمَكَ ، فأكبَّ ،
ثم قال : أراه شتمَكَ .

وكان الوليدُ لِحائناً ، فدخل عليه يوماً رجلٌ من
العربِ ؛ فقال له الوليدُ : ما شأنك ؟ قال : أودُّ (٣)
في أنفسي واعوجاجٌ . فقال له رجلٌ من أصحابه : إنَّ
أميرَ المؤمنين يقولُ لك : ما شأنُك ؟ فقال : كذا وكذا .

(١) ولد الوليد بن عبد الملك سنة ٤٨ هـ ، وتولى الخلافة بعد وفاة
أبيه ، وافتتح في عهده الهند والترك والأندلس وهو باني الجامع الأموي
بدمشق . توفي سنة ٩٦ هـ .

(٢) سورة الأحزاب . ١٦ .

(٣) الأود : الموج .

ولما مات عبدُ الملكِ صعيدَ الوليدُ المنبر . فحمد الله
وأثنى عليه ، ثم قال : لم أرَ مثلَها مُصيبةً ولم أرَ مثله
ثواباً : موتُ أميرِ المؤمنين ، والخلافةُ ؛ فإنَّ اللهَ وإنا إليه
راجعون على المصيبةِ ، والحمدُ لله رب العالمين على النعمةِ
انهمضوا فبايعُوا على بركة الله .

مات لعبدِ الملكِ ابنٌ ، فجاء الوليدُ فعرَّاه ؛ فقال :
يا بني ؛ مُصِيبتي فيك أعظمُ من مصِيبتي بأخيك ، متى
رأيتَ ابناً عزَّى أباه ؟ قال : يا أميرِ المؤمنين ؛ أمي أمرقني
بذلك . قال : هو من مشورة النساء .

وروي أنَّ الوليدَ قام على المنبر بعد موت عبد الملك ؛
فقال :

يا لها مصيبةٌ ما أفجعها وأعظمها ، وأشدّها وأوجعها
وأغمها موتُ أميرِ المؤمنين ! ويا لها نعمةٌ ما أعظم المنَّةَ
من الله تعالى عليَّ فيها ، وأوجب للشكر له بها ، خلافتُهُ
التي سرَّبلتُها (١) .

فكان أولَ من عزَّى نفسه وهنأها بالخلافة .

(١) سرَّبلتها : ألْبستها كالسربال . وفي الكلام استمارة .

فأقبل غيلان بنُ مَسَلَمَةَ الثَّقَفِي (١) ؛ فسلم عليه بالخلافة ، ثم قال : أصبحت يا أمير المؤمنين ورثت خير الآباء ، وسُمِّيتَ خيراً الأسماء ، وأُعطيْتَ أفضلَ الأشياءِ ، فعزَمَ اللهُ لك على الرِّزِيَّةِ بالصبرِ ، وأعطاك في ذلك نوافلَ الأجرِ ، وأعانك في حسن ثوابه على الشكر ، ثم قضى لعبدِ الملكِ بـخَيْرِ القَضِيَّةِ ، وأنزله المنازلَ الرَضِيَّةَ . فأعجبهُ كلامُهُ وقال : أتقني أنت ؟ قال : نعم وأحدُ بني مُعْتَب . فسأله : كم هو من العطاء ؟ فقال : في مائة دينار . فألحقه بشرفِ العطاء ، فكان أول من أُلْحِقَ بشرفِ العطاء .

* * *

سَلِيْمَانُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ (٢)

تَكَاسَمَ وفدٌ بين يدي سَلِيْمَانَ فَأَخْطَوْا ، وتَكَاسَمَ بعدهم

(١) غيلان بن مسleme الثقفي شاعر جاهلي أدرك الإسلام وتوفي سنة

٢٣ هـ .

(٢) سليمان بن عبد الملك ، الخليفة التالي بعد الوليد ، ولد بدمشق

سنة ٤٥ هـ ، وولي الخلافة سنة ٥٩٦ هـ . فتح في عهده جرجان وطبرستان ،

وتوفي سنة ٩٩ هـ .

رجلٌ فأبلغ ، فقال سليمان : كأن كلامه بعد كلامكم
سهابةً لبّدت عجاجة (١) .

وقال : عجبتُ لهذه الأَعْجَمِ ، ملكتُ طول الدهرِ ،
فلم تحتج إلى العرب ، وملكتم العربُ فلم تستغن عنهم .

وتعدّى سليمانُ بن عبد الملك عند يزيد بن
المُهَنْبِ (٢) ، فقيل له : صيفٌ أما أحسن ما كان في
منزله . قال : رأيتُ غلمانهُ يخدمونه بالإشارة دون القول .
وقال : قد أكلنا الطيب ، وليسنا السَّيْنِ ، وركبنا
وامتطينا الفاره العذراء ، فلم يبق من الذَّيِّ إلا صديقٌ
أطرحُ بيني وبينه مؤونة السَّحْفِظ .

سمع سليمانُ رجلاً من الأعراب في سنةٍ جدِّةٍ يقول :

ربُّ العبادِ مالنا ومالكنا ؟

قد كنت تسقيننا فما بدا لكنا

أنزل علينا الغيث ، لا أبنا لكنا (٣)

(١) العجاجة : ما ثار من الفبار .

(٢) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، قائد شجاع ولد سنة ٥٣ هـ .

(٣) إن لا أبالك تذكر عند الملح ، أي لا مثال لأبيك .

فقال سليمان : أشهد أنه لأبنا له ، ولا ولد له ولا صاحب . قال المُبرِّد : فأخرجه أحسنَ مخرج .

قال سليمان ليزيد بن المهلب : ثلاثٌ أنكرهُنَّ منكَ ؛ خُفُّك أبيضٌ مثلُ ثوبِك ، ولا يكونُ خفُّ الرجلِ مثلَ ثوبه ؛ وطيبُك ظاهر ، وطيبُ الرجلِ يُشَمُّ ، ولا يُرى أثرُه ؛ وتكثرُ من مَسِّ لِحيتِك . قال : فغيَّر خُفَّهُ وطيبه .

وقال : ما رأيتُ عاقلاً يَهْمُ بِأمرٍ إلا شكَّ أن كان معولهُ على لحيته .

وخطب فقال : الحمد لله الذي ما شاء صنع ، ومن شاء رفع ، ومن شاء وضع ، ومن شاء أعطى ، ومن شاء منع . إن الدنيا دارُ غرورٍ ، ومنزلٌ باطلٌ وزينةٌ ، تَقَلَّبُ بأهلِها ، تُضحِكُ باكياً ، وتُبكي ضاحكاً ، وتُخيفُ آمناً ، وتؤمنُ خائفاً ، تُفقرُ مُثريها ، وتُقربُ مُقصيها ، ميالةٌ لآعبةٍ بأهلِها . عبادَ الله ! اتخذوا كتابَ الله إماماً ، وارضوا به حكماً ، واجعلوه لكم قائداً ؛ فإنه ناسخٌ لِمَا كان قبله ، ولن ينسخه كتابٌ بعده . اعلموا - عبادَ الله - أن هذا القرآن يجلو

كيد الشيطان وضغائنه^١ (١) ، كما يجلبو ضوءُ الصبح إذا
تنفّس أدبار الليل إذا عسعس (٢) .

* * *

يَزِيدُ بنُ عبدِ المَلِكِ (٣)

كتب إليه عبدُ الرحمن بن الضَّحَّاك بن قيس يستأذنه
في غلام يهديه إليه ، فكتب إليه يزيدُ : إن كنتَ لا بد
فاعلاً فليكن جميلاً ظريفاً لبيباً أديباً كاتباً ، فقيهاً
حلواً ، عاقلاً أميناً سرّياً ، يقولُ فيحسِن ، ويحضرُ
فيزين ، ويغيبُ فيؤمنُ .

فكتب إليه : قد التمسْتُ صِفَةَ أميرِ المؤمنينَ ،
فلم أجدها إلا في القاسمِ بن محمد ، وقد أبى أهلُه بيعه .

* * *

(١) الضغائن : الأحقاد .

(٢) عسعس : يقال : عسعس الليل : إذا أقبل ظلامه أو أدبر .

(٣) يزيد بن عبد الملك بن مروان ولد سنة ٧١ هـ ، وتولى خلافة

بعد عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٤ هـ وتوفي سنة ١٠٥ هـ .

هَشِيَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ (١)

ذَكَرَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ (٢) خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ عِنْدَ هِشَامٍ ، فَقَالَ هِشَامُ : إِنَّ خَالِدًا أَدَلَّ فَأَمَلَّ (٣) ، وَأَوْجَفَ فَأَعْجَفَ (٤) ، وَلَمْ يَتْرِكْ لِأُوبَةَ مَرْجَعًا ، وَلَا لِلصَّالِحِ مَوْضِعًا ، وَإِنِّي لَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ (٥) :

إِذَا انصرفتْ نفسي عن الشيء لم تكذبْ

إِلَيْهِ بِوَجْهِ آخِرِ الدَّهْرِ تُقْبَلُ

نَهَضَ هِشَامٌ عَنْ مَجْلِسِهِ مَرَّةً ، فَسَقَطَ رِدَائُوهُ عَنْ مَنْكِبِهِ ، فَتَنَاولَهُ بَعْضُ جُلَسَائِهِ ؛ لِيُردَهُ إِلَى مَوْضِعِهِ ، فَمَجَذَبَهُ هِشَامٌ مِنْ يَدِهِ ، وَقَالَ : مَهَلًا ، إِنَّا لَا نَتَّخِذُ جُلَسَاءَنَا خَوَلَاءَ (٦) .

-
- (١) هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَوُلِدَ سَنَةَ ٣١ هـ ، وَتَوَلَّى الْخِلاَفَةَ سَنَةَ ١٠٥ هـ ، بَنَى الرِّصَافَةَ وَكَانَ يَسْكُنُهَا صَيْفًا ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ١٢٥ هـ .
- (٢) خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُنْتَقِرِيُّ ، مِنْ فَصْحَاءِ الْعَرَبِ .
- (٣) أَدَلَّ بِالْمَحَبَةِ فَأَفْرَطَ ، وَأَدَلَّ فَأَمَلَّ مِثْلَ يَضْرِبُ ذَلِكَ .
- (٤) أَوْجَفَ الدَّابَّةَ : حَثَّهَا ، وَأَعْجَفَهَا : أَهْزَلَهَا .
- (٥) قَائِلُ الْبَيْتِ مَعَنَّ بْنِ أَوْسِ الْمَزْنِيِّ .
- (٦) الْخَوْلُ : الْعَبِيدُ وَالْإِمَاءُ وَالْحَاشِيَةُ وَنَحْوُهَا . يَسْتَوِي فِي لَفْظِهِ الْمُؤَنَّثُ وَالْمَذْكَرُ وَالْمُفْرَدُ وَالْجَمْعُ .

عُدَّتْ لهشام - مع دهائمه - سقطتان إحداهما :
أن الحادي حداه به ؛ فقال :

إنَّ عليكَ أيها البُخْتَمِيُّ (١)
أكرمَ منْ تمشي به المَطِييُّ
فقال هشام : صدق .

والأخرى : أنه ذُكر عنده سليمانُ بن عبد الملك ؛
فقال : والله لأشكوئنّه يوم القيامة إلى أمير المؤمنين
عبد الملك .

وقال له مَسَلَمَةُ أخوه : كيف تطمَعُ في الخِلافةِ
وأنتَ بَخِيلٌ . وأنتَ جبانٌ ؟ قال لأنّي حلِيمٌ وأني
عَفِيفٌ .

* * *

الوليدُ بنُ يزيدَ (٢)

أنّي هشام بعُودٍ ؛ فقال للوليد : ما هذا ؟ قال :
خشب يُشَقَّقُ ثم يرقَّقُ ، ثم يُلصَقُ ثم تعالِقُ عليه

-
- (١) الجمال البخية : الخراسانية ، والبختي صفة للجميل منها .
(٢) الوليد بن يزيد بن عبد الملك ولد سنة ٨٤ هـ وولي الخِلافة
سنة ١٢٥ هـ .

أوتارٌ فينطق فتضرب الكرامُ رؤوسها بالحيطانِ سروراً
به . وما في المجلس أحدٌ إلا وهو يعلمُ منه ما أعلمهُ ،
وأنت أولهُمُ يا أمير المؤمنين . .

وقد قيل : إنَّ هذا الكلامَ هو للوليد بن مسعدة
الفزاري مع عبد الملك بن مروان .

وحكى بعضهم قال : رأيتُ هشامَ بن عبد الملك
يوم تُوفي مسلماً بن عبد الملك إذ طلَعَ الوليد وهو
نشوانٌ يجرُ مطرفَ حنْزُ ، فوقف على هشام ، فقال :

يا أمير المؤمنين ؛ إنَّ عُقبى من بقي لحوقٌ بمن
مضى ، وقد أفقرَ بعدَ مسلمة الصيْدُ (١) لمن رُمى ،
واختل الثغرُ (٢) فوهى ، وعلى إثر من سلفَ يمضي من
خلف ؛ فتزودوا ، فإن خيرَ الزادِ التَّقوى . قال :
فأعرض هشامٌ ولم يجر جواباً ووجم الناس .

(١) أفقر الصيد : أمكن الصيد من فقاره لراميه والمعنى أن مسامة
كان يغزو العدو ويرده ، فحين مات اختل بلد الاسلام وأمكن لمن يتعرض
إليه .

(٢) الثغر : الخد مع العدو .

وقيل : كان عمرُ بنُ الخطابِ - رضي اللهُ عنه -
يأخذ بيده اليمنى أذنه اليسرى (١) ثم يجمع جراميزه (٢)
ويثبُ ؛ فكأنما خُلِقَ على ظَهْرِ فرسِهِ ، فكان الوليدُ
ابنُ يزيدٍ يفعلُ مثلَ ذلك ، وفعلهُ مرةً وهو ولي عهدِهِ ،
ثم أقبل على مسلمة بن هشام (٣) : فقال له : أبوكَ يُحسِنُ
مثلَ هذا ؟ فقال مسلمةُ : لأبي مائةُ عبدٍ يحسِنونَ
هذا . فقال الناس : لم ينصفهُ في الجواب .

* * *

يَزِيدُ بنُ الْوَلِيدِ بنِ عَبَسَدِ الْمَلِكِ (٤)
لما قُتِلَ الْوَلِيدُ بنُ يَزِيدَ قامَ يَزِيدُ خطيباً ؛ فحمد
الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :
أَيُّهَا النَّاسُ ؛ وَاللَّهِ مَا خَرَجْتُ أَشْرَأَ وَلَا بَطْرَأَ ،

(١) المراد « بأذنه اليسرى » أذن الفرس .

(٢) جراميزه : مجموع بدنه .

(٣) مسلمة بن هشام بن عبد الملك من القواد ، مات في خلافة أبيه .

(٤) يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، الملقب بالناقص ، ولد سنة

٨٦ هـ ، وثار على ابن عمه الوليد بن يزيد وقتله ، وتولى الخلافة سنة ١٢٦ هـ
ولم يمكث بها غير خمسة أشهر ، وتوفي في السنة نفسها .

ولا حرصاً على الدنيا ، ولا رغبةً في الملكِ ، وما بي
 إطراء نفسي ، وإني لظلومٌ لنفسي إن لم يرحمني ربِّي ؛
 ولكنني خرجتُ غضباً لله ولدينه ، وداعياً إلى اللهِ ،
 وإلى سنةِ نبيه ، لما هُدِمَت معالمُ الهدى ، وأطفئِي
 نورُ أهلِ التقوى ، وظهر الجبارُ العنيد ، المستحلُّ لكلِّ
 حرمةٍ ، والراكبُ لكلِّ بِدعةٍ ، مع أنه واللهِ ما كانَ
 يؤمنُ بيومِ الحسابِ ؛ وإنه لابنُ عمِّي في النسبِ ،
 وكفُئِي في الحسبِ .

فلما رأيت ذلك استخرتُ اللهَ في أمري ، وسألتُهُ
 ألا يَكِلَني إلى نفسي ، ودعوتُ إلى ذلك من أجنبي من
 أهلِ ولايتي ، حتى أراحَ اللهُ منه العبادَ ، وطهرَ منه
 البلادَ بحولِ اللهِ وقوتهِ ، لا بحولي وقوتي .

أيها الناس ؛ إن لكم عليَّ ألا أضَعَ حجراً على حجرٍ ،
 ولا لبنَةً على لبينةٍ . ولا أكْرِي (١) نهراً ، ولا أكنِزَ
 مالاً ، ولا أعطِيه زوجةً ولا ولداً ، ولا أنقلَ مالاً
 من بلدٍ إلى بلدٍ ، حتى أسُدَّ فقرَ ذلك البلدِ وخصاصةَ

(٢) كرى النهر، يكرهه ويكرهه : حفره .

أهليه (١) ، بما يُغنيهم ، فإنَّ فضلَ نقلته إلى البلدِ الذي يليه ممن هوَ أحوَجُ إليه منه ، ولا أجمركم (٢) في بعوثِكُم فأفتنكُم ، وأفتنَ أهليكم ، ولا أغلقَ بابي دونكم فيأكل قوئِكُم ضعيفَكُم ، ولا أحملَ على أهلِ جزيَّتِكُم ما أجلبهم به من بلادِهِم ، وأقطعَ نسلهم ، ولكنَّ عندي أعطياتِكُم في كلِّ سنةٍ ، وأرزاقِكُم في كلِّ شهرٍ ، حتى تستدِرَّ (٣) المعيشةُ بين المسلمينَ ، فيكونَ أقصاهم كأدناهم .

فإنَّ أنا وفيتُ لكم فعليكمُ السمعُ والطاعةُ ، وحسنُ المؤازرةِ والمكائفةِ (٤) ، وإنَّ أنا لم أوفِ لكم فلکم أن تخاعوني إلا أن تستيبوني ؛ فإنَّ تُبَّتْ قبائِلُهم مني .
وإن عرفتمُ أحداً يقومُ مقامي مَسَّنَ يُعرفُ بالصلاحِ ، يعطيكم من نفسه مثلَ ما أعطيتُكم ، فأردتم أن تباعوه ، فأنا أولُ من بآيعه ، ودخل في طاعته .

* * *

(١) الخصاصة . وكذلك الحصاص ، الفقر وسوء الحال والخاصة .

(٢) جبر الجند حبسهم في الثغور عند أرض العدو .

(٣) استدر . كثر .

(٤) المكائفة . المعاونة .

مَسَلَمَةُ (١)

قال : عجبتُ لمن أحفى شعره (٢) ثم أعفاه ،
وقصّر شاربه ثم أطاله ، أو كان صاحبَ سراري (٣) ؛
فاتَّخَذَ المَهَيِّراتِ (٤) .

ولما حضرته الوفاة أوصى بثلث ماله لأهل الأدب ،
وقال : صناعةٌ مجفوءٌ أهلها .

وكان إذا كثُرَ عليه أصحابُ الحوائجِ وخشي
الصَّجْرَ أمر أن يُحضِرَ ندماؤه من أهلِ الأدب ؛ فيتذاكرون
مكارمَ الناسِ وجميل طرائقِهِم ومروعاتِهِم فيطربُ ،
ويهيجُ ، ثم يقول : ائذِنوا لأصحابِ الحاجة ؛ فلا يدخل
أحدٌ إلا قضى حاجته .

وقال له هشام : يا أبا سعيد ؛ هل دخلك ذُعرٌ

-
- (١) مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، من أبطال بني أمية ، وله فتوحات شهيرة ، توفي بالشام سنة ١٢٠ هـ تقريباً .
(٢) أحفى الشعر : قصره وخفف منه .
(٣) السراي : جمع سرية وهي الأمة .
(٤) المهيرات : ذوات المهر .

قطُّ لحربٍ شهدتها أو لعدوٍّ؟ قال : ما سلمتُ في ذلك
من دُعرٍ يَنْبَه عليَّ حيلةً ، ولم يَعْشَشِي فِيهَا ذَعْرٌ
يَسْلُبُنِي رَأْيِي . قال هشام : هذه البَسْأَلَة .

ودخل على عُمَرَ بنِ عبد العزيز في مرضه الذي مات
فيه ؛ فقال : أَلَا تُوَصِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قال : بِيَمِّ
أَوْصِي ؟ فَوَاللَّهِ إِنَّ لِي مِنْ مَالٍ (١) . فقال : هذه مائةُ
أَلْفٍ ، مُرُّ فِيهَا بِمَا أَحْبَبْتَ . قال : أَوْ تَقْبَلُ ؟ قال :
نَعَمْ . قال : تَرُدُّهَا عَلَيَّ مِنْ أَخَذْتَهَا مِنْهُ ظُلْمًا . فبَكَى
مَسْلَمَةٌ ثُمَّ قَالَ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، لَقَدْ أَلَنْتَ مَنْنًا قَلُوبًا
قَاسِيَةً ، وَأَنْقَبَ لَنَا فِي الصَّالِحِينَ ذَكَرًا .

واستبطأ عبدُ الملكِ ابنهَ مسامةَ في مسيرهِ إلى الروم ؛
فكتب إليه :

لِمَنْ الظَّعَّائِنُ سِيرُهُنَّ تَزَحَّضُفُ؟
سَيَّرَ السَّفِينِ إِذَا تَقَاعَسَ يُجَدَفُ (٢)

(١) إن نافية بمعنى ليس ومن زائدة

(٢) البيت لأعنى همدان ، مطلع قصيدة قاطها وهو أسير ببلاد الروم

فلما قرأ مسلمات الكتاب ، كتب في جوابه :

ومستعجبٍ مِمَّا يَرَى من أُنَاتِنَا
ولو زَبَنَتْهُ (١) الحربُ لم يَتَرْمِمْ (٢)

* * *

مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ (٣)

دخل عبد الرحمن بن عطية التغلبي على مروان بن محمد ، فاستأذنه في تقبيل يده فأعرض عنه ، ثم قال له :
قد عَرَفَ أميرُ المؤمنين موضعَكَ في قومِكَ ، وفضلَكَ
في نفسك ، وتقبيلُ اليدِ من المسلمِ ذِلَّةٌ ، ومن الذمِّي
خديعةٌ ولا خيرَ لكَ في أن تَسْزِلَ بَيْنَ هَاتِنِ .

قالوا : كان يأخذ مروانُ بنُ محمدٍ كلَّ سَنَةٍ من
الجزاة قباعين (٤) ، فإذا أخسأتهما ردهما إلى الجزاة
وأخذ جديدين .

(١) زبنته الحرب : دفعته وصدته

(٢) يترمم : يحرك فاه بالكلام . والبيت لأوس بن حجر .

(٣) مروان بن محمد بن مروان ، وهو ابن أخى عبد الملك بن مروان ، آخر الخلفاء الأمويين ، ولد سنة ٧٣ هـ استولى على الملك سنة

١٢٧ هـ ، هزم في موقعة الزاب ، وقتل بمصر سنة ١٣٣ هـ

(٤) قباعين : منى قباء ، وهو نوع من الثياب

كتب إلى بعض الخوارج : إني وإيّاك كالزجاجة والحجر ، إن ودعَ عليها رَضَّها ، وإن وقعت عليه فَضَّها .

قال الأصمعي : ما ولي مروانُ الخلافةَ أرسلَ إلى ابنِ رَغْبَانَ (١) — الذي نُسبَ إليه بعد ذلك مسجدُ ابنِ رَغْبَانَ — ليوليَّه ، فأذ . لهُ سجَّادَةٌ مثل رُكبةِ البعير ، فقال . يا هذا ؛ إن كان مابكَ مِن عبادَةٍ فما يحلُّ لنا أن نُسَخِّلكَ . وإن كان من رياءٍ فما يحلُّ لنا أن نستعبدناك .

قال (٢) عبد الحميد : تعلَّمتُ البلاغةَ من مَرَّوَانَ ، أمرني أن أكتبَ في حاجةٍ فكتبتُ على قدرِ الموسعِ ؛ فقال لي : اكتب ما أقول لك :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أما آنَ للحُرْمَةِ أن تُرعى ، وللدِّينِ أن يُقضى ،
وللموافقةِ أن تُتوخى !

(١) هو مولى حبيب بن مسلمة من فريش .

(٢) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد المشهور بعبد الحميد الكاتب أول من طول الرسائل ، وأهس فيها . اختص بمروان بن محمد ، وقتله العباسيون معه سنة ١٣٢ هـ .

ووقع إلى عاملٍ بالكوفة : حَابٍ عَيْلِيَّةَ النَّاسِ فِي
كَلَامِكَ ، وَسَوْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السُّعْلَةِ فِي أَحْكَامِكَ .

قالوا : وَإِنَّمَا لُقِّبَ بِالْحِمَارِ لِأَنَّ أَصْحَابَ أَبِي
مُسْلِمٍ لَمَّا خَرَجُوا كَانُوا حَمَّارَةً ، فَكَانَ الْوَاحِدُ إِذَا
اسْتَعَجَلَ حِمَّارَهُ يَقُولُ : هَرْمَرَوَان . هَيْسٌ ، مَرَوَان (١)
فَلَمَّا ظَفَرُوا بِهِ اسْتَمَرَّ بِهِ اللَّقْبُ .

قال عمر بن مروان : عرض أبي بظهر الكوفة
ثمانين ألفَ عربيٍّ ، ثم قال بعد أن وثق في نفسه بكثرة
العُدَدِ والعُدَدِ : إِذَا انْقَضَتِ الْمُدَّةُ لَمْ تُعْنِ الْعِدَّةُ
وَالْعِدَّةُ (٢) .

قال بعض القرشيين : وفد على مروان بن محمد -
وقد تولّى الخلافة - ونزل حرّان (٣) قال : فتوالت على
بابه الوفودُ ؛ فخرج لإيئادِئِهِ ، فقال : أميرُ المؤمنين

-
- (١) هرر . هرهرت بالفنم دسوتها ، واطر ضرب من زجر الإبل
وهس ، بكسر الهاء وضمها : زجر الشاة
(٢) أي لا ينفع الرجال ولا السلاح .
(٣) حران . مدينة عطيمة مشهورة على طريق الموصل والشام .

يغسلُ تبابه . فمن أراد أن يُقيمَ فليقم . ومن أراد أن
ينصرفَ فلينصرف . فجعل الناس يعجبون من ذلك .
ولم يبرح أحدٌ .

وكان يُقال : لو ذهبت دولةُ بني مروانَ على يد
غير مروانَ لقال الناسُ : لو كان لها مروانٌ ما ذهبت .

* * *

الباب الثالث

كلام الخلفاء من بني هاشم السفاح^(١)

رفع بعضُ السُّعَاةِ إليه قِصَّةً بِسِيعَايَةٍ عَلَى بَعْضِ
عَمَالِهِ ، فَوَقَّعَ فِيهَا :

هَذِهِ نَصِيحَةٌ لَمْ يُرَدِّ بِهَا مَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَنَحْنُ فَلَا نَقْبَلُ
قَوْلَ مَنْ آثَرْنَا عَلَى اللَّهِ .

وَمِنْ كَلَامِهِ : إِنَّ مِنْ أَدْنِيَاءِ النَّاسِ وَوَضَعَائِهِمْ مَنْ
عَدَّ الْبُسْخَلَ حَزْمًا ، وَالْحِلْمَ ذُلًّا .

وَمِنْهُ : إِذَا عَظُمَتِ الْمَقْدِرَةُ قَلَّتِ الشَّهْوَةُ ، وَقَلَّ
تَبَرُّعُ^(٢) إِلَّا وَمَعَهُ حَقٌّ مُضَاع .

وَمِنْهُ : إِذَا كَانَ الْحِلْمُ مَتَفَسِّدَةً كَانَ الْعَفْوُ مَعَجِزَةً ،
وَالصَّبْرُ حَسَنٌ إِلَّا عَلَى مَا أَوْتَعَ الدِّينَ (٢) ، وَأَوْهَنُ

(١) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، أول خلفاء
العباسيين ، ولد سنة ١٠٤ هـ ولقب بالسفاح ، لقوله في إحدى خطبه .
« فأنا السفاح الهائج » توفي سنة ١٣٦ هـ .

(٢) أوتغ . أهلك .

السلطان . والآناةُ محمودةٌ إلا عند إمكانِ الفرصة .

قالوا : كأنهم المنصورُ أبا العباس في محمد بن عبد
الله بن حسن وأهله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، آنسهم
بالإحسان ، فإن استوحشوا فالشرُّ يُصالح ما عجز عنه
الخيرُ ، ولا تدعُ محمداً يمرحُ في أعينَةِ العقوق .

فقال : يا أبا جعفر ، إننا كذلك . ومن شدّد نفّر ،
ومنّ لان تآلف . والتغافلُ من سجايا الكرامِ ،
وما أحسن ما قال أعشى وائل (١) :

يُغضّي عن العوراء (٢) ، أو
لا الحيلُهم غيرهما انتصاره

وكان يقول : إنّ المقدرةَ تُصغِرُ الأمنية ، لقد كنّا
نستكثرُ أمورا ، أصبحنا نستقلها لأخسّ منّ صحيننا ،
تم نسجد شكرا .

* * *

(١) هو الشاعر أعشى بن عيسى المشهور .

(٢) العوراء . الكلمة أو الفعلة القبيحة

المنصور (١)

ذكر يوماً ملوك بني مروان ، فقال : كان عبدُ
الملكِ جبّاراً لاببالي ماصنع ، وكان الوايدُ لحاناً مجنوناً ،
وكان سليمانُ همته بطنه وفرجه ، وكان عمرُ أعورَ
بين عميانٍ ، وكان هشامُ رجل القوم .

لما اتصل به خروجه محمد وإبراهيم (٢) - رضی
الله عنهما - سنَّ (٣) عليه درعد ، وتقلد سيفه وصعد
المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وقال .

مالي أكفكف عن سعدٍ وتشتمني
ولو شتمتُ بني سعدٍ لقد سكتوا
جَهلاً علينا ، وجبناً عن علوهو
لبست الحلتانِ : الجهلُ والجهنُّ (٤)

-
- (١) ثاني خلفاء العباسيين ، ولد سنة ٩٥ هـ ، وولي الخلافة سنة ١٣٦ هـ .
نبي بغداد وقويت بتشجيعه حركة الترجمة . توفي سنة ١٥٨ .
(٢) محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن العلوي : خرج أولهما
سنة ١٠٤ هـ بالمدينة ، وتبعه الثاني في السنة نفسها بالبصرة .
(٣) سن درعه . أسبغته عليه .
(٤) البيان لقنن بن أم صاحب ساعر إسلامي كان في عهد الوليد بن
عبد الملك .

أما والله لقد عَجَزُوا عما قُمنَا به ، فما عضدُوا
المكافئَ ، ولا شكروا المنعم .

فماذا حاولُوا ؟ أشرب رنقاً (١) على غصص ،
وأبيتُ منهم على مَضَض ؟ كلاًّ والله أصل ذَا رحمٍ
حاولَ قَطِيعَتَهَا ، ولئن لم يرضَ بالعفوِ ليطلُبَنَّ مالا
يوجدُ عندي ، فليُبقِ ذو نفسٍ على نفسه ، قبل أن
تمضيَ عنه ، ثم لا يُبكيَ عليه ، ولا تذهبُ نفسٌ
مَسْرَةً لما أتاه .

وخطب بعد قتلِهِ أبا مسلم (٢) ، فحمد الله ، ثم أثنى
عليه ، ثم قال : أمّا بعد ، أيها الناسُ ، فإنه من نازعنا
عُرُوةَ هذا التميميِ أوطأناه خبيء (٣) هذا الغمدي -
وأوماً إلى سيفه - وإنَّ عبدَ الرحمنِ بايعَنَا ، وباعَ
أنا على أنه منْ نكثَ بنا فقد حلَّ دَمُهُ ، ثم نكثَ بنا ،
فحكمتنا فيه لأنفسنا حكمته على غيرِهِ لنا ، ولم تمنه :
رعايةُ الحقِّ له من إقامة الحدِّ عليه .

(١) الرنق : الماء المختلط بالطين .

(٢) قتل المنصور أبا مسلم سنة ١٣٧ هـ .

(٣) خبيء الغمد : ما استتر فيه والمراد السهف .

أهوى (١) هشام (٢) بن عروة إلى يده ليقبّلها ،
فقال له : يا أبا المنذر ، إننا نكرمك عنها ، ونكرمها
عن غيرك .

استأذن سوار (٣) قاضي البصرة على المنصور .
فأذن له ، فدخل وسأله ، فقال المنصور : وعليك السلام .
ادنُ أبا عبد الله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أأدنو على
مامضى عليه الناس أم على ما أحدثوا؟ (٤) فقال : بل على
مامضى عليه الناس ، فدنا فصافحه تم جلس ، فقال
المنصور : يا أبا عبد الله ، قد عزمتُ على أن أدعو أهل
البصرة بسجلاتهم ، وأشريتهم (٥) ، فقال : يا أمير
المؤمنين ، نشدتك الله ألا تعرض لأهل البصرة . فقال :
ياسوار ، أبأهل البصرة تهددني؟ والله لممت أن أوجه

(١) أهوى : انحط من قرب .

(٢) هشام بن عروة بن الزبير ، ولد سنة ٦١ هـ ، من علماء الحديث ،
توفي ببغداد سنة ١٤٦ هـ .

(٣) سوار بن عبد الله قاضي البصرة ، تولى قضاءها سبع عشرة سنة .

(٤) يريد بما مضى عليه الناس : المصافحه ، وبما أحدثوا : تقبيل اليد .

(٥) الأشرية : جمع شري أو شراء .

إليهم من يأخذ بأفواه سكتهم وطرقهم ، ويضعُ السيف فيهم فلا يرفعهُ عنهم حتى يفنيههم . فقال : يا أمير المؤمنين ، ذهبت إلى غير ما ذهبتُ إليه ، إنما كرهتُ لك أن تتعرض لدعاء الأرملةِ واليتيمِ ، والشيخِ الكبيرِ الفاني ، والحدثِ الضعيفِ . فقال : يا أبا عبدِ الله ، أنا للأرملةِ بعلٌ ، ولليتيمِ أبٌ ، وللشيخِ أخٌ ، وللحدثِ الضعيفِ عمٌ ، وإنما أريدُ أن أنظرَ في سجلاتهم وأشرِيتهم لأستخرج مافي أيدي الأغنياء ، مما أخذوه بقوتهم وجاهيهم من حقوق الضعفاء والفقراء . فقال : وقتك الله للخيرِ ، وأرشدك لما يُحبُّ ويرضَى .

كان المنصورُ يقولُ : الملوكُ تحمل كلَّ شيء إلا ثلاثَ خلالٍ : إفشاء السرِّ ، والتعرض للحرمِّ ، والقدح في الملكِ .

وقال : إذا مدَّ عدوكُ يدهُ إليك فاقطعها إن أمكنك ، وإلا فقبلها .

وخطبَ بمكةَ وقد أمَّلَ الناسُ عطائه ، فقال : أيها الناس ، إنما أنا سلطانُ الله في أرضه ، أسوسكم

بتوقيفه وتسديده ، وخازنه على فيثيه ، أعمل فيه
 بمشيئته وأقسمه بإرادته ، وقد جعلني الله عز وجل
 قنلاً عليه ، إذا شاء أن يفتحنني فتحني ، وإذا شاء أن
 يقفلني أقفلني ، فارغبوا إلى الله أيها الناس في هذا
 اليوم الذي عرفكم من فضله ما أنزله في كتابه ، فقال
 جل اسمه : (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت
 عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً) (١) أن يوفقتني للصواب ، ويسدني للرشاد ،
 ويلهمني الرأفة بكم ، والإحسان إليكم ، ويفتحنني
 لأعطيائكم ، وقسم أرزاقكم فيكم ، إنه قريب مجيب .

فقال ابن عيَّاش المتوفى : أحال (٢) أمير المؤمنين
 بالمتنع على ربه .

خطب المنصور بالكوفة فقال : الحمد لله أحمده ،
 وأستعينه ، وأومن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله
 إلا الله وحده ، لا شريك له ، وأراد أن يقول : وأشهد أن
 محمداً عبده ورسوله ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين ،

(١) سورة المائدة : ٣ .

(٢) أحال الغريم : زجاء إلى غريم آخر .

أذَكَرَكَ مَنْ تَذَكَّرُ بِهِ ، فقال المنصورُ : سَمِعَا سَمِعَا
 لمن فهمَ عن الله ، وأعوذُ بالله أن أذكَرَ بالله وأنساه ،
 وأن تأخذني العزةُ بالإثم : (قد ضللتُ إذا وما أنا مِنِ
 المُهتدِينَ) (١) وأنتَ والله ما الله أردتَ بذلك ، ولكن
 حاولتَ أن يُقالَ : قامَ فقالَ فعوقِبَ فصبر ، وأهونُ
 بها وبقاتلها ! ولو صممتَ لكانَ خيراً له ، فاهتَبيلها
 إذا غفرتُها ، وإياكم وأخواتها ، فإن الموعظةَ علينا
 نزلتْ ، ومِن عندنا انبثتْ ، فرُدُّوا الأمر إلى أهله
 يصدِرُوهُ كما أوردُوهُ ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .
 ورجع إلى خطبته .

وقال للمهديّ ابنه : يا أبا عبد الله ، لا تُبِرَ مَنْ
 أمراً حتى تفكَّرَ فيه ، فإنَّ فكرةَ العاقِلِ مرآةٌ تُريه
 قبيحَه وحسنه .

وقال له : يا أبا عبد الله ، الخليفةُ لا يُصلِحُه إلاَّ
 التقوى ، والسلطانُ لا يُقيمُه إلاَّ الطاعةُ ، والرعيةُ
 لا يُصلِحُها إلاَّ العدلُ ، وأولى الناس بالعفوِ أقدرُهم على

(١) سورة الأنعام : ٥٦ .

العقوبة ، وأنقصُ الناسُ مروةً وعقلاً مَنْ ظلمَ من هو دونه .

وقال له الربيعُ : إن لفلانٍ حقاً ، فإن رأيت أن تفضيه فتوليه ناحيةً . فقال : ياربيعُ ، إن لاتصاله بنا حقاً في أموالنا ، لاني أعراض المسلمين وأموالهم . إننا لانولي للحرمةِ والرعاية ، بل للاستحقاق والكفاية ، ولا نُؤثِرُ ذا النسب والقرباة على ذي الدرايةِ والكتابةِ ، فمن كان منكم كما وصفنا شاركناه في أعمالنا ، ومن كان عطلاً (١) لم يكن عُدراً عند الناس في توليتنا إياهُ ، وكان العُدْرُ في تركنا له وفي خاصِّ أموالنا مايسعهُ .

* * *

المُهْدِيُّ (٢)

حكى أن رجلاً أتى باب المهديِّ ، ومعه نعلانٌ

(١) العطل . يقال للخالي من أي شيء ، وفي الأصل يقال في الخلو من

الخلي للنساء

(٢) محمد بن عبد الله المهدي ثالث الخلفاء العباسيين ، ولد سنة ١٢٧ هـ ،

وتولى الخلافة سنة ١٥٨ هـ كان شديداً على الزنادقة توفي سنة ١٦٤ هـ .

فقال : هما نعلاتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 فعُرِفَ المهديُّ ، فأَدْخَلَهُ ووصَلَهُ ، فلما خرج قال
 المهديُّ : والله ما هذا نعلُ رسول الله - صلى الله عليه
 وسلم - ومن أين صارتُ إليه ؟ أَسْمِي رَاثٍ أم بشرى (١) أم
 بهية ؟ لكني كرهتُ أن يقال : أهدي إليهِ نعلُ رسول الله
 - صلى الله عليه وسلم - ، فلم يقبلها ، واستخفَّ بحمَّتها .

قال الربيعُ : لما حَبَسَ المهديُّ موسى بنَ جعفر
 - رضي الله عنه - (٢) رأى في النوم علياً - رضي الله عنه -
 وهو يقول له : يا محمد ؛ (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ
 أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) (٣)
 قال الربيعُ : فأرسلَ إليَّ ليلاً فرَاعَنِي ذلكَ ، وإذا
 هو يقرأُ هذه الآيةَ - وكان أحسنَ الناسَ صوتاً - فعرفني
 خبرَ الرؤيا . وقال : عليٌّ بموسى بنِ جعفر . فهجَّتهُ
 به ؛ فعانقتهُ وأجلَّسهُ إلى جانبيه ، وقال : يا أبا الحسنِ ؛

(١) الشرى والشراء بمعنى واحد .

(٢) هو موسى بن جعفر الطالبي ، ولد سنة ١٤٥ هـ . حبسه المهدي

ثم أطلقه .

(٣) سورة محمد : ٢٢ .

إنِّي رأيتُ أميرَ المؤمنينَ - رضي الله عنه - فقراً عليّ كذا .
أفتؤمّسني أن تخرج عليّ ، أو عليّ أحدٍ من ولدي ؟
فقال : والله ما ذاك شأني . فقال : صدقت . يا ربيعُ ؛
أعطيه ثلاثةَ آلافِ دينارٍ ، وردّه إلى أهلهِ بالمدينةِ .

ولما استخيفَ أخرج من في السجون ، فقيل له :
إنما تُزري عليّ أبيك ؛ فقال : لا أزرِي ، ولكنّ أبي
حبس بالذنبِ ، وأنا أعفو عنه .

وولّى الربيعَ بنَ أبي الجهمِ فارسَ ؛ فقال له :
يا ربيعُ ؛ آثر الحق ، والنزَمِ القصدَ ، وارفقْ بالرعيةِ ،
واعلم أنّ أعدلَ الناسِ من أنصفَ الناسَ من نفسه ،
وأجورهم من ظلمهم لغيره .

قيل : كان المهديُّ يُصليّ الصلواتِ كأنّها في المسجدِ
الجامعِ بالبصرة لما قدِمَ مَها ، فأقيمتِ الصلاةُ يوماً ؛
فقال أعرابيٌّ : يا أميرَ المؤمنينَ لستُ على طُهرٍ ، وقد رغبتُ
إلى الله في الصلاةِ خلفك ، فإمرٌ هؤلاء أن ينتظروني
فقال : انتظروه رحمكم الله ؛ ودخل إلى المحرابِ ،

فوقفت إلى أن أقبلَ ، وقيل له : قد جاءَ الرجلُ ؛ فعمجب
الناسُ من سماحةِ أخلاقِهِ .

هاجتُ رِيحُ سوداءُ في أيامِ المهدي ، فرؤي وهو
ساجدٌ يقول : اللهم لا تُسَمِّتْ بنا أعداءَنا من الأممِ
واحفظْ فينا دعوةَ نبيِّنا - صلى الله عليه وسلم - وإن
كنتُ أخذتُ العامةَ بذنبي فهذهِ ناصيتي بيدِكَ (١) .

وكان المهديُّ يحبُّ الحَمَامَ ؛ فأدخِلَ عايه غِيَاثُ بنُ
ابراهيم ؛ فقبل له : حدثتُ أميرَ المؤمنين وكان قد بلغه
استهتارُ (٢) المهديِّ بالحَمَامِ ؛ فقال : حدثتني فلانٌ عن
فلان عن أبي هريرة - رفعه - أنه قال : « لا سَبَقَ
إِلَّا في حافِرٍ أو نَصَلٍ أو جَنَاحٍ » (٣) ؛ فأمر له بعشرة
آلاف درهم . فلما قامَ ، قالَ المهدي ، وهو ينظرُ في
قَفَا غِيَاثَ : أشهدُ أن قَفَاكَ قَفَا كَدَّابِ علي رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - وإتَمَّا استعجلتُ ذلكَ أنَا ،
وأمرَ بالحَمَامِ فليُدْبَحَ .

* * *

(١) الناصية : قصاص الشعر في مقدم الرأس . يريد : أمري بيدك ،

(٢) الاستهتار بالشيء : الولوج به .

(٣) والحديث موضوع .

الهَادِي (١)

اعتانت أمه الخيزران (٢) ؛ فأراد الركوبَ إليها ،
فقال عمرُ بن بزيع (٣) ألا أدلتك على ما هو أنفعُ
من عيادتها ، وأجلبُ لعافيتها ؟ قال : بلى . قال :
تجلس للمظالم ؛ فقد احتاج الناسُ إلى ذلك ، فرجع وجلس
ووجهه إليها : إني أردتُك اليوم ، فعرضَ من حقِّ الله
ما هو أوجبُ ، فمِلتُ إليه ، وأنا أجيئك في غدٍ إن شاء
الله .

قال سعيد بن سائبم الباهلي : صلَّى بنا الهادي صلاةَ
الغداة فقراً : (عمَّ يتساءلون) (٤) فابما بلغ قوله
تعالى : ((أَلَسْمُ نَجْعَعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً)) أرتجح

(١) موسى بن محمد المهدي بن المنصور ولد سنة ١٤٤ هـ ، تولى
الخلافة سنة ١٦٩ هـ .

(٢) الخيزران بنت عطاء جارية اشترها المهدي ، وولدت له الهادي
والرشيد

(٣) عمر بن بزيع ، تولى ديوان زمام الأزمة في عهد المهدي ،
وديوان الرسائل في عهد الهادي .

(٤) سورة النبأ : ١ و ٦ .

عليه ؛ فردّدها ولم يجنّسها أحدٌ أن يفتتحَ عليه لهيبته ،
 وكان أهيبَ الناسِ ، فعلمَ ذلك فقراً : ((أليسَ منكم
 رجلٌ رشيدٌ)) (١) ففتّحنها عليه ، وكنا نعدُّ هذا من
 محاسنه .

* * *

الرشيدُ (٢)

قال لحاجبه : احجُبْ عنيّ منْ إذا قعدَ أطلال ،
 وإذا سألَ أحالَ ، ولا تَسْتَخِفِّنْ بدي الحُرْمَةِ ،
 وقدّمْ أبناءَ الدعوةِ .

عرض له رجلٌ وهو يطوفُ بالبيت ؛ فقال : يا أميرَ
 المؤمنين ؛ إني أريدُ أنْ أكلّمك بكلامٍ فيه خُشُوثةٌ
 فاحتمأه لي . قال : لا ، ولا كرامةَ ، قد بعثَ الله من هو
 خَيْرٌ منك إلى من هو شرُّ منّي ؛ فقال : ((فقولاً لهُ
 قولاً لَيْسَ)) (٣) .

(١) سورة هود : ٧٨ .

(٢) هارون الرشيد بن محمد المهدي ، ولد سنة ١٤٨ هـ ، وتولى

الخلافة سنة ١٧٠ هـ ، وتوفي سنة ١٩٣ هـ .

(٣) سورة طه : ٤٤ .

ولما احتضِر قال : واحيائي من رسول الله !

ودعا بعبد الملك بن (١) صالح وعندهُ ولاةٌ عهدهِ
وقوادٌ جُنْدِه ؛ فجِيءَ بهِ وهو يَرْسُفُ في قَيْدِه ،
فلما مثل بين يدي الرشيدِ . قال الرشيدُ :

أريدُ حياتَه ويريدُ قَتْلِي

عذِ بِرَكَ مِينَ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ (٢)

واللهِ لَسْكَأني أَنْظُرَ إلى شُؤْبِوِها (٣) . وقد هَمِعَ (٤) ،
وإلى عارضِها (٥) وقد لمع ، وإلى الوعيدِ قد أَوْرَى ناراً ؛
فَأَقْلَعَ عن رُؤوسِ بلا غَلَاصِمِ (٦) ، ومَعَاصِمِ بلا
بِرَاجِمِ (٧) ، مهلاً مهلاً بني هاشمٍ ، فبِئْسَ سُهْلَ لَكُمْ

(١) عبد الملك بن صالح العباسي ، من أمراء العباسيين ، حبسه الرشيد
سنة ١٨٧ هـ ، وأطلق الأيمن سراحه مات سنة ١٩٦ هـ .

(٢) البيت لعمر بن معد يكرب .

(٣) الشؤبوب : دفعة المطر .

(٤) همع المطر : سال .

(٥) العارض : السحاب المعترض في الأفق .

(٦) الغلاصم : جمع غلصمه وهي اللحمية بين الرأس والعتق .

(٧) البراجم : جمع برجمة وهي مفصل الإصبع .

الْوَعْرُ ، ووصفاً لكم الكَدْرُ ، فَتَنَدَارِ تَنَدَارِ (١) من
 حُلُولِ دَاهِيَةٍ خِيُوطٍ بِالْيَدِ ، لَسْبُوطٍ (٢) بِالرَّجْلِ .
 فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ أأتكلمُ فذّاً (٣) أو توأمأ ؟
 فقال : بل فذّاً ، فقال : اتَّقِ اللهَ يا أميرَ المؤمنين فيما
 ولأَكْ ، وراقبه فيما استرعاك ، ولا تجعلِ الشُّكْرَ
 بموضعِ الكُفْرِ لقولِ قائلِ يَنْهَسُ اللحمَ (٤) ، ويأخُ
 الدمَ ؛ فواللهَ لقد حدّدتُ القلوبَ على طاعتِكَ ، وذلّتُ
 الرجالَ لمحبتِكَ ، وكنْتُ كما قالَ أبو بني كلابٍ (٥) .
 ومقامٍ ضيِّقٍ فَرَجَّتُهُ

بياني ، ولساني ، وجدلُ
 أو يقومُ الفيلُ أو فسيالهُ
 زلَّ عنْ مِثْلِ مَقَامِي وَزَحَلُ (٦)

-
- (١) نذار : اسم فعل أمر بمعنى أندر .
 (٢) لبوط : صيغة مبالغة من لبط الأرض : ضربها برجله ضرباً
 شديداً .
 (٣) الفذ : الفرد .
 (٤) يهنس اللحم : يتنزعه بالثنايا للأكل .
 (٥) لبيد بن ربيعة .
 (٦) زحل : تحول عن المكان .

فأمر به فَرَدَّ إِلَى مَسْحِيهِ . ثم قال : لقد دعوت
به ، وأنا أرى مكانَ السيفِ من صَليْفِ قَفَاها (١) ، ثم
هَنا قد رثيتُ له .

كتب الرشيدُ إلى الفضل بن يحيى : أطال الله يا أخي
مُدَّتْكَ ، وأدامَ نِعْمَتَكَ ، والله ما منَعني من لِتِبانِكَ
إلا التَّطيرُ من عيادَتِكَ ؛ فاعِذِرْ أحماك ، فوالله ما قلاك
ولا سلاك ، ولا استبدل بك سِوَاكَ .

وعاتبته أم جعفر (٢) في تقيظهِ للمأمون ، دون
محمد ابنها ، فدعا خادماً بحضرته ، وقال له : وجهه إلى
محمدٍ وعبد الله خادِمَينِ حَصيفَينِ يقولان لكل واحد
منهما على الخلوة : ما يفعلُ به إذا أفضت الخلافة إليه ؟
فأما محمدٌ فإنه قال للخادمِ : أقطِعك وأعطيك ،
وأقدِّمك . وأما المأمون فإنه رمى الخادمَ بدِوَاةٍ كانت
بين يديه ، وقال : يا ابنَ اللَّخْناءِ (٣) ، أتسألُنِي عما أفعلُ

(١) صليْفِ القفا : عرضه أو رأس الفقر التي تلي الرأس .

(٢) أم جعفر هي زبيدة بنت جعفر بن المنصور تزوجها الرشيد
سنة ١٦٥ هـ وهي أول حفيذة خليفة وزوج خليفة وأم خليفة توفيت في
أيام المأمون سنة ٢١٦ هـ .

(٣) اللخناء : المشتتة الرائحة .

بك يوم يموتُ أميرُ المؤمنين ، وخليفةُ ربِّ العالمين ؟
إني لأرجو أن نكون جميعاً فداءً له .

فرجعا بالخبر ، فقال الرشيدُ لأم جعفرٍ : كيف
توينَ ؟ ما أقدمُ ابنك إلاّ متابعَةً لرأيك ، وتركاً
للحزمِ .

وسايرهُ يوماً عبدُ الملكِ بنُ صالح ، فقام رجل ،
فقال : يا أمير المؤمنين ، طأطىء من إشرافِهِ (١) ،
واشدُّ ذُشكائمه (٢) ، وإلاّ أفسد عليك مُلكك . فقال
الرشيدُ : يا عبدَ الملك ، ما هذا ؟ قال : حاسدٌ نعمة ،
ونافسُ رُتبةٍ أغضبه رِضاكَ عنيّ وباعده قُربك مني ،
وساعة إحسانك إليّ . فقال الرشيدُ : انخفَضَ القومُ
وعلوتهم ، فتوقّدتُ في قلوبهم جَمرةُ التأسُّف ، فقال
عبد الملك : أضرمَها الله بالتزيُّد عندك ، فقال : هذا
لك ، وذاك لهم

(١) الإشرافُ : العلو والانتصاب

(٢) الشكائمُ : جمع شكيمة ، وهي الحديدية عن اللجام ، المعترضة

في فم الفرس

ثان الحسنُ اللؤلؤيُّ(١) يختلفُ إلى المأمون ، يُلقي عليه الفرائضَ ، فدخل عليه ليلةً وقد صلى العشاء الآخرةَ ، فجعل يُلقي عليه ، ونعس المأمونُ فأطبقَ جفنته ، فقال الحسنُ : أنِمتَ أيها الأميرُ؟ ففتحَ عينيه - وهو إذ ذاكَ صبيٌّ - فقال : عاميُّ واللهِ لم يُغدِّ بالأدبِ ، خذوا بيده ولا تُعيدوه إليَّ .

فبلغ ذلك الرشيد ، فتمثل بقول زهير(٢) :

وهل يُنسبُ الخطيبيُّ(٣) إلا وشيجهُ(٤)
وتُغرَسُ إلاً في منابيتها النخلُ

وصعدَ يوماً المنبرَ وقد شغِبَ الجنُدُ ، ثم سَكَنُوا
بعد إيقاعِ بهم ، فقال :

الحمدُ لله ربَّ العالمين ، وصلى الله على ملائكته
المقرئينَ ، والأنبياء أجسعين .

(١) الحسن بن زياد اللؤلؤي ، مولى للأنصار ، تفقه بالكوفة ورحل إلى بغداد واتصل بالمأمون .

(٢) المراد زهير بن أبي سلمى .

(٣) الخطيبي : الرماح ، نسبة إلى خط البحرين .

(٤) الوشيحة : عرق الشجرة .

أما بعد ، فقد كان لكم ذَنْبٌ ، وكان لنا عَتْبٌ ،
وكان منكم اضطِلامٌ (١) ، وكان منّا انتقامٌ . وعندي
بعد هذا التنفيسُ عن المكروبين ، والتفريجُ عن المغومين ،
والإحسانُ إلى المحسنين ، والتَّعَمُّدُ (٢) لإساءةِ المسيئينَ ،
وَأَلَّا يُكْفَرَ (٣) لكم بلاءٌ ، ولا يُحِبَّسَ عنكم عطاءٌ ،
وعليٌّ بذلك الوفاءُ إن شاء الله . ثم نزل .

قال سعيدُ بن سلمٍ : كان فهمُ الرشيدِ قَهْمَ
العلماءِ . أنشده العُمَاني (٤) في صفة فرس :

كَأَنَّ أذُنَيْهِ إِذَا تَشَوَّقَا (٥)
قَادِمَةً أَوْ قَلَمًا مُحَرَّفَا

فقال الرشيدُ : دَعُ كَأَنَّ ، وقُل : تخالُ أذنيه
حتى يستويَ الشعرُ .

(١) اضطلم الشيء : اجتثه من جذوره .

(٢) التعمد : السَّتر ، وأصله من تخبئة السيف في غمده .

(٣) يكفر : يمحذ .

(٤) هو محمد بن ذؤيب الدارمي ، اشتهر بلقب العماني ، ولم يكن

من عمان ، شاعر رجاز متوسط من شعراء الدولة العباسية .

(٥) تشوف : نصب عنقه .

أُنشد النَّمْرِيَّ (١) الرَّشِيدَ شِعْراً يَقولُ فيه :

ليستْ كَأَسْيافِ الحُسَيْنِ ولابني
حَسَنٍ ، ولآلِ الزبيرِ الكُلِّلِ (٢)

فقال له الرشيد : وماتوا لثعك (٣) بذِكْرِ قَوْمٍ
لا يبالُهُم ذمٌّ إلاَّ شاطرتُهُم إياه . قَدَّ رَأبِي هذا منك
وفيك ، فلا تَعُدُّ لَه ، فإنما نفارقُهُم في الملكِ وحدَه ،
ثم لا افتراقَ في شيءٍ بعدَه .

قال الأصمعي : قال لي الرشيد في أول يوم عزم فيه
على تَأْنِيسِي (٤) : يا عبد الملك (٥) ، أنت أحفظُ مِنَّا ،
ونحنُ أَعْقَلُ منك . لا نَعْلَمُنا في ملاءٍ ، ولا تُسرعُ إلى

(١) منصور بن سلمة بن الزبرقان النزاري النمري ، شاعر من
شعراء الدولة العباسية ، حبسه الرشيد حتى أطلقه الفضل بن الربيع ، ومات
في أيام الرشيد .

(٢) الكلل : جمع كال وهو السيف لا حد له ، أو الذي لا يقطع .

(٣) تولع بفلان : شتمه وذمه .

(٤) التأنيس : العلمانية .

(٥) هو عبد الملك بن قريب العلامة اللغوي الأخباري ولد سنة ٨١٣٨ ،

وتوفي سنة ٨٢١٦ .

تذكيرنا في خلاتي ، واتركنا حتى نثبتك بالسؤال ،
 فإذا بلغت من الجواب قدر استحقاقه فلا تزد ،
 وإياك والبدأة إلى تصديقنا ، أو شدة العجب بما
 يكون منا . وعلمنا من العلم ما نحتاج إليه ، على عتبات
 المنابر ، وفي أعطاف الخطب ، وفواصل المحادثات ،
 ودعنا من رواية حوشي الكلام (١) وغرائب الأشعار ،
 وإياك وإطالة الحديث إلا أن نستدعي ذلك منك .
 ومتى رأيتنا صادفين (٢) عن الحق فأرجعنا إليه
 ما استطعت ، من غير تقرير بالخطأ ، ولا إضجار
 بطول الترداد .

قال : قلت : أنا إلى حفظ هذا الكلام أحوج مني
 إلى كثير من البير .

* * *

الأمين (٣)

قيل لبعض العلماء : كيف كانت بلاغة الأمين ؟

(١) حوشي الكلام : غريبه .

(٢) صدف عن الحق : أعرض .

(٣) هو محمد بن هارون الرشيد ، ولد سنة ١٧٠ هـ ، وبيع له بالخلافة سنة ١٩٣ هـ بعد وفاة الرشيد .

قال : والله لقد أتتهُ الخلافةُ يومَ جُمعةٍ ، فما كان إلاّ ساعةً حتى نُودي : الصلاةُ جامعةٌ ، فخرجَ ورَقِيَّ المِنْتَبِرَ ، فَحَمِدَ اللهَ ، وأثنى عليه . ثم قال :

أيُّها الناس ، وخصوصاً يا بني العباس ، إنَّ المنونَ مرَاصدُ ذوي الأنفاس ، حتمٌ مِنّ الله لا يُدفعُ حلولُه ، ولا يُنكسرُ نزولُه ، فارتجعوا قلوبكم من الحُزْنِ على الماضي إلى السرورِ بالباقي ، تُجزونَ ثوابَ الصابرينَ ، وتُعطونَ أجورَ الشَّاكرينَ .

فتعجب الناسُ من جرّاته ، وبيّلةِ (١) ريقه ،
وشدةِ عارضته (٢) .

وكان المأمونُ يقولُ : كان يقول لي الرشيدُ :
ودِدْتُ لو أنّ لكَ بلاغةَ محمد ، وأنّ عليّ غرمَ
كذا وكذا .

وذكرَ أنَّ محمداً في صباه كان كثيرَ اللعيبِ ،
وكان المعلمُ يُلقي عليه في الكُتّابِ ، وعلى المأمونِ ،

(١) بلة اللسان : انطباق الحروف على مخارجها .

(٢) شدة العارضة : كناية عن القوة .

وكان محمدٌ يلعبُ ويحفظُ ، والمأمونُ ينسى وهو مُقتبِلٌ
على العلم يقصدُ قَصْدَهُ .

ذُكر أنه دعا يوماً عبدَ الله بن أبي عَفَّانَ ليصطحبَ ،
فأبطأ فلما جاء قال : أظنُّكَ أكَلتَ . قال : لا والله .
قال : والله لتصدقنَّ ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، فدعا
بحكَّاءِكَ فعحكَّ أضراسه السفلى ، فلما ذهبَ ليحكَّ
العليا قال : يا أمير المؤمنين ، دعها لغضبةٍ أخرى ،
فبخلاًه .

قال الفضلُ بنُ مروان (١) : سمعته يقول في
خطبته : الناسُ جميعاً آمنونَ إلاَّ أصحابَ الأهواءِ .
وقال لكاتبٍ بين يديه : دعِ الإطنابَ ، والزمِ
الإيجازَ ، فإنَّ للإيجازِ إفهاماً ، كما أنَّ مع الإسهابِ
استبهاماً .

(١) الفضل بن مروان بن ماسرخس ولد سنة ١٧٠ هـ أخذ البيعة
للمعتصم سنة ٢١٢ هـ ، وكان وزيراً عنده ، ألف بعض الكتب ، توفي سنة
٢٥٠ هـ .

المأمون (١)

وذكر أن الكسائي (٢) قام إليه يوماً -- وهو يُعلِّمُهُ وهو صغيرٌ -- فضربهُ ، وقد كان صلَّى ذلك اليوم قاعداً فقال المأمون : أما تستحي أيها الشيخ تصلياً لله قاعداً ، وتضربني قائماً ! .

قال بعضهم : قرأتُ كتابَ ذي الرياستين (٣) إلى المأمونِ ، وتوقيعَ المأمون فيه ، فإذا في الكتابِ بعد الصَّدرِ والدعاء :

إنَّ قَارِئاً قرأ البارحةَ : « وقلنَّ نسوةٌ في المدينة » (٤)

(١) عبد الله بن هارون الملقب بالمأمون ، ولد سنة ١٧٠ هـ من أم ولد ، ولي الخلافة سنة ١٩٨ هـ وكان عصره من أزهى عصور الثقافة العربية توفي سنة ٢١٨ هـ .

(٢) هو إمام النحو ، وعالم القراءات واللغة علي بن حمزة الأسدي ، رأس النحويين في الكوفة كما كان سيويوه في البصرة ، وكان مؤدباً للأئمة والمأمون توفي سنة ١٨٩ هـ .

(٣) هو الفضل بن سهل السرخي ، لقب بذي الرياستين لأنه جمع بين رياستي القلم والتدبير أو لأنه جمع بين رياستي الحرب والتدبير .

(٤) الآية : (وقال نسوة في المدينة . . .) سورة يوسف : ٣٠ .

فأنكرنا ذلك عليه ، فذكرَ أن الكسائيَّ أجازَه ، وكتاب
الله لا يتأنيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه ، فردَدنا
علمَ كتابِ الله إلى خليفته .

قال : وإذا توفَّيخُ المأمونُ فيه : عَمَرَكَ اللهُ — ذا
الرياستين — طويلاً في طاعته ، وجعلك قائماً بأمر دينه ،
ذائباً عن حريمِ أمته ، إنَّ لكلِّ علمٍ دستوراً ، ودستورُ
هذا العلمِ القرآنُ ؛ فعليكَ بقراءته على ما أجمَعَ عليه ،
ولا تلتفتِ إلى مختارٍ قولاً ليعقد له رياسته ، والسلام .
كتب المأمونُ إلى طاهرٍ لما قتلَ عليَّ بنَ عبسَى (١)
في رسالة طويلة :

إنما لك من هذا الأمرِ موقعُ السهمِ من الرميَّةِ ،
والتسديدُ والرأيُ ، والتدبيرُ لأبي العباسِ الفضلِ بنِ سهلٍ .
وكان يقولُ : إذا رُفِعَتِ المائدةُ من بين يديه :
الحمدُ لله الذي جعلَ أرزاقنا فضلاً عن أقواتنا (٢) .

وقال : ما انفتقَ عليَّ قط إلا وجدتُ سببه
جورَ العمال .

-
- (١) علي بن عيسى بن ماهان ، من فواد العباسين ، وقائد جيش الأمين .
(٢) اجعل أرزاقنا فضلاً عن أقواتنا : زائدة عنها .

وقال : أهلُ السُّوقِ سُفَّلٌ ، والصَّنَاعُ أُنْدَالٌ ،
والتجار بخلاءٌ ، والكتّابُ ملوكٌ على الناس .

وقيل له : ليس في السَّرَفِ شَرَفٌ ، فقال : ليس
في الشرفِ سَرَفٌ .

وقال يوماً لبعضهم : متى فدمتَ ؟ قال : بعد غدٍ
يا أمير المؤمنين . فقال : بيني وبينك بَعْدُ مرحلتان .

وقال لعبدِ اللهِ (١) بن طاهر : تَثَبَّتْ ، فإنَّ
اللهَ قد قطعَ عُدْرَ العَجُولِ ، بما مكَّنتَهُ من التَّثَبُّتِ ،
وأوجبَ عليه الحُجَّةَ على القَلْقِ ، بما بَصَّرَهُ مِن
فَضْلِ الأناةِ . فقال ابنُ طاهر : أأكتبه ؟ فقال : نعم .

قالوا : لما وجد عمرُ بنُ فرج (٢) كتاباً من أهل
الكَرْخِ (٣) إلى علي بن محمد بن جعفر بن محمد (٤) -

(١) عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزازي ولد سنة ١٨٢ هـ ،
ولي الشام ومصر سنة ٢١١ هـ ، ثم ولي خراسان وبها توفي سنة ٢٣٠ هـ .

(٢) عمر بن فرج الرخجي من أعيان الكتاب في أيام المأمون .

(٣) المراد به كرخ بغداد ، بناه المعتصم للتجار ، وجعله سوقاً
لبغداد ورتبهم فيه .

(٤) هو علي بن موسى بن جعفر أحد أئمة البيعة الإمامية ، توفي

سنة ٢٥٢ هـ .

رضي الله عنهم — جاء به إلى المأمون ، فقال المأمون :
نحن أولسى من ستر هذا ولم يشيعه . ودعا علي بن محمد ؛
فقال له : قد وقفنسا على أمرك ، وقد وهبنا ذلك لعلي
وفاطمة — رضي الله عنهما — فاذهب ، وتخير ما شئت
من الذنوب ، فإننا نتخير لك مثل ذلك من العفو .

رفع الواقدي (١) قصةً إليه يشكو غلبة الدين ،
وقلة الصبر ؛ فوقع المأمون عليها : أنت رجل فيك
خلتان : السخاء والحياء ؛ فأما السخاء ، فهو الذي أطلق
ما في يدك ، وأما الحياء فبلغ بك ما أنت عليه ، وقد أمرنا
لك بمائة ألف درهم . فإن كنتنا أصبنا إرادتك فازدد
في بسط يدك ، وإن كنتنا لم نصب إرادتك فبجنايتك
على نفسك . وأنت كنت حدثتني ، وأنت على قضاء
الرشيد ، عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن أنس بن
مالك أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال للزبير :
« يا زبير ؛ إن متفاتيح الرزق بإزاء العرش ، ينزل

(١) الواقدي : هو محمد بن عمر بن واقد ، من المؤرخين ، وحفاظ
الحديث تولى القضاء ببغداد ، ولد سنة ١٧٠ هـ ، وتوفي سنة ٢٥٧ هـ .

اللَّهِ لِلْعِبَادِ عَلَى قَدَرٍ نَفَقَاتِهِمْ؛ فَمَنْ كَثُرَ كَثُرَ لَهُ .
وَمَنْ قَلَّ قَلَّ لَهُ .»

قال الواقدي : وكنت أنسيت هذا الحديث ؛ فكانت
مذاكرته إيتاي به أعجب إليّ من صلته .

وقال المأمون : الطعامُ لونٌ واحدٌ . فإذا استطبته
فاشبع منه . والندمانُ واحدٌ ، فإذا استطبته فاستزده
حتى تقضي وطرك منه .

وذكر أن إبراهيم بن المهدي دخل على المأمون ،
وبين يديه صاعُ رُطْبٍ ، فقال : ادنُ فكلُ . فقال :
يا أميرَ المؤمنينَ على ما بي ؟ وكان وجعَ العينِ ؛ فقال :
ويحك ولا تهبُ عينك للرطب .

ودخل إليه الطيبُ فشكا إليه وجعَ الأسنانِ ؛ فقال :
يا أميرَ المؤمنينَ لا تأكل الرطبَ ولا تشربِ الماءَ بثلجٍ ؛
فقال : لولاهما ما أردتُك .

وقّع المأمون في قصة مُتَظَلِّمٍ من أبي عيسى بن

الرشيد (١) : (فإذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ
يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ) (٢) .

وتظلم لآليه قوم من قاضي جبيل (٣) ، وذكروا أنه
يعضُّ رؤوسَ الخصوم ، فوقَّع في قصتهم : يُسْتَقُ (٤)
إن شاء الله .

وقال : من أراد أن يطيبَ عيشه فليدفعِ الأيامَ بالأيامِ .
قال العباسُ بن المأمون (٥) لغلامه : إن رأيتَ في
الرِّصَافَةِ بَقْلاً حسناً فاشترِ لي منه بنصفِ رِهم . فقال
المأمونُ : أمّا إذ عرفتَ أنّ للدرهمِ نصفاً فواللهِ
لا أفلحتَ أبداً .

(١) أبو عيسى هو أحمد بن الرشيد ، أمه بربربة ، كان أدبياً
ظريفاً وله شعر

(٢) سورة المؤمنون . ١٠١ .

(٣) جبل بليد بين النعمانية وواسط ، كانت مدسة كبيرة وينسب
إلى قاضيها في أيام المأمون ما يدل على ضعف عقله .

(٤) يشق : يؤخذ منه الشق وهو الأرض ما دون الدبة من المعازل
الصغار .

(٥) العباس بن المأمون ، ولاءه أبوه الجزيرة سنة ٢١٣ هـ .

قال يحيى بن أكرم : ما شئتُ المأمون في بُسْتانِه ،
 ويدهُ في يدي ، فكان في الظلِّ ، وأنا في الشمس . فلما
 بلغننا ما أردنا . ورجعنا صرتُ أنا في الفيء وصارَ هو
 في الشمس : فُدرتُ أنا إلى الشمس ؛ فقال : ليس هذا
 بإنصاف ، كما كنتُ أنا في الفيء ذاهبا ، فكُنْ أنتُ
 في الفيء راجعا .

وخطب بمرو - وقد ورد عليه كتابُ الأمين
 يُعزيه بالرشيد ، ويحثه على أخذِ البيعة له - فقال :

إنَّ ثمرةَ الصبرِ الأجرُ ، وثمرَةَ الجَزَعِ الوزرُ ،
 والتسليمُ لأمرِ اللهِ جلَّ وعزَّ فائدةٌ جليلةٌ ، وتجارةُ
 مُربحةٌ ، والموتُ حوضٌ مورودٌ ، وكأسٌ مشروبٌ .
 وقد أتى على خليفتمكم - رضي الله عنه - ما أتى على
 نبيِّكم صلى الله عليه وسلم ، فإنَّنا لله وإنا إليه راجعون ،
 فما كان إلا عبداً دُعيَ فأجابَ ، وأمرَ فأطاعَ ، وقد
 سدَّ أميرُ المؤمنين ثلَمتهُ (١) وقام مقامه ، وفي أعناقكم
 من العهدِ ما قد عرَفتم ؛ فأحسنُوا العزاءَ عن إمامكم
 الماضي ، واغتبطوا بالنعماءِ بالوفاءِ لخليفتمكم الباقي . يا أهلَ

(١) الثلمة : الخلل .

حُرسَ آسانَ : إنَّ الموتَ نازلٌ ، والأجلَ طالبٌ ، وأمسِرْ
واعظُ ، واليومَ مغتَمٌ ، وغداً منتظرٌ . ثم نزل .

وكتب إليه يزيد بن عقال يُثني على عبد الله بن
طاهر ، فوقَّعَ المأمون في كتابه : عبدُ الله كما ذكرتَ ،
وعلى أكثر مما وصفت . قد حمَّله أميرُ المؤمنين فاحتملَ ،
وأثقلته فاضطلعَ .

كانوا يسمونُ أرسادَ السلطانِ المسالِحَ من السلاحِ ،
فكرِهَ ذلكَ المأمونُ فصيَّره المصالحَ من المصلحة .

وقال : إذا أصلحَ الملكُ مجلسه ، واختارَ من
يُجالِسُه صلِحَ ملكه كُلُّه .

ورفع أهلُ الكوفةِ قصةً إليه يشكونَ عاملاً ؛
فوقَّعَ : عيني تراكمُ ، وقلبي يرعاكُم ، وأنا مولٌ
عليكُم ثِقَتِي ورِضَاكُم .

وشغبَ الجندُ فرُفعَ ذلكَ إليه ؛ فوقَّعَ : لا يُعطونَ
على الشَّعبِ ، ولا يُحوِّجونَ إلى الطَّلبِ .

قال يحيى بنُ أكرمَ : لما أرادَ المأمونُ أن يزوجَ علي

ابن موسى (١) ، قال لي : يا يحيى تكلمم ، فهبتُ أن
أن أقولَ أنكححتُ ؛ فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، أنت
الحاكمُ الأكبرُ وأنتَ أولى بالكلام ؛ فقال :

الحمدُ لله الذي تصاغرتِ الأمورُ لمشيئتهِ ، ولا
إلهَ إلاَّ الله ، إقراراً برُبوبيّتهِ ، وصلّى الله على محمد
عند ذكره .

وأما بعدُ ؛ فإنَّ الله تعالى جعل النكاحَ سنَّةَ
الأفامِ ، وفصلاً بين الحلالِ والحرامِ ، ولاني قد زوجت
ابني مَّ التَّضَلِّ من عليِّ بن موسى الرضا ، وقد
مهرتُها عنه أربعمائة درهم .

وقال المأمون : تمَّامُ النعمة أن تُستتمَّ بلزوم
شكرها ، وأوَّلُ منازلِ الشكرِ ألاَّ يتوصَّلَ إلى معصيةٍ
منعمٍ بفضلِ نعمتهِ .

قال أحمدُ بن أبي دؤادٍ (٢) : قال لي المأمون :

(١) علي بن موسى بن جعفر الملقب بعلي الرضا ، ولد سنة ٨١٤٨ ،
وتوفي سنة ٨٢٠٣ .

(٢) أحمد بن أبي دؤاد القاضي ، ولد سنة ٨١٦٦ ، كان محباً
للعلم وتوفي سنة ٨٢٤٦ .

لا يستطيع الناس أن يُنصفوا الملوك من وزرائهم ،
ولا يستطيعون أن ينظروا بالعدل بين ملوكهم وحُماهم
وكفائهم ، وبين صنائِعهم وبطانتهم ، وذلك أنّهم
يرون ظاهراً حُرمةً وخدميةً ، واجتهاداً ونصيحةً ،
ويرون إيقاعَ الملوكِ ظاهراً ، حتى لا يزال الرجلُ
يقولُ : ما أوقع به إلاّ رغبةً في ماله ، وإلاّ رغبةً فيما
لا تجودُ النفوسُ به ، أو لعلّ الحسدَ والملائةَ ، وشهوةَ
الاستبدالِ اشتركتُ في ذلك . وهناك جنائياتُ في صلبِ
الملك ، أو في بعضِ الحُرْمِ لا يستطيعُ الملكُ أن يكشفَ
للعامّةِ موضعَ العورةِ في الملك ، وأن يحتجّ لتلك العقوبة بما
يستحقّ ذلك الذنبُ ، ولا يستطيعُ تركَ عقابه ، لما
في ذلك من الفسادِ على علمه بأنّ عنده غيرُ مبسوطٍ عند
العامّةِ ، ولا معروفٍ عند أكثرِ الخاصّةِ . .

ونزل رجلٌ فعدا بين يديه ، فأشار بيده أنْ حسبك ؛
فقال له بعضُ من كان بقربِ من المأمون : اركب .
فقال المأمونُ : لا يقالُ للمثلِ هذا : اركب ، إنما يقالُ
له : انصرف .

تحدث المأمون يوماً ؛ فضحك إسحاقُ بنُ إبراهيم
المُصعبِي (١) ؛ فقال :

يا إسحاقُ ، أوهلِكَ لشرطتِي ، وفتحُ فاك من
الضحكِ ؟ ، خذُوا سوادهَ وسيفه ، ثم قال : أنتَ
بالشرابِ أشبهُ ، ضعموا منديلا على عاتقه ؛ فقال إسحاقُ :
أقبلتِي يا أمير المؤمنين . قال : قد أقتلتكُ . فما ضحك
بعدها .

* * *

المُعْتَصِمُ (٢)

لا أفتَحُ المعتصمُ أشنَاساً (٣) ضياعَ الحسنِ بنِ
سهل ، وجمَّةَ الحسنِ بقبالاتها (٤) إلى أشنَاس ، وكتبَ إليه :

(١) إسحاق بن إبراهيم المصعبي صاحب الشرطة أيام المأمون -
والمعتصم والوائق والمتوكل - كان صارما ، وتوفي سنة ٨٢٣٥ .

(٢) هو محمد بن هارون الرشيد ، ولد سنة ٨١٧٩ ، وتولى الخلافة
سنة ٨٢١٨ ، كان شجاعا قويا ، بنى مدينة سرمن رأى وبها توفي سنة ٨٢٥٧ .

(٣) أبو جعفر أشناس ، من القواد ، ولاء المعتصم مصر سنة ٨٢١٩ ،
اشترك في فتح عمورية ، وتوفي سنة ٨٢٣٦ .

(٤) القبالات : الضمانات والكفالات .

لقد عرفتُ رأيَ أميرِ المؤمنينَ في إخلاصِكَ بهذه الضياع ، وأحببتُ ألا تعرض على عقيبِكَ عُقبتي ؛ فأنفذتُ لك قبالاتها معتدّاً في قبولِكهما بإسباغِ النعمةِ عليّ ، وادخارِ الشكرِ لديّ ، ومتقرباً به إلى سيّدي أميرِ المؤمنين ، فرأيك في الامتنانِ عليّ بقبولِها موفّقاً إن شاء الله .

فلما قرأ الكتابَ أنفذهُ إلى المعتصمِ ، فوقّع فيه : ضميمَ فصبر ، وسلبَ فعذر ، فليقابِلْ بالشكرِ على صبرِهِ ، وبالإحسانِ على عُدْرِهِ . وتُرَدُّ عليه ضياعُهُ ، ويُرفَعُ عنه خسرَاجُهُ . ولا أوامرَ فيه إن شاء الله (١) .

قال كاتبُ العباسِ بنِ المأمونِ : لما تقلّدَ المعتصمُ الخلافةَ عرّضتُ له ، فترجّأتُ . فلما بصُرَ بي ، قال : هذا المجلسُ الذي لم تنزلْ أكرهه الناسَ بحلُولي به . قال : فتحيّرتُ ، ولم أدري ما أقولُ ، ثمّ عنّ (٢) لي أن قلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ أنت تعضو عمّاً تتبيّهنُهُ .

(١) يؤامر في الشيء : يستشار فيه .

(٢) عن له خاطر : عرض له .

فكيف تُعاقِبُ على ما تتوهمهُ ؟ قال : فقال : لو أردتُ
عقابكَ لتركْتُ عِتَابَكَ .

وكان سبب خروجه إلى « سرّ من رأى » (١) أن غلمان الأتراك . كثروا ببغداد فتولّعوا (٢) بحُرْم الناس وأولادهم ، فاجتمع إليه جماعةٌ منهم ؛ فقالوا : يا أمير المؤمنين ؛ ما أحبُّ إلينا مجاورةً منك ؛ لأنك الإمام والمحامي عن الدين ، وقد أفرطَ غلْمَانُكَ ، فإما منعتمهم منّا ، وإما نقلتمهم عنّا . فقال : نقلهم لا يكون إلا بتسليبي ، ولكني أفتقيدهم ، وأزيل ما شكوتهم .

فنظر فإذا الأمرُ قد زادَ وعظُم ، وخاف أن يقع بينهم حربٌ ، وعاودوه بالشكوى ، وقالوا : إن قدرتُ على نصفتنا (٣) ، وإلاّ فتحول عنّا . فقال : أتحولُ وكرامةً فرحلَ إلى سرّ من رأى ، واتخذها داراً .

(١) سر من رأى : كانت موجودة قبل المتصم ، واسمها سامرا ، عمرها المتصم وسماها : سر من رأى ، وتسمى أيضا سامراء ، وسر من راء ، وهي على نهر دجلة .

(٢) تولع بمرض فلان : قذف فيه .

(٣) النصفة والإنصاف بمعنى واحد .

وكان يقولُ : الفضلُ بنُ مروانَ عَصَى اللهَ
- عز وجل - وأطاعني ، فسَلَطني الله عليه .

وذكر أنه كان معه غلامٌ في الكتَّاب يتعلمُ معه ،
فمات الغلام ، فقال له الرشيد : يا محمد ؛ مات غلامُك .
قال : نعم يا سيدي ، واستراحَ من الكتَّاب فقال الرشيدُ :
وإن الكتَّابَ ليلبغُ منكَ هذا المبلغَ ، دَعُوهُ إلى حيث
انتهى ، ولا تَعَلِّمُوهُ شيئاً ؛ فكان يكتسبُ كِتَاباً ضعيفاً ،
ويقرأ قِراءةً ضعيفةً .

حكى عن الفضل بن مروان أنه قال : والله لقد كان
المعتصمُ مؤيداً من عند الله في أموره كلِّها ؛ لقد رَجِعَ
يوماً من محاربةِ الرومِ ، وقد سهر ليلتهُ وبقي إلى العشاء ،
ولم يَطْعَمَ ولم يَشْرَبْ ؛ فدخَلَ إلى المأمونَ فعرَّفَه خَبْرَهُ ،
فبينما هو يخاطبُهُ إذ صرَّحَ : السلاحُ السلاحُ ، واستَفْحَلَ
أمرُ الرومِ ؛ فقال له المأمونُ : ارجع يا أبا إسحاق إلى
موضعك . فقال : نعم يا أمير المؤمنين . أمضي إلى مضرِبِي
وأركبُ مِن نِمْ (١) ؛ فكانَ المأمونَ كره هذا منه ،

(١) ثم (بفتح التاء وتشديد الميم) هناك .

وَنَكَسَ رَأْسَهُ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ تَأْخِيرُهُ لِأَمْرِهِ ، فَفَطَنَ
 الْمُعْتَصِمُ ؛ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنْ أَلَّفَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ يَقُولُ :
 ((كَلَّا إِنْ أَلَّ نِسَانَ لَيْطَنُغِي * أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى)) (١)
 وَاللَّهُ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَالِي مِنَ الدَّوَابِّ إِلَّا أَرْبَعٌ ، وَمِنَ الْغِلْمَانِ
 إِلَّا أَرْبَعَةً ، وَإِنِّي لِأَقِفُ عَلَى بَابِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلِ سَائِرَ
 يَوْمِي ، أَتَمَنِّي أَنْ يَأْمُرَنِي بِأَمْرٍ أَنْفَعُ فِيهِ ، وَلي مِنْ كُلِّ
 هَذَا الْيَوْمِ أَلُوفٌ لِنَفْضِلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ يَا مُرْنِي
 بِأَمْرٍ فِيهِ شَرَفِي فَأَشْرَطُ عَلَيْهِ . أَنَا أَمْضِي مِنْ وَجْهِي هَذَا
 عَلَى هَيْئَتِي هَذِهِ .

فَضْحَكَ الْمَأْمُونُ وَقَالَ : ادْنُ إِلَيَّ ؛ فَدَنَا إِلَيْهِ ،
 فَجَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَدَعَا لَهُ بِالظَّفَرِ ، وَخَرَجَ .

* * *

الوائقُ (٢)

قيل : إنه لما مات إبراهيمُ بنُ المهديِّ ركبَ المعتصمُ

(١) سورة العلق : ٧٥٦

(٢) الواائق بالله هارون بن محمد المعتصم ، ولد سنة ٢٠٠ هـ ، ولي

الخلافة سنة ٢٢٧ هـ ، ومات بسر من رأى سنة ٢٣٢ هـ .

حتى صلّى عليه ، ثم قال للوائق : أقيم يا بني حتى
تُجَنِّهُ (١) . وقيل : بل لم يُصلِّ عليه تجرُّحاً ، وأمر
الوائق بالصلاة عليه ؛ فسأل عن وصيته ، فوجدهُ قد
أمر بمالٍ عظيمٍ أن يُسرق على أولاد الصحابة كلهم ،
إلا أولاد علي رضي الله عنه ؛ فقال الوائقُ : والله لولا
طاعةُ أمير المؤمنين لما وقفتُ عليه ، ولا انتظرتُ دفنَه .
ثم انصرف وهو يقولُ : يَنْحَرِفُ عن شرفه وخير
أهله ! والله لقد دلّيته في قبره كافرًا ، وأمر فسرَّق
في ولد عليّ — رضي الله عنه — مالاً فاضلاً ؛ فأصاب
كلَّ رجلٍ منهم ضعفٌ ما أصاب غيرهم من وصيته .

نظر الوائقُ إلى أحمد بن الحصب (٢) يمشي
فتمثَّلَ :

مِنَ النَّاسِ لِنَسَانِ دَيْئِبِي عَلَيْهِمَا
مَلِيَّانِ لَوْ شَاءَ لَقَدْ قَضَيْتَنِي

(١) تجنّه : تسره والمراد : تدفنه وتواريه في القبر

(٢) أحمد بن الحصب وزير المنتصر والمستعين ، نفي إلى المغرب ،

وتوفي سنة ٥٢٦٥ .

خديلي ، أمّا أمُّ عمرو فمنهما
وأما عن الأخرى فلا تسألني (١)
قال : فبلغ ذلك سليمان بن وهب ؛ فقال : إنّ الله ،
أحمدُ بنُ الحُصيبِ أمُّ عمرو ، وأنا الأخرى ؛ فنكبتَهُمَا
بعد أيام .

غَنَّى مَخَارِقُ (٢) فِي مَجْلِسِ الْوَأَثِقِ :
أَظْلِمُ ، إِنَّ مُصَابِكُمْ رَجُلٌ
أَهْدَى السَّلَامَ بِجَبِكُمْ ؟ ظَلُمُ (٣)
فَغَنَاهُ « رَجُلٌ » فَتَابِعَهُ بَعْضُ ، وَخَالَفَهُ آخَرُونَ ،
فَسَأَلَ الْوَأَثِقَ عَمَّنْ بَقِيَ مِنْ رُؤَسَاءِ النُّحَوِيِّينَ بِالْبَصْرَةِ ،
فَذَكَرَ لَهُ أَبُو عَثْمَانَ الْمَازِنِيَّ ، (٤) قَالَ : فَأَمْرٌ بِجَسْمِي ،

(١) البيتان لابن الدمينه .

(٢) مخارق بن يحيى ، كان هولى ، أعتقه الرشيد ، أحد الخادقين
في الغناء ، وأول من أدخل أنغاماً فارسية على النغم العربي مات في خلافة
المتوكل ، وقيل في آخر خلافة الواثق .

(٣) البيت الحارث بن خالد المخزومي .

(٤) أبو عثمان بكر بن محمد المازني ، إمام من أئمة النحو بالبصرة
له تصانيف كثيرة ، توفي سنة ٨٢٤٩ .

ولمِزاحة عيَّتي فلما وصلتُ إليه وسَلَّمْتُ قال : مِمَّنِ الرجلُ ؟ قلتُ : من بني مازن . قال : أمين مازن قيسٍ ، أم مازن تميم ، أم مازن ربيعةَ ، أم مازن اليمنِ ؟ فقلتُ : من مازنِ ربيعةَ . فقال لي : بَأَسْمُكُ ؟ يريدُ : ما اسمُكُ قال : وهي لغةٌ كثيرةٌ في قومنا ، فقلتُ على القياس : مَكْرٌ ، أي : بكرٌ ، يا أميرَ المؤمنين ؛ فضحك وقال : اجلسِ واطبِئْ . فجلستُ ، فسألني عن البيتِ ، فأَنشدتهُ :

أظلمُ ، إنَّ مصابِكُم رجلاً .

فقال : أين خيرُ إنَّ ؟ قلتُ : ظلمُ . أما تَسرى يا أميرَ المؤمنين أنَّ البيتَ كلُّهُ متعاقُ بهِ ، لا معنى لهُ حتَّى يتمَّ بهذا الحرفِ ، إذ قال :

« أظلمُ إنَّ مصابِكُم رجلاً أهدى السلامِ إليكم » .

فكأنَّهُ ما قال شيئاً ، حتى يقولَ : ظلم . قال : صدقت . ألكَ ولدٌ ؟ قلتُ : بُسِيَّةٌ . قال : فما قالتُ حين ودَّعتها ؟ قلتُ : أَنشدتُ شعراً الأَعشى :

تقولُ ابنتي حينَ جدِّ الرِّحِيلِ
أرأنا سواً ومن قَدَ يَتِمُّ
أبائنا - فلا رِمْتَ (١) من عندنا
فإننا بخيرٍ إذا لَمَ تَرِمُّ

قال : فما قلتَ لها ؟ قال : قول جريرٍ :

ثِقِي باللهِ ليسَ لهُ شريكٌ
ومِنَ عِنْدِ الخليفةِ بالنجاحِ
فقال : تيقُ بالنجاحِ إن شاء اللهُ . ثم أمر لي بألفِ
دينارٍ وكسوةٍ وطيبٍ .

وكان الواتقُ عالماً بكلِّ شيءٍ ، وله صنعةٌ حسنةٌ
في الغناء ، وكان يُسمَّى المأمونَ الصغيرَ ؛ لأدبِهِ وفضلِهِ ،
وكان المأمونُ يجاسه ، وأبوهُ المعتصمُ واقفٌ . وكان
يقولُ : يا أبا إسحاق لا تُؤدِّبَ هارونَ ، فإنِّي أَرْضَى
أدبَهُ ، ولا تعترضْ عليه في شيءٍ يعمَلُهُ .

* * *

(١) رام عن المكان يريم : نحول .

المُتَوَكِّلُ (١)

قال يزيدُ المهلبِي (٢) : أنسَ بي أميرُ المؤمنينَ في سبعةِ أيامٍ فوق أنسَ محمدٍ (٣) كان بي في سبعِ سنينَ .
فقال : إنما أنستُ بكَ في سبعةِ أيامٍ لأنسَ محمدٍ كان بكَ في سبعِ سنينَ .

قيل للمتوكل : لم لا تقلد الحسن بن وهب (٤) ديوانَ الرسائل . قال : أخافُ أن يحضِرَ في الديوانِ .
قال عليُّ بن يحيى : تغدِّيتُ مع المتوكل ، فقلدتم لونه كان استنهاءً ، فوجدتُ فيه ذُبَابَةً ، فألقاها وأكلتُ ، ثم وجدَ أخرى وأخرى ، فلما رُفِعَ من بين يديه قال :

-
- (١) المتوكل هو جعفر بن محمد المعتصم ، ولد سنة ٢٠٦ هـ ، وتولى الخلافة سنة ٢٣٢ هـ ، وأراد نقل قعرها إلى دمشق ، ولكنها لم تطب له ، فناد إلى سر من رأى .
(٢) يزيد بن محمد ، من أولاد المهلب ، ساعر ، اتصل بالمتوكل ومدحه ، توفي ببغداد سنة ٢٥٩ هـ .
(٣) المراد بمحمد : المنتصر ابن المتوكل
(٤) الحسن بن وهب بن سعيد كاتب شاعر ، كان وجيهاً سورياً ، ومات سنة ٢٥٠ هـ

أعيدها علينا هذا اللّونَ غدّاً ، وليكن أقلّ ذنباً بما هو
اليومَ ! !

قال إبراهيم بن المدبر (١) ، قال المتوكلُ : إذا خرج
توقيعي إليك بما فيه مصلحةٌ للناس ، ورفقٌ بالرعيةِ
فأنفذه ، ولا تراجعني فيه ، وإذا خرج بما فيه حيفٌ (٢)
على الرعية فراجعني ، فإنّ قلبي بيدِ الله عزّ وجلّ .
بلغ المتوكلُ أنّ أحمدَ بن حمدونَ النّديمَ يحملُ
رِقاعَ الفتحِ إلى خادميه فائراً ، فأعدّ له حجّاماً ،
وأوصاه بما يريدُ . فلما جلسَ أحمدُ مع الجلّساء قال :
يا أحمدُ ، ماجزأُ مَنْ أفسدَ غلامَ فتى ؟ قال : تُقَطِّعُ
أذنه ، فدعا بالحجام فقطّع من أذنه قطعةً ، وإنما قال
به هذا لأنه كان يحدثُه كثيراً بحديثِ الفتيانِ والعيارينِ
ويتنادرُ بذلك بين يديه ، ثم نفاه إلى بغداد إلى أن كلمه
الفتحُ فيه ، فرصيّ عنه .

* * *

(١) إبراهيم بن المدبر ، شاعر كاتب ، كان المتوكل يحبه ويقربه ،
ثم انقلب عليه وحسه مدة ثم أطلقه . مات سنة ٥٢٧٠ هـ
(٢) الحيف : الظلم والجور .

الْمُنْتَصِرُ (١)

قال : لذّةُ العفْوِ أطيبُ من لذّةِ الشفْيِ ، وذلك لأنّ لذّةَ العفْوِ يلحقها حمدُ العاقبةِ ، ولذّةُ الشفْيِ يلحقها ذمُّ النَّدَمِ .

ولما تمت لهُ البيعةُ كان أولَ شيءٍ عمله أن عزَلَ صالحَ بنَ عليٍّ عن المدينةِ ، وولّاهَا عليٌّ بنَ الحسينِ بنِ إسماعيلَ بنِ العباسِ بنِ محمدٍ ، وقال له : إنما وليتُكَ لتخلُفتني في برِّ آلِ أبي طالبٍ ، وقضاءِ حوائجهم ، ورفعها إليَّ ، فقد نالتهمُ جفوةٌ ، وخُذْ هذا المالَ ففرِّقه على أقدارهم .

فقال له عليُّ بنُ الحسينِ : سأبلغُ بعونِ اللهِ رضا أميرِ المؤمنينَ ، فقال : إذا تسعدُ بذلكَ عندَ اللهِ وعندي . قال بعضهم : سمعتهُ يوماً وهو يناظرُ قوماً : واللهِ لاعزَّ وفرُّ باطلٍ ، ولو طلَّعَ من جبينهِ القمَرُ ، ولا ذلَّ ذو حقٍّ ، ولو كان العالمُ عليه .

(١) هو محمد بن جعفر المتوكل ، ولد سنة ٥٢٣ هـ ، تولى الخلافة بعد قتل أبيه سنة ٥٤٧ هـ ، توفي في السنة نفسها بعد ستة أشهر من ولايته .

قال بعضهم : سمعتُ بُغا الكبير (١) يقول : ما مشيتُ
 بينَ يدي خليفة أهيبَ من المنتصر ، وقد كان مشيبي
 بينَ يدي المأمونِ ، والمعتمَصمِ ، والواثقِ والمتوكلِ .
 قال أحمدُ بن الخصب : سمعتُ المنتصرَ لَمَّا عفا
 عن الشاري (٢) يقول : أحسنُ أفعالِ القادرِ العفوُ ،
 وأقبحها الانتقامُ .

* * *

المُسْتَعِينُ (٣)

قيل : لما جيء بكتاب الخلع إليه ، وقيل له : وقع
 بخطك فيه ، أخذ الكتابَ فابتدأ ابنُ أبي الشَّوارب يُلمي
 عليه ، فقال له المستعين : أمسِك عافاك الله ، ثم كتب :
 أقرَّ أحمدُ بنُ محمدِ ابنِ أميرِ المؤمنين المعتمَصمِ
 بالله : « أنه قد بايعَ أبا عبدِ الله المعتزَّ بالله ، هذه البيعةَ

(١) بغا الكبير : أحد قواد الترك ، كان قائدا للمعتصم والواثق
 والمتوكل والمنتصر ، مات سنة ٥٢٤٨ هـ .

(٢) الشاري : نسبة إلى الشراة ، إحدى فرق الخوارج .

(٣) هو أحمد المستعين بن محمد المعتصم ، ولد سنة ٥٢٢١ هـ ، ولاء
 الترك الخلفه سنة ٥٢٤٨ هـ ، ثم خلعه وقتلوه سنة ٥٢٥٢ هـ ، وكان عهد
 عهد فتن واضطراب .

المنسوخة في هذا الكتاب ، مُوجِباً على تَقْسِيهِ كُلِّ ما فيه من الشرائطِ المثبتة فيه ، والعهودِ المؤكَّدة .
وأشْهَدُ اللهُ وملائكته على جميع ذلك ، وأشهدُ مَنْ حضر . وكَفَّسَى بِاللهِ شهيداً .

قال : فعجَبَ الناس من فهمِهِ وبِلاغتهِ .
وقال له الحسنُ بنُ أبي الشوارب (١) : يا أمير المؤمنين ، أشهدُ عليكَ بما في هذا الكتابِ ؟ . قال :
نعم خارَ اللهُ لك يا أبا العباسِ .

* * *

المُعْتَزُ (٢)

قال الزبير (٣) : لما وفدتُ على المتوكل قال لي :
ادخل إلى أبي العباس يعني : المعتز فدخلتُ إليه وهو

(١) الحسن بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب الأموي قاضي
المعتز ، توفي سنة ٨٢٦١ ،

(٢) المعتز هو محمد بن جعفر المتوكل ، وقيل أحمد ، وقيل الزبير ،
ولد بسر من رأى سنة ٨٢٣٢ ، وبايعه الأتراك بالخلافة سنة ٨٢٥٢ ،
كثرت الفتن في أيامه . واضطره القواد أن يخلع نفسه ، وعدبوه حتى
مات سنة ٨٢٥٥ .

(٣) الزبير بن بكار أديب أخباري كان قاضي مكة توفي سنة ٨٢٥٦ .

صبي فحَدَّثْتُهُ وَأُنشِدْتُهُ فَسَأَلَنِي عَنِ الْحِجَازِ وَأَهْلِهِ ،
ثم نهضت لأنصرف فعمرت فسقطت ، فقال لي المعتزُّ :
يا زبير :

كَمْ عَشْرَةٌ لِي بِاللِّسَانِ عَثَرْتُهَا
تُفَرِّقُ مِنْ بَعْدِ اجْتِمَاعٍ مِنَ الشَّمْلِ
يموتُ الفتي من عَشْرَةٍ بِلِسَانِهِ
وليس يموتُ المرءُ من عَشْرَةٍ رَجَلٍ

* * *

المُهْتَدِي (١)

كان يقولُ : لو لم يكن الزُّهدُ في الدنيا ، والإيثارُ
للحقِّ ، مما لَطُفَ اللهُ تعالى فيهما ، ووفَّقني لهما ،
ولاني أرجو بذلك الفوزَ يومَ القيامةِ ، لتَصَنَّعْتُ بما
أفعله للناسِ ، لئلا يكونَ مثلُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ
في خلفاءِ بني أمية ، ولا يكونُ في خلفاءِ بني هاشمٍ بعدهم
مثله ، وهم من رسولِ اللهِ - صلى اللهُ عليه وسلَّم - أَقْرَبُ .

(١) هو محمد المهدي بالله بن هارون الواثق ، ولد سنة ٢٢٧ هـ ،
وتولى الخلافة سنة ٢٥٥ هـ ، كان حميد السيرة زاهدا ، خلعه الترك وقتلوه
سنة ٢٥٦ هـ .

قال بعضهم : سمعته يوماً يقولُ لعيسى بن فرخانشاه (١) : عاون على الخير تسلم ، ولا تسجزه فتندم . فقيل له : إن هذا بيت شعر . قال : ماتعمدت ذلك ، ولكني رويت قول الشاعر :

تَعَاوَنُ عَلَى الْخَيْرَاتِ تَتَّظَفَّرُ ، وَلَا تَكُنْ
عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ مِمَّنْ يُعَاوَنُ

* * *

المُعْتَمِدُ (٢)

قال محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان (٣) :
بعثني أبي إلى المعتمد في شيء ، فقال لي : اجلس .
فاستعظمت ذلك ، فأعاد ، فاعتذرت بأن ذلك لا يجوز ،

* * *

(١) عيسى بن فرخانشاه ، وزير المعتمد .

(٢) أحمد المعتمد بن جعفر المتوكل ولد سنة ٥٢٢٩ ، وولي الخلافة سنة ٥٢٥٦ طالت أيام ملكه ، وعاونه أخوه الموفق معاونة كبيرة على قهر أعدائه ، ثم استبد بالأمر ، مات سنة ٥٢٧٩

(٣) محمد بن عبيد الله بن يحيى أبوه وزير المعتمد ، صار محمد بعده وزيراً للمقتدر وكاتبه .

فقال لي : يا محمد ، إن أدبك في القبول مني خير من أدبك في خلافي .

وقال يوماً لبعض ندمائه : إذا عدم أهل التفضل ، هلك أهل التجميل .

* * *

المعتضد (١)

حدث العلاء بن صاعد (٢) قال : لما حمّل رأس صاحب البصرة (٣) ركب المعتضد في جيش لم ير مثله ، فاشتق أسواق بغداد ، والرأس بين يديه ، فلما صرنا باب الطاق (٤) صاح قوم من درب من تلك الدروب :

(١) أحمد المعتضد بن طلحة الموفق ، ولد سنة ٢٤٢ هـ ، أظهر مسألة في الحروب ، تولى الخلافة سنة ٢٧٩ هـ وكان مهيباً حازماً ، توفي سنة ٢٨٩ هـ .

(٢) العلاء بن صاعد أبو عيسى كاتب أديب ، كان يتعاطى علم النجوم .
(٣) صاحب البصرة أو صاحب الزنج علي بن محمد ، ادعى أنه علوي سمي بصاحب البصرة لأنه دخلها وذبح كثيراً من أهلها ، وبصاحب الزنج لأن أتباعه منهم ، خرج سنة ٢٥٢ هـ ، وقتله الموفق سنة ٢٧٠ هـ .
(٤) باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي منها تعرف بطاق أسماء .

رَحِيمَ اللَّهِ معاويةَ . وزادَ حتَّى علَّتْ أصواتُهُم ، فتغيَّرَ وجهُهُ وقال : أما تسمع يا أبا عيسى ؟ ما أعجبَ هذا ! ما ذِكرُ معاويةَ في هذا الأمرِ ؟ والله لقد بلغَ أبي الموتَ ، وما أفلتُ أنا منهُ إلاَّ بعدَ مُشَارَفَتِهِ ، ولقينا كلَّ جهدٍ وبلاءٍ ، حتَّى أرحناهُم من عدوِّهِم ، وحصَّنا حُرَمَهُم وأموالَهُم . تركوا أنْ يترحموا على العباسِ ، أو عبدِ اللهِ بنِ العباسِ ، أو مَنْ وُلِدَ من الخلفاءِ ، وتركوا الترحمَ على أميرِ المؤمنينِ عليٍّ ، وحمزةَ وجعفرِ والحسنِ والحسينِ ، والله لا برحتُ أو أوثرتُ في تأديبِ هؤلاء أثراً لا يعاودُونَ بعدهُ مثلهُ .

ثم أمرَ بجمْعِ النَّفَّاطِينِ (١) لتحريقِ الناحيةِ ، فقلتُ : أيُّها الأميرُ ، هذا من أشرفِ أيامِ الإسلامِ فلا تُفسدِهْ بجهلِ غِلْمَةٍ لا أخلاقَ لَهُم ، ولم أزلُ أداريه وأرفُقُ به حتَّى سارَ .

لما وليَ المعتضدُ حسنتَ آثاره ، وأمرَ بالزيادةِ في

(١) النفاطون : جمع نفاط ، الجندي المتخصص برمي النقط المستعمل

لإحراقِ العدر .

المسجد الجامع بالمدينة ، وأمر بتسهيل عتقته حُلوان (١) . وأنفق عليها نسيئاً وعشرين ألف دينار ، وأمر بردّ المواريثِ على ذوي الأرحام . وأخّر النسيروز ، واستبد (٢) الخراج إلى وقت إدراك الغلات ، وعمّر الدنيا ، وضبط الأطراف ، وأحسن السياسة . وقيل : إنّه أفضت إليه الخلافة وليس في الخزانة إلا سبعة عشر درهماً زائفةً ومات وخلف ما يزيد على عشرين ألف ألف دينار .

* * *

المكتفي (٣)

نظر إلى رأس صاحب الزنج ، وقد أخرج إليه من الخزانة ، فقال : لعنه الله ! فإنه عدا على الأنساب (٤) . كما عدا على الأسلاب .

* * *

(١) حلوان : المراد التي بالعراق وعنه حاوان التي بها نخلتنا حلون الشهيرتان وقد غرم فيها عشرين ألف دينار ، فسهلها بعد أن كان الناس يلقون منها مشقة عظيمة .

(٢) استبد الخراج . أخر ميعاد تسديده

(٣) المكتفي بالله : هو علي بن المنعصم ، ولد سنة ٢٦٣ هـ وتولى

الخلافة سنة ٢٨٩ هـ تغلب على الثائرين عليه ، وتوفي سنة ٢٩٥ هـ .

(٤) المراد : ادعى النسب إلى العلويين ولبس منهم . والأسلاب

غنائم الحرب .

المُقْتَدِر (١)

حكى أن علي بن عيسى الوزير (٢) كتب عنه كتاباً إلى ملك الروم ، فلما عرض عليه . قال : فيه موضعٌ يحتاجُ إلى إصلاحٍ ، فسألوه عن ذلك - وكان قد كتب في الكتاب : « إن قرُبْتَ من أمير المؤمنين قرُبَ منك ، وإن بعدتْ بعدتْ عنك » - فقال : ما حاجتي إلى أن أقربَ منه ؟ اكتبوا : « إن قرُبْتَ من أمير المؤمنين قرَّبَكَ ، وإن بعدتْ بعدتْكَ » .

ولم يُعرفْ للمقتدرِ مثلُ هذا الكلام ، ولا مثلُ هذه الفِطْنَةِ ، وقد ذكرناه على ما حكى ، وهو بكلامٍ غيره من الخلفاء أشبهه .

* * *

(١) المقتدر ، هو جعفر بن المعتضد ، ولد سنة ٥٢٨٢ . وتولى الخلافة سنة ٥٢٩٥ ، خلعه الناس وبايعوا المعتز ، ثم خلع المعتز وأعيد هو ثانية ، كثرت الفتن في أيامه ، قتله مؤنس سنة ٥٣٣٠ .

(٢) علي بن عيسى بن داود ، وزير المقتدر ، ولد سنة ٥٢٢٤ ، وولي الوزارة سنة ٥٣٠٠ ، وتوفي سنة ٥٣٣٤ ، وله مؤلفات .

الراضي (١)

لما استوزر ابن البريدي (٢) ، وهو غائبٌ عن حصرتيه ، وأجابهُ إلى مقترحاتيه ، قال الراضي كالآنفِ من طَرَحِهِ الوزارة على من يَشْتَرِطُ فيها : إنَّ الوزارةَ قطعةٌ من الخِلافةِ ، ووَهْنُهَا وَهْنُ الخِلافةِ .

• • •

إبراهيمُ بنُ المهديِّ (٣)

كتب إليَّ أحمد بن يوسف (٤) الكاتب : لعن الله زماناً أخْرَكَ عَمَّنْ لا يساوي كلُّهُ بَعْضَكَ .

وقال محمد بن راشدٍ : سألتُني إبراهيمُ بنُ المهديِّ

(١) هو محمد الراضي بن المفترد بن المعتضد ، ولد سنة ٢٩٧ هـ ، وتولى الخِلافة سنة ٣٢٢ هـ ، تفككت في عهده الدولة العباسية ، ولم يمد تحت يديه إلا بغداد ، مات سنة ٣٣٩ هـ .

(٢) تولى الوزارة للراضي ٣٢٧ هـ ، وللمتفي سنة ٣٣٠ هـ ، وكانت « واسط » تحت نفوذه ، حارب الحمدانيين ، توفي سنة ٣٣٢ هـ .

(٣) إبراهيم بن المهدي أخو الرشيد ، ولد سنة ١٦٢ هـ ، كان أديباً شاعراً حاذقاً في الغناء ، خرج على المأمون عندما ولي علي بن موسى الرضا ولاية المهد ، وقد انتصر عليه المأمون ثم عفا عنه ، توفي سنة ٢٢٤ هـ .

(٤) أحمد بن يوسف بن القاسم من أشهر كتّاب الدولة العباسية تولى ديوان الرسائل للمأمون وتوفي سنة ٢١٣ هـ .

عن رجلٍ ، فقالت : يساوي فلسين . فقال : زدت
في قيمته درهمين .

وكتب إليَّ صديقٌ لهُ : لو عرفتَ فضلَ الحسنِ
لَسَجَنَيْتَ القَيْسِيحَ وأنا وإياكَ كما قال رهير (١) :

وذِي شَطَطٍ فِي القَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّهُ

مَصِيبٌ ، فَمَا يُلْمِمْ بِهِ فَهُوَ قَائِلُهُ

عَبَأْتُ لَهُ حَلْمِي ، وَأَكْرَمْتُ غَيْرَهُ

وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ ، وَهُوَ بَادٍ مَقَاتِلُهُ

ومن إحسانِ اللهِ إلينا ، وإساعتكَ إلى نَفْسِكَ أَنَا
صَفَحْنَا عَمَّا أَمْكَنَّا ، وَتَنَاوَلْتَ مَا أَعْجَزَكَ .

ولما أُدخِلَ على المأمون عند الظفر به سَلَمٌ عليه ،
وقال : يا أمير المؤمنين وليُّ الثَّأْرِ مُحْكَمٌ فِي القِصَاصِ ،
والعَفْوُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، ومن مُدَّ لهُ فِي الأَنَاةِ حَسُنَ
عندهُ الذَّنْبُ ، وقد جعلكَ اللدُّ فوقَ كلِّ ذِي ذَنْبٍ
كما جعل كلِّ ذِي ذَنْبٍ دُونَكَ ، فإن عاقبتَ فَبِحَقِّكَ ،
وإن عفوتَ فَبِفَضْلِكَ .

(١) زهير بن أبي سلمى ، شاعر جاهلي من أصحاب الملقات .

فقال المأمون : يا إبراهيمُ ، إنِّي شاورتُ العباسَ
ابني ، وأبا إسحاقَ أخي في أمرِكَ ، فأشارا عليَّ بقتلِكَ
إلا أني وجدتُ قدرَكَ فوقَ ذنبِكَ ، فكرهتُ القتلَ
لِلإِزْمِ حُرْمَتِكَ .

فقال : يا أميرَ المؤمنين ، قد نصحَ المشيرُ لما جرت به
العادة في السياسةِ ، وحياطةِ الخلافةِ إلا أنك أبيتَ أن
تطلبَ النصرَ إلاَّ من حيثُ عودتَهُ من العفو ، فإن عاقبتَ
فلكَ نظيرٌ ، وإن عفوتَ فلا نظيرَ لكَ ، فإن جرُمي
أعظمُ من أن أنطقَ فيه بعذرٍ ، وعفوَ أميرِ المؤمنينَ
أجلُّ من أن يقييَ به شكركَ .

فقال المأمون : ماتَ الحقدُ عندَ هذا العُذرِ .

فاستعَبَرَ إبراهيمُ ، فقال المأمون : ماشأئتُك ؟
قال : الندمُ ، إذ كان ذنبي إلى مَنْ هذِهِ صِفَتُهُ في الإِنعامِ
عليَّ ، ثم قال : يا أميرَ المؤمنين ، إنه وإن بلغَ جرُمي
استحلالَ دمي فحلِّمُ أميرِ المؤمنينَ وفضلهُ يُبلغاني
عَفْوَهُ ، وإنَّ لي لشفعةَ الإقرارِ بالذنبِ وحقَّ العمومةِ
بعدَ الأبِ فلا يسفُطُ عن كَرَمِكَ عَمَّتِكَ ، ولا يقع
دونَ عفوكَ عندك .

فقال له المأمون^١ : لو لم يكن في حق^٢ نسبك^٣ حق^٤
الصفح^٥ عنك^٦ لبذغتك^٧ ماأمئت^٨ حُسن^٩ تَنصُّلك^{١٠} ،
ولطف^{١١} توَصُّلك^{١٢} .

ثم أمره بالجلوس ، وقال له : ماالبلاغة^{١٣} ياإبراهيم^{١٤} ؟
قال : أن يكون^{١٥} معنالك^{١٦} يُجَلِّي^{١٧} عن^{١٨} مَعْرَاك^{١٩} .

فقال المأمون : هذا كلام^{٢٠} يشدِّر^{٢١} (١) بالذهب ، لقد
ذهب^{٢٢} به^{٢٣} وَغَرَّأ^{٢٤} (٢) كان في صدري^{٢٥} عليه .

* * *

عبدُ الله بنُ المُعْتَزِّ (٣)

كتب^{٢٦} إلى بعض^{٢٧} إخوانه^{٢٨} : لو كنت^{٢٩} أعلم^{٣٠} أنك^{٣١}
تحب^{٣٢} معرفة^{٣٣} خبيري^{٣٤} لم أبخل^{٣٥} به^{٣٦} عليك^{٣٧} ، ولو طمعت^{٣٨} في

(١) يشدُر بالذهب : يفصل به .

(٢) الوغر : احتراق النفيظ ، وذهب وغر صدره ، ووغم صدره :

زال ما فيه من غل وعداوة .

(٣) عبد الله بن المعتز بن المتوكل ، الشاعر المبدع ، والأديب

النائر ، صاحب كتاب طبقات الشعراء ، ولد سنة ٨٢٤٧ ، بويغ بالخلافة

سنة ٨٢٩٦ ، وبقي بها يوماً واحداً ، ثم خلع وقتل .

جوابك لسألتُ عن خبرك ، ورجوتُ العُتبي منك
 لأكثرُ عتَابِك ، ولو ملكتُ الخواطرَ لم آذَنَ لنفسي
 في ذكرك . ولولا أنُ يضيغُ وصفُ الشوقِ لأطلتُ به
 كتابي . ولولا أنَّ عزَّ السلطان يشغلك عني لشغلتُ به
 سروري ، والسلام .

وكتب يذمُّ رجلاً : ذكرتُ حاجةَ أبي فلانِ
 المُكَنَّى ليُعرفَ ، لاليكُرمَ ، فلا وصلها اللهُ بالنجاح ،
 ولايسرَّ بابها للانفتاح و ذكرتُ عُذراً نَضَحَ (١) به عن
 نفسه ، فواللهِ ما نضحَ عنها لكنه نَضَحَ عليها (٢) ، وأنا
 واللهِ أصونُك عنه ، وأنصحُ لك فيه ، فإنه خبيثُ النية ،
 متلقِّفٌ للمعائب ، مُقلِّبٌ لسانه بالملق ، شائن (٣)
 بالتخلُّقِ وجَهَ الخُلُقِ ، موجودٌ عند النعمةِ ، مفقودٌ
 عند الشدةِ ، قد أنيسَ بالمسألة ، وضمري (٤) بالردِّ ،
 فلا تَعُقْ عقلك باختياره ، ولا توحشِ النعمةَ بإذلالها به .

(١) نضح عن الشيء : ذب ودفع عنه ، وأصل نضح من رمي السهام .

(٢) نضح عليها : رماها .

(٣) شائن : عائب ، والتخلق : إنداء الإنسان ما ليس من خلقه .

(٤) ضري : تعود .

وقال ابنُ المعتزُ : الخضابُ مِنُ شهودِ الزُّورِ .
ولعبدِ الله بنِ المعتزِ آدابٌ مجموعةٌ ، ومواعظٌ
وحيكَمٌ تمرُّ أكثرها في كلامِ المتقدمين ، وفيها نوادرٌ من
كلامِ أميرِ المؤمنين عليٍّ كرم اللهُ وجهه وغيره ،
وقد اخترتُ بعضَها ، وأوردته هذا المكانَ ، فمنها :

إعادةُ الاعتذارِ تذكيرٌ بالذنبِ .

في العواقبِ شافٍ أو مريحٌ .

العقلُ غريزةٌ تربيها التجاربُ .

النصحُ بينَ الملأِ تقديريٌّ .

أقمِ الرِّغبةَ إليك مقامَ الحرمةِ بكِ ، وعظِّمِ
نفسك عن التعظُّمِ ، وتطوّلْ ولا تتطاولْ (٢) .

الأملُ رفيقٌ مؤنسٌ ، إن لم يُبليغْكَ فقد استمتعتَ به .

لا يقومُ عِزُّ الغَضبِ بذلُّ الاعتذارِ .

الشفيعُ جناحُ الطالبِ .

إن بقيتَ لم يبقَ الهَمُّ .

(١) التطاولُ : الاستطالةُ والترفعُ ، والتطولُ : التفصيلُ . والتطولُ

عند العربِ محبودٌ ، والتطاولُ مذمومٌ .

لا تُنكحُ خاطبَ سرِّك (١) .

من زاد أدبُه على عقلِه كان كالرَّاعي الضعيفِ
مع غنمِه كثيرةٍ .

الدارُ الضيقةُ العمى الأصفر .

إذا هرب الزاهدُ من الناسِ فاطأُأبَّه ، وإذا طابهم
فاهربُ منه .

النَّمَّامُ جسرُ الشرِّ .

لا تشين وجهَ العفوِّ بالتقريعِ .

إذا زال المحسودُ عليهِ عامتَ أنَّ الحاسدَ كان يحسدُ
على غيرِ شيءٍ .

العجزُ نائمٌ ، والحزمُ يقظانٌ .

من تجرأ لك تجرأ عليك .

ماعتفا عن الذنبِ من قرع به .

أمرُّ المكاره ما لم يُحتسب (٢) .

(١) أي لا تطلعه على ما يريد من سرِّك .

(٢) محتسب : أي ينتظر المثوبة في الآخرة .

عبدُ الشهوةِ أَذُلُّ من عبدِ الرقِّ .
لا ينبغي للعاقل أن يطلبَ طاعةَ غيره ، وطاعةُ نفسهِ
عليه ممتنعة .

الناسُ نفسان : واجدٌ لا يكتفي ، وطالبٌ لا يجيد .
ذُلُّ العزْلِ يضحك من تيهِ الولاية .
كلما كثرُ حزنُ الأَسرارِ ازدادت ضياعاً .
بشرُّ مالِ البخيلِ بحادثِ أو وارثِ .

* * *

الباب الرابع

كلام جماعته

من بني أمية

قال سعيدُ بن العاص (١) : لا تمازح الشريفَ ؛
فيحقدَ عليك ، ولا الدنيا فيجتريء عليك .

ودخل عمرو بن سعيد إلى معاوية فقال له : إلى من
أوصى بك أبوك ؟ قال : إنَّ أبي أوصى إلي ، ولم يوصِ
بي . قال : فبأيِّ شيءٍ أوصاك ؟ قال : أوصاني ألا
يفقدَ إخوانه منه إلا وجهه . فقال معاوية لأصحابه :
إن ابن سعيدٍ هذا لأشدق (٢) .

قال عتبة بن أبي سفيان (٣) لعلم والده (٤) : ليكن

(١) المراد هنا سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ، من أجواد
العرب وأشرف بني أمية ، توفي سنة ٥٥٩ .

(٢) الأشدق : الواسع الشدق ، كناية عن الفصاحة .

(٣) عتبة بن أبي سفيان أمير مصر

(٤) اسمه : عبد الصمد بن الأعلى الشيباني .

أولَ إصلاحِكَ لوالدي لإصلاحِ نفسِكَ ؛ فإنَّ عيونَهُم
 معقودةٌ بعينِكَ ؛ فالحسنُ عندهم ما استحسنته ،
 والقبیحُ عندهم ما استقبحتَه ؛ علمَهُم كتابَ اللّهِ ،
 وروهُم من الحديثِ أشرفَه ، ومن الشعرِ أَعفَه ،
 ولا تُكْرِهَهُم على عِلْمٍ فبماؤهُ ، ولا تَدَعَهُمُ
 فيهِجْرُوهُ ، ولا تخرِجَهُم من عِلْمٍ إلى عِلْمٍ حتى
 يُتَقِنُوهُ فإنَّ ازدحامَ العِلْمِ في السَّمْعِ مَضَلَّةٌ للفهْمِ ؛
 وعِلْمُهُم سِيرَ الحِكماءِ ، هداهُم بي ، وأدبُهُم دوني
 ولا تَتَكَلَّمْ على عُنْدِ مَنْي ؛ فَإِنِّي اتَّكَلْتُ على كفايةٍ مِنْكَ .

أطعم أبو سفیان الناس في حجَّة الوداع ، فقصرَ
 طعامُهُ ، فاستعان برسولِ اللّهِ - صلى اللّهُ عليه وسلم -
 فأعانه بألفِ شاة ؛ فقال أبو سفیان : بأبي أنت وأمي ؛
 لقد حاربناك فما أجبتناك (١) ، وسألناك فما أبغضناك (٢) .

قال سعيدُ بن العاصِ ؛ موطنان لا أعتذرُ من العبي
 فيهما : إذا سألتُ حاجةً لنفسي ، وإذا أكلمتُ جاهلاً .

(١) أجبته : وجده جباناً .

(٢) أبغضه : وجده بخيلاً .

وكان سعيدُ بن العاص والياً على المدينة من قبيل معاوية . وكان معاويةُ يعاقبُ بينهُ وبينَ مروانَ (١) في ولايتها ، وكان يُغري بينهما ؛ فكتب إلى سعيد : أن اهدم دارَ مروان ، فام يهدمها ، وأعاد إليه الكتاب يهدمها ، فلم يفعل ، فعزله ، وولّى مروانَ ، وكتب إليه : أن اهدم دارَ سعيد ؛ فأرسل الفسحةَ ، وركب ليهدمها فقال له سعيدُ : يا أبا عبد الملك ؛ أتهدمُ داري ؟ قال : نعم ، كتب إليَّ أميرُ المؤمنين ، ولو كتب إليك في هدم داري لفعلت . فقال : ما كنتُ لأفعل . قال : بلى ، والله لو كتب إليك لهدمتها . قال : كلاً يا أبا عبد الملك ؛ وقال لغلامه : انطلق فاجني بكتاب معاوية ؛ فاجاء به ، فقال مروان : كتب إليك يا أبا عثمان في هدم داري ، فام تهدمها ولم تُعلمني ؟ قال : ما كنتُ لأهدم دارك ، ولا آمنُ عليك ، وإنما أراد معاويةُ أن يجرّضَ بيننا ؛ فقال مروان : فدك أبي وأمي ، أنت والله أكثرُ مني ريشاً (٢) وعقبياً ، ورجع فام يهدم دارَ سعيد .

(١) مروان بن الحكم .

(٢) الريش . الخصب والمعاش والمال المستفاد واللباس الحسن

الفاخر والعقب : الأولاد .

ذكر العتبيُّ : أنَّ معاويةَ بنَ أبي سفيانٍ أسرَّ إلى عمرو بنِ عبسَةَ بنِ أبي سفيانٍ حديثاً ، قال عمرو : فجيئتُ إلى أبي ، فقلتُ : إنَّ أميرَ المؤمنينِ أسرَّ إليَّ حديثاً ، أفأحدثُك بهِ ؟ قال : لا ؛ لأنَّه من كَتَمَ حديثه كان الخيارُ إليه ، ومن أظْهَرَه كان الخيارُ عايبه . فلا تجعلُ نَفْسَكَ مملوكاً : بعد أن كنتَ مالِكاً . فقلتُ : أو يدخلُ هذا بينَ الرجلِ وابْنِه ؟ قال : لا ، ولكن أكرهُ أن تُذكَرَ لسانُك بإفشاءِ السرِّ . قال : فرجعتُ إلى معاويةَ ، فذَكَرتُ ذلكَ له . فقال : أعتَقْتُك أخِي من رِقِّ الخطأِ .

خطبَ عتَبَةُ بنُ أبي سفيانٍ الناسَ بالموسمِ في سنةٍ إحدى وأربعينَ ، وعهدُ الناسِ حديثُ بالفتنةِ فاستفتحَ ، ثم قال :

أيُّها الناسُ ؛ قد ولَّيْنَا هذا الموضعَ الذي يضاعِفُ الله عزَّ وجلَّ للمحسنينَ فيهِ الأجرَ ، وعلى المسيءِ الوزرَ (١) ، فلا تمدُّوا الأعناقَ إلى غيرنا ، فإنها تنقطعُ

(١) الوزر : الذنب .

دُونَنَا ، وَرُبَّ مُتَمَنٍّ حَسَنُفُهُ فِي أَمْنِيَّتِهِ . اقبلوا العافية
ما قبلناها منكم وفيكم ، وإياكم و « لو » ، فقد أُنْعَبَتْ
من كان قبلكم ، ولن تُرِيحَ من بعدكم . أسألُ الله أنْ
يعينَ كُلاًَّ على كلِّ .

قالوا : لما استتبَّ الأمر للمعاوية ، قدم عليه عبدُ الله بن
عباس ، وهي أولُ قِدْمَةٍ قدمها عليه ، فدخل وكأَنه
قرحةُ (١) تَتَبَّجَسُ (٢) ، فجعل عتبةُ بنُ أبي سفيان
يُطِيلُ النظرَ إلى ابنِ عباسٍ ، وَيُقِيلُ الكلامَ معه .
فقال ابنُ عباسٍ : يا عتبةُ ؛ إنك لتُطِيلُ النظرَ إليَّ ،
وتُقِيلُ الكلامَ معي . أليسَ جِدَّةٌ فدامتْ ، أو لمعتبةٌ
فلا زالتْ ؟ قال له عتبةُ : ماذا أبقيتَ لما لا رأيتَ ؟
أمتاً طُولُ نظري إليك فسروراً بك ، وأما قلةُ كلامي
معك فقلابتهُ مع غيرك ، ولو سَأَطَّطَ الحقُّ على نفسك
لعلمتَ أَنه لا ينظرُ إليك عينُ مُبْغِضٍ .

فقال ابنُ عباسٍ : أمهيتَ (٣) يا أبا الوليد ، أمهيتَ !
لو تحققت عندنا أكثرُ ممَّا ظننناه لمحاه أقلُّ مما قامت .

(١) القرحة والقرح : أول ما يخرج من البئر حين تحفر .

(٢) تتبجس . تتفجر .

(٣) أمهيت . بلغت ما تريد ، وأصله : بلغ الماء في حفره .

فذهب بعضٌ من حضر أن يتكلم ، فقال معاوية :
اسكت . وجعل معاوية يصفق بيديه ويقول :
جندلتانِ اصطكتتا (١) اصطكتاكا

دعوتُ عركاً إذ دعوا غيراً كـ
إِنَّ الداخل بين قريش لحائنٌ (٢) نفسه .

وقال سعيدُ بنُ العاصِ : قَبَّحَ اللهُ المعروفَ إذا
لم يكن ابتداءً من غير مسألة ، فأما إذا أتاك ترى دمته
في وجهه ، مخاطباً لا يدري أتعطيه أم لا ، وقد بات
ليلته يتململُ على فراشه ، يُعاقب بين شقيقه ، مرةً
هكذا ، ومرةً هكذا ، منَ حاجته ، فخطرتُ بباله أنا
وغيري ، فتميلُ (٣) أرجاهم في نفسه ، وأقربهم من
حاجته ، ثم عزم عليَّ وترك غيري ، فلو خرجتُ له مما
أملكُ لم أكافيه (٤) ، وهو عليَّ أمنٌ مني عليه .

(١) الجندلة : الصخرة و« جندلتان اصطكتتا » مثل يضرب للقرنين
يتساولان .

(٢) الحائن : الهالك . أي أتاه الحين : وهو الهداك .

(٣) ميل بين أمرين : تردد ، ثم اختار أنفعهما له .

(٤) لم أكافيه : لم أكافئه ، وكافأ وكافئ بمعنى واحد .

قالوا : لَمَّا وُلِّيَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ
 الْمَلِكِ (١) دِمَشقَ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي بَنِي أُمَيَّةَ أَلَبُ (٢) مِنْهُ فِي
 حَدَاثَةِ سِنِّهِ ، قَالَ أَهْلُ دِمَشقَ : هَذَا غُلَامٌ شَابٌّ ،
 وَلَا عِلْمَ لَهُ بِالْأُمُورِ ، وَسَيَسْمَعُ مِنَّا ، فَقَامَ لِإِيهِ رَجُلٌ فَقَالَ :
 أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، عِنْدِي نَصِيحَةٌ . قَالَ لَهُ : لَيْتَ شِعْرِي
 مَا هَذِهِ النَّصِيحَةُ الَّتِي ابْتَدَأْتَنِي بِهَا ، مِنْ غَيْرِ يَدٍ سَبَقَتْ
 مِنِّي إِلَيْكَ ؟ قَالَ : جَارٌ لِي عَاصٍ مُتَخَلِّفٌ عَنْ ثَغْرِ (٣) .
 فَقَالَ لَهُ : مَا تَقِيَّتَ اللَّهَ ، وَلَا أَكْرَمْتَ أَمِيرَكَ ، وَلَا حَفِظْتَ
 جِوَارِكَ . إِنْ شِئْتَ نَظَرْنَا فِيْمَا تَقُولُ ، فَإِنْ كُنْتَ
 صَادِقًا يَنْمَعُكَ ذَلِكَ عِنْدَنَا ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا عَاقِبْنَاكَ .
 وَإِنْ شِئْتَ أَقْلُنَاكَ . قَالَ . أَقْلُسِي . قَالَ : أَذْهَبُ حَيْثُ
 شِئْتَ لِأَصْحَابِكَ اللَّهُ . إِي أَرَاكَ شَرَّ جَبَلٍ (٤) رَجُلًا .

(١) عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، ولي نيابة دمشق لأبيه
 وعزا الروم سنة ٥٩٤ .

(٢) ألب اسم تفضيل من لب : صار ذال لب .

(٣) عن ثغر . عن حرب العدو . والثغر : الموقع على الحدود
 مع العدو .

(٤) الجبل . كل صنف من الناس .

ثم قال : يا أهلَ دمشق ، أَمَا أعظمتُم ما جاء به الفاسقُ ؟
إن السعايةَ - أحسبُ منه (١) - سجيّةٌ ، ولولا أنه
لا ينبغي للوالي أن يُعاقبَ قبل أن يُعاتبَ كان لي في
ذلك رأيٌ ، فلا يأتينَنِي أحدٌ منكم بسعايةٍ على أحدٍ
بشيءٍ ، فإنَّ الصادقَ فيها فاسقٌ ، والكاذبَ فيها بهاتٌ (٢) .

* * *

(١) المعنى : إني أظن أن السعاية طبيعة فيه .
(٢) البهات : صيغة مبالغة من بهته : إذا قال عنه ما ليس فيه .

الباب الخامس

مكت لآل الزبير

قدم فضالةُ بنُ شريكٍ (١) ، على عبد الله بن الزبير ،
فقال : إني سرتُ إليك الهواجرَ (٢) يا أميرَ المؤمنين .
قال : ولِمَ ؟ أما كان لكَ في البردَينِ (٣) ماتسِيرُهُما ؟
كأنك تادرُ نَهْمًا ، لأبالكَ ، فقال : إنَّ ناقتي قد
نُتِيبَ (٤) خُفِّئها فاحملني . قال : ارقعها بجلد ،
واخصِّفها بهائب (٥) ، وأنجد بها (٦) ، وسرُّ بها

(١) فضالة بن شريك الأسدي ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام .

(٢) الهواجر جمع هاجرة ، وهي وقت اشتداد الحر في الظهيرة .

(٣) البردان : العداة والعنبي لبرود الجو فيهما .

(٤) نقب الخف : رق .

(٥) الهلب : الشعر أو خصلة منه .

(٦) أجد بها : سر بها في النجد ، وهو ما غلظ وارتفع واستوى من

الأرض .

البردّين . قال : إنما أتيتك مُستَحْمِلاً (١) ، ولم أتِكَ
مُستَوِصِفاً ، لعنَ الله ناقةً حَسَلْتَنِي إِلَيْكَ . قال : إن (٢)
وراكبَها ، فانصرفَ وهجاهُ بالأبياتِ الّتي يقول فيها :
أرى الحاجاتِ عندَ أبي خُسيبِ (٣)

نَكَدِنَ ، ولأُمَيَّةَ في البلادِ (٤)
كان مُصْعَبُ (٥) يقول : المرأةُ فراشٌ فاستوثِرُوا .

نازع ابنُ الزبيرِ مَروانَ في مجلسِ معاوية ، فرأى
أنَّ ضَلْعَ (٦) معاويةَ مع مروانَ . فقال : يا أميرَ المؤمنين .
إنَّ لك حقاً وطاعةً علينا ، وإنَّ انا سِطَّةٌ (٧) وحرمةٌ ،
فأطعِ اللهَ يُطِيعُكَ ، فإنه لا طاعةَ لكَ علينا إلاَّ في حقِّ

(١) مستحمل : طالب منه أن يحمله .

(٢) إن : نعم

(٣) أبو خبيص : كنية ابن الزبير ، يفوها له من يده ، أما من
يمدحه فيكنيه أبا بكر .

(٤) نكد الزمام : صاق واتتا

(٥) مصعب بن الزبير : أمير وقائد من قواد أخيه ، ولد سنة ٢٦ هـ .

(٦) ضلع معاوية مع مروان : ميله معه .

(٧) السطة : مصدر وسط ، ووسط القوم كناية عن الرفعة والشرف .

الله ، ولا تَطْرُقُ إطْرَاقَ الأَفْعُوَانِ (١) في أَصُولِ
السِّخْبِرِ (٢) .

وقال له مرةً : يامعاوية ، لاتدعُ مَرَّوَانَ يرمي
جماهيرَ (٣) قريشٍ بِمِشَاقِصِهِ (٤) ويضربُ صَفَاتِهِمْ (٥)
بِمِعْوَلِهِ ، لولا مَكَانُكَ لكانَ أَحْفَفَ على رِقَابِنَا من فَرَّاشَةٍ ،
وأَقْلَ في أَنفُسِنَا من خَشَّاشَةٍ (٦) ، وايمُ اللهُ لئنُ مَلَكَتْ
أَعْيُنُهُ خَيْلٌ تَنقُادُ له ليركبنَ منكَ طَبَقاً (٧) تخافُهُ .

فقال معاوية : إنْ يَطْلُبُ هذا الأَمْرَ فَقَدْ طَمِعَ فِيهِ
من هُودُونَةٍ وَإِنْ يَتْرِكُهُ يُتْرِكُهُ لِمَنْ فَوْقَهُ ، وما أَرَاكُمْ
بِمُنْتَهَيْنَ حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ عَلَيْكُمْ مَنْ لا يَعْطِفُ عَلَيْكُمْ

(٦) الأفعوان : ذكر الأفاعي ، شبهه به لأنه يطرق عند نفث السم .

(٢) السخبير : الشجر .

(٣) الجماهير : جمع جمهور ، وهو معظم الناس .

(٤) المشاقص : جمع مشقص وهو ما طال وعرض من النصال

والمراد : لا ندعه يصيبهم بالأذى .

(٥) الصفاة : الحجر الأملس .

(٦) الخشاشة : واحدة الخشاش وهو الهوام .

(٧) الطبقي : جمع طبقة ، وهي منزلة فوق منزلة ، والمعنى :

ليركبن منك أحوالا ومنارل في العداوة مخوفة .

بقرابةٍ ، ولا يذكرُكُمْ عند مُلِمَّةٍ . ويسومُكُمْ (١)
خَسْفًا (٢) ، ويورِدُكُمْ تَأْنِيًا .

قال ابنُ الزبير : إذا والله نَطَلِقُ عِقَالَ الحَرَبِ ،
بكتائبِ تمورٍ كرجلِ الجراد (٣) . تتبِعُ غِطْرِيْفًا (٤) من
قريشٍ لم تَكُنْ أُمَّهُ براعيةً ثَلَاثَةَ (٥) .

قال معاويةُ : أَنَا ابنُ هِنْدٍ ، أَطَلَقْتُ عِقَالَ الحَرَبِ .
فَأَكَلْتُ ذُرُوءَ السَّنَامِ ، وَشَرَبْتُ عَنَفِوَانَ المَكْرَحِ (٦) .
وليسَ لِأَكْلِ إِلاَّ الفِلْدَةَ (٧) ، ولِلشَّارِبِ إِلاَّ الرَّنْقُ (٨) .

لِيَمَّ مُصْعَبُ بنُ الزُّبَيْرِ عَلَى طُؤْلِ خِطْبَتِهِ عَشِيَةَ
عَرَفَةَ ، فَمَالَ : أَنَا قَائِمٌ وَهَمَّ جَلُوسٌ وَأَتَكَلَّمُ وَهَمَّ
سَكُوتٌ وَيَضْحَكُونَ ! .

(١) سامه الأمر : ألزمه إياه سرا

(٢) الخسف : الفهر والإذلال .

(٣) رجل الجراد : القطعه التي قوى بعضها بمصا

(٤) الغطريف : السيد .

(٥) راعية ثلثة : راعية الغنم .

(٦) عنفوان المكروح : أوله وهو أصفى ما يكون .

(٧) الفلذة : القطعه من الكبد أو السنام

(٨) الرنق : الكدر .

وكان عبدُ الله بن الزبير يقول : لاعاش بخيرٍ من
لم يرَ برأيه مالم يرَ بعينه .

قال عروةُ (١) بنُ الزبير : التواضعُ أحدُ مصائدِ
الشرفِ .

لما قال عبدُ الله بن الزبير : أكلتم تَمْرِي ، وعصيتُم
أمرِي . قال فيه الشاعر :

رأيتُ أبا بكرٍ - وربُّكَ غالبُ
على أمره - يبغِي الخلافةَ بالتهرِ

قال عمرُ بنُ شَبَّه (٢) : وقف ابنُ الزبيرِ على باب
مَيْمَّةَ ، مولاةَ كانت لعاويةَ . تُرْفَعُ حَوَائِجُ الناسِ إليها .
فَقِيلَ له : يَا أَبَا بَكْرٍ تَقِفُ على بابِ مَيْمَّةَ ! قال : نعم .
إِذْ أَعْيَيْتَكَ الأُمُورُ من رُؤُوسِهَا فَأَتَيْتَهَا من أَدْتَابِهَا .

(١) عروة بن الزبير بن العوام ، أحد الفقهاء العظماء ، كان مساجد
كريمًا عالمًا بالدين ، ولد سنة ٢٣ هـ ، وتوفي سنة ٩٧ هـ .
(٢) عمر بن شبة : شاعر راوية مؤرخ محدث ، ولد سنة ١٧٢ هـ .
وتوفي سنة ٢٦٢ هـ ، وله مؤلفات .

قال عُرْوَة : لعهدي بالناس ، والرجل منهم إذا أراد أن يسوءَ جاره سألَ غيره حاجته ، فيشكوهُ جاره ، ويقول : تجاوزني بحاجتيه ، أراد بذلك شينِي (١) .
لما أتى عبدَ الله بنَ الزبير قتلُ مُصعبٍ ، خطبَ الناسَ ، فحمدَ الله وأثنى عليه ثم قال :

إنه أتانا خبرُ مقتلِ المُصعبِ فسررتنا واكتأبنتنا ،
فأممَّا السرورُ فإلما قُدِّرَ له من الشهادة ، وخيِّرَ لهُ من الثواب ، وأممَّا الكتابةُ فلوعةٌ يجدُها الحميمُ لفراقِ حميمه . وإننا والله لانموتُ حبباً (٢) كميتةِ آلِ أبي العاصِ (٣) ، إنما نموتُ قتلاً بالرماح ، وقعصاً (٤) تحتَ ظلالِ السيوف ، فإنْ يهلكِ المُصعبُ فإنَّ في آلِ الزبيرِ خلفاً .

وقال لما أتاه قتلُهُ : أشهدُهُ المهلبُ ؟ قالوا : لا .

(١) الشين : العيب .

(٢) الحجج : أن تنتفخ بطون الإبل من أكلها العرفج ، وقد تموت

من ذلك .

(٣) والمراد أنه يعيب عليهم إقبالهم على المطاعم والشهوات .

(٤) مات قطعاً : إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه .

كَانَ الْمَهَلَّبُ فِي وَجْهِ الْخَوَارِجِ . قَالَ : أَفْشَهَيْدَةٌ
عَبَّادُ بْنُ الْخُصَيْنِ الْهَبْطِيُّ (١) ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ :
أَفْشَهْدُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمِ السُّلَمِيِّ (٢) ؟ قَالُوا : لَا .
فَتَمَثَّلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ :

فَقَلْتُ لَهَا عَيْشِي جَعَامَرُ (٣) ، وَجَرَّي
بِلِحْمِ امْرَأَةٍ لَمْ يَشْهَدْ الْيَوْمَ نَاصِرَةٌ

خَرَجَ عُرْوَةُ بْنُ الزَّيْبِرِ إِلَى الْوَلِيدِ ، فَوَطَّيئَةً
عَظْمًا ، فَلَمْ يَبْلُغْ دِمَشْقَ حَتَّى ذَهَبَ بِهِ كُلَّ مَتَدَهَبٍ ،
فَجَمَعَ الْوَلِيدُ الْأَطْبَاءَ ، فَأَجْمَعَ رَأْيَهُمْ عَلَى قِطْعِهَا .
فَقَالُوا لَهُ : اشْرَبْ مَرْقِدًا (٤) ، فَقَالَ : مَا أَحَبُّ أَنْ
أَغْفُلَ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ ، فَأَحْمِي لَهُ مِنْشَارًا ، وَكَانَ

(١) عباد بن الحصين بن يزيد الهبطي ، فارس بن عمير ، ولي شرطة
البصرة لابن الزبير .

(٢) عبد الله بن خازم بن أسماء السلمي ، ولي إمرة خراسان لبني أمية .

(٣) جعمار : اسم للفصيح أصله جاعرة ، وعيشي جعمار : مثل يضرب

إذا أتت الضمير الغنم وغاب الحارون .

(٤) المرقد : شراب يشربه الرجل فينام .

قَطْمًا وَحَسْمًا (١) ، فما تَوَجَّعَ ، وقال : ضعوها بين يدي ، لئن كنتُ ابتليتُ في عضوٍ لقد عُوِّيتُ في أعضاء .

فبينما هو على ذلك أتاه نَعِيُّ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ ، وكان قد اِطَّلَعَ مِنْ سَطْحٍ عَلَى دَوَابٍ لِلوَلِيدِ ، فسقط بينها فخبَطَتْهُ فَقَالَ عَرَوْهُ : الحمد لله ، لئن أخذتَ واحداً لقد أَبْقَيْتَ جَمَاعَةً ، ولئن ابتليتَ في عضوٍ لقد أَبْقَيْتَ أَعْضَاءَ .

حدثتُ وهبَ مَوْلَى آلِ الزبيرِ أَنَّهُ قَالَ : كنتُ مع عبد الله بن الزبيرِ بمكة في ولايته ، فكتب إليهِ رجلٌ كتاباً يعطه فيه :

أما بعدُ ، فإنَّ للتقوى في أهلها علامات يُعرفون بها ، ويعرفونها من أنفسهم ، مِنْ صَبْرٍ عَلَى البلاءِ وِرْيَاضٍ بِالْقَضَاءِ . وشُكْرِ النِّعْمَةِ ، وَذِلَّةٍ لِحُكْمِ القرآنِ ، وإنما الإمامُ كالسُّوقِ . يُحْمَلُ إِلَيْهَا مَا زَكَ (٢) فِيهَا ، فمن كان مِنْ أَهْلِ الحَقِّ أَتَاهُ أَهْلُ الحَقِّ بِحَقِّهِمْ ،

(١) المئى : وكان النضغ قطعا حسما . والحسم هو الكي بعد القطع حتى لا ينزل الدم .
(٢) ركا : طهر .

وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ أَتَاهُ أَهْلُ الْبَاطِلِ بِبَاطِلِهِمْ ،
فَانظُرْ أَيَّ الْإِمَامِينَ أَنْتَ . وَالسَّلَامُ .

قال : فكان عبدُ الله يعجب من بلاغةِ هذه الرسالةِ
وإيجازها ، ويضعها تحت فراشه ، ويتعاهدُ قراءتها .
كان لعبد الله بنِ عروة مولاةٌ يُقال لها : شهيدة ،
ففرعتُ ليلاً ؛ فسمعها تقول : اللهمَّ إِنِّ أَحْسَنْتُ فَأَحْسِنْ
لِي ، وَإِنِّ أَسَأْتُ فَأَسِئْ لِي . فقال : أَيُّ شَهَادَةٍ
عَتَقَ مَا يَمْلِكُ (١) إِنِّ لَمْ يَكُنْ هَذَا أَقْبَلَ مَالِكٍ عِنْدَ
رَبِّكَ .

قال عبد الله بنِ عروة بنِ الزبير : إلى الله أشكرو عيبي
ملا أدعُ ، ونعتسي ملا آتي ، وإنما يُبكتي للدنيا بالدين :

نازع عبد الله بنِ الزبير أخاه عَمَرًا (٢) ، والأَميرُ
بالمدينة سعيدُ بنِ العاص ، فاستعلى عبدُ الله في القول ؛
فأقبل سعيدُ على عمرو ، فقال : ليها يا بنِ أبي ؛ فأقبلَ

(١) وعق لا يملك حملة دعائه ؛ فوحده وبأدائها بشهاد بدبلا بما
ومعنى : شهدة في الأمد العسل ، وجمعه سهاد .
(٢) عمرو بنِ الزبير بنِ العوام ، كان شديد العارضة ؛ قويا .

عليه عبدُ الله ، فقال : هيهأ يا بنَ أبي أُحَيحة (١) ،
فو الله لَأَنَا خَيْرٌ مِنْكَ . ولَأبي خَيْرٌ مِنْ أَيْكَ : ولَأُمِّي خَيْرٌ
مِنْ أُمِّكَ ، ولِحَالِي خَيْرٌ مِنْ خَالِكَ ، ولَسَجْدِي خَيْرٌ مِنْ
سَجْدِكَ . ثُمَّ ، اللهُ رَفَعَ بِالْإِسْلَامِ بِيوتاً ووضَعَ بِهِ بِيوتاً ،
فكان بَيْتِي مِنَ الْبِيوتِ الَّتِي رَفَعَ ، وكان بَيْتُكَ مِنَ الْبِيوتِ
الَّتِي وَضَعَ ، وَإِنْ خَتَسَ (٢) أَنْفُكَ ، وانْتَفَخَتْ
لِغَادِيْدُكَ (٣) .

اختصم رجلان في حَدِّ بينهما بِالْأَعْوَصِ (٤) ،
فنهاترَا وتخاصَمَا ، فَأَتِيَا الزَّيْبِرَ بْنَ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ (٥) ،
وجعلاه حَكَمًا بَيْنَهُمَا . قال : فقال لهما : كان رجلان من
بني إِسْرَائِيلَ اختصما في أَرْضٍ ، فَأَذِنَ اللهُ لِلأَرْضِ ،
فكأَمَّتْهُمَا فقالت : لقد ملكني سبعون أعورَ ، وليس

(١) وأبو أُحَيحة : هو سعيد بن العاص ، حد سمع هذا ، توفي
سنة ٥٣ هـ ، وهو مذكور .

(٢) ختس : من الخس ، وهو تآخر في الألف مع ارتفاع قليل
في أرنبته .

(٣) اللغاديذ : جمع الغدور : لحمه في الحلق .

(٤) الأعوص : موضع قرب المدينة على أهال يسيرة منها .

(٥) الزبير بن هشام بن عروة محدث ثقة .

منهم^١ الآن أحد^٢ على ظَهْر الأَرْض . قال : ففترَقَا .
وقال كل منهما : لا حاجة لي بها ، وترادَّأها .

قيل لعروّة الزبيريّ حين حُمِل إلى الرشيد مُقَيِّدًا :
اختضب^(١) . فقال : حتى أعلم أراّسي لي أم لكم ؟
فأدخل عليه في سِلْسِلَةٍ ، فقال : كنت أشتهي أن أراك
فيها ، اخلعوا عليه . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ خلعة
شياء لا خلعة صيف .

* * *

(١) اختضب : صبغ شعره بالحناء .

الباب السادس

نوار أبي العيناء ومخاطباته

حَمَلَهُ بَعْضُ الْوُزَرَاءِ عَلَى دَابَّةٍ ، فَانْتَظَرَ عَلَقَهَا ،
فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ قَالَ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ هَذِهِ الدَّابَّةُ حَمَلْتَنِي
عَلَيْهِ أَوْ حَمَلْتَهُ عَلَيَّ (٢) .

قال : وقال لي يوماً : لا تكثر الوقعة في الناس .
فقلتُ : إنَّ لي في بصري شغلاً عن ذلك . فقال : ذلك
أشدُّ لحقدك على أهل العافية .

وقال له يوماً المتوكل : إنَّ سعيدَ بنَ عبدِ الملكِ

(١) محمد بن القاسم ، كنيته أبو العيناء ، ولد سنة ٥١٩١ هـ ، هاشمي بالولاء
وأديب فصيح ، اشتهر بنوادره ، كاتب شاعر ، ولكنه خبيث اللسان .
كف بصره في الأربعين ، وتوفي بالبصرة سنة ٥٢٨٧ هـ .
(٢) الدابة تطلق على الذكر والمؤنث .

يضحكُ منك ، فقال : (إنَّ الذينَ أُجْرِمُوا كانوا منَ
التَّدينِ آمَنُوا يَضْحَكُونَ) (١) .

وقال يوماً بحضرتِه ليخراشةَ : ابنُ كَمِّ أنتَ ؟
قال : ابنُ نَيْفٍ وخمسين . قال أبو العيناء : زانيةٌ .

ودخل يوماً إلى ابنِ ثَوَابَةِ (٢) ؛ فقال : بلغني ما
نخاطبتَ به أبا الصَّقْرِ (٣) ، وما منعه من استقصاءِ
الجوابِ إلا أنَّه لم يجدَ عِرْضاً فيضعه ، ولا مجدأً فيهدمه ،
وبعدُ فإنه عافَ لحمكَ أنْ يأكله ، وسهكَ (٤) دمكَ
أنْ يسفِكَه . فقال : ما أنتَ والكلامُ يا مكدي (٥) ؟
فقال أبو العيناء : لا تنكر على ابنِ ثمانين ، وقد ذهبَ
بصرُه ، وجفاه ساطانُه ، أنْ يعوَّلَ على إخوانه ، فيأخذَ
من أموالهم ، ولكن أشدَّ من هذا من يستنزلُ ماءَ أصلابِ

(١) سورة المطففين : ٢٩ .

(٢) أحمد بن محمد بن نوبة . من الكتاب في العصر العباسي ، وكان
كاتب الرسائل لمزالدولة . توفي سنة ٢٤٩ هـ .

(٣) أبو الصقر : هو إسماعيل بن بلبل ، وزير ، كان صديقاً
لابن المدبر .

(٤) سهك : استقدر راحته .

(٥) المكدي : الشحاذ .

الرجال . يستنرغُهُ في جَوْفِهِ . فيَقْطَعُ أرزاقَهُمْ ،
ويُعْظِمُ إجرامَهُمْ

فقال ابنُ تُوَابَةَ . ما تشاجر اثنانِ إِلَّا غلبَ الأَئِمُّهُمَا .
فقال له : ما عابتَ أبا الصقر .

وقال ابنُ ثُوَابَةَ يوماً : كَتَمْتُ (١) أنفاسَ الرجالِ
قال : حيثُ كانوا وراءَ ظَهْرِكَ .

وقال له يوماً نِجَاحُ بنِ سَلَمَةَ (٢) : ما ظهوركَ
وقد خرجَ توقُّعُ أميرِ المؤمنينَ في الزنادقةِ ؟ فقال :
نستدفعُ اللهَ عنكَ وعن أصهارِكَ .

ودخلَ على عبيدِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ (٣)
وهو يلعبُ بالشطرنجِ ، فقال : في أيِّ الحيزِ أنتَ ؟
فقال (٤) : في حيزِ الأميرِ أبده اللهُ .

(١) كتمت أنفاس الرجال جمعناها .

(٢) نِجَاحُ بنِ سلمه كان على ديوان الصباح ، ثم ديوان التوقيع
والاتباع على العمال المنوكل .

(٣) عبيد الله بن سيد الله بن طاهر الخزازي ، ولد سنة ٥٢٢٣ هـ ،
أمير سجاع محب للأدب ، ولي شرطة بغداد ، وكان له ولع بالهندسة
والموسيقى توفي سنة ٥٣٠٠ هـ

(٤) المراد مع أي اللاعبين أنت .

وغُلب عبيدُ الله فقال : يا أبا العيناء ؛ قد غُلبنا ،
وقد أصابك من النَّدب (١) خمسون رطلاً ثلجاً .
فكن أنتَ في حيلتها . قال : فقام ومضى إلى ابن ثوابة ،
وقال : إن الأمير يدعوك ، فلما دخلا قال : أيِّد اللهُ
الأميرَ ، قد جئتُك بجبلِ هَمَّانٍ ومَا سَيِّدان (٢) ،
فُخذُ منه ما شئتَ .

وقال يوماً لولدِ حججاجِ بنِ هارونِ : في أيِّ بابٍ
أنتَ من النحو ؟ قال : في بابِ الفاعلِ والمفعولِ . فقال :
أنتَ في بابِ أبويكَ إداً .

ومرَّ على دارِ عدوِّ له ؛ فقال : ما خبيرٌ أبي محمد ؟
فقالوا : كما تحبُّ . قال : فما بالي لا أسمعُ الرنَّةَ
والصَّراخَ ؟ .

ووعده ابنُ المدبِّرِ (٣) بدابةً ، فلما طالبه قال :

(١) ندب : التذب والسبق ما بوضع في الرهان فمن سبق أخذه .

(٢) ماسيدان ، موضع على يمين حلوان في العراق .

(٣) ابن المدبر . هو إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر ، وزير
من الكتاب المترسلين من أهل بغداد ، استوزره المعتمد سنة ٨٢٦٩ ،
وتوفي سنة ٨٢٧٩ .

أخافُ أنْ أحملكِ عليه فتقطعني ولا أراك . فقال :
عِدْني أنْ تضمّ إليهِ حماراً لأواظبَ مُفتضياً (١)
ووعده أنْ بحمله على بَعْلٍ ، فلقبهُ في الطريق ؛
فقال : كيف أصبحتِ با أبا العناء ؟ قال : أصبحتُ
بلا بَعْلٍ ، فضحك من قوله ، وبعثهُ إليه .

وحمله بعضهم على دابّةٍ ، فاستراها ابنُ الرجلِ
منهُ بثمنٍ أخّره ، ولقيه بعدَ أيامٍ ؛ فقال : كيف أنتِ
يا أبا العيناء ؟ قال : بخيرٍ يا مَنْ أبوه يحملُ وهو يُرجلُ .
وقالت له قِيِنَّةٌ (٢) : هَبْ لي خاتمكَ أذكركَ
به . فقال : ادكُري بالمنع .

وقالت له قِيِنَّةٌ : أنتِ أيضاً يا أعمى ! فقال لها :
ما أستعيرُ على وجهك بشيءٍ أصلحَ من العمى .
وقال له ابنُ السكّيت (٣) يوماً : تُراكَ أحطتَ

(١) مطالباً بما وعدت

(٢) القينة الجارية المغتبة .

(٣) ابن السكيت : هو يعقوب بن اسحق ، من علماء الفقه واللغة
والشعر والأدب

بما لم أُحِطْ به . قال : ما أنكرت ؛ فوالله لقد قال المدهدُّ ،
وهو أحسنُّ طائرٍ لسليمانَ : (أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ
تُحِطْ بِهِ) (١) .

وقال : وقُدِّمَ إلى مائدةٍ عليها أبو هفَّانَ (٢) وأبو
العيناء - فالوذجُ (٣) ، فقال أبو هفَّانَ : لهذه أحرمن
مكانك في جهنم . فقال أبو العيناء : إن كانت هذه حارَّةً
فبرِّدْهَا بِشِعْرِكَ .

وقال له صاعدٌ يوماً : ما الذي أخبرَكَ عنا ؟ قال :
بُنَيَّتِي قال : وكيف ؟ قال : قالت : يا أبةُ ؛ قد
كنتَ تغدو من عندنا فتأْتِي بالخلعة السريَّة ، والجائزة
السنيَّة ، ثم أنت الآن تغدو مُسْدِفاً (٤) ، ورجعُ
مُبعثماً ، فإلى من ؟ قلت : إلى أبي العلاء ذي الوزارتين .

(١) سورة النمل : ٢٢ .

(٢) أبو هفَّان : هو عبد الله بن أحمد المهزومي ، راوية ، شاعر ،
أديب أخذ عن الأصمعي ، كان منتهكاً فقيراً ، وله تصانيف بعضها
مطبوع .

(٣) القالوذج . نوع من الخلوى

(٤) السدف : الظلمة والليل . وأعم . أبطأ وتأخر .

قالت : أيعطيكَ ؟ قلتُ : لا . قالت : أيشفَعُكَ ؟
قلت : لا ، قالت : أفيرفَعُ مَجْلِسَكَ ؟ قلت : لا .
فقالت : يا أبه ، ((لِمَ تَعُدُّ مَالًا يَسْمَعُ وَلَا
يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا)) (١) .

وقال له عبيدُ الله بن سليمان (٢) : إِنَّ الْأَخْبَارَ
المذكورةَ في السخاءِ وكثرة العطاء أكبرها تصنيفُ
الوراثين ، وأكاذيبهم . قال : ولِمَ لا يكذبون على
الوزير أيده الله .

وقال له محمد بن مُكْرَم (٣) : طممتُ أن أمر
غلامي بدوسِ بطنك . فقال : الذي تخلفه على عيالك
إذا ركبتَ ، أو الذي تحمله على ظهرِك إذا نزلتَ ؟
وقال يوماً لرجلٍ سلّمَ عليه : من أنتَ ؟ قال :
رجلٌ من ولدِ آدم . قال : ادنُ مني عانِقْسي ، فما
ظننتُ أنه بقيي من هذا النسلِ أحد .

(١) سورة مريم : ٤٢

(٢) عبيد الله بن سلمان بن وهب ، كاتب في العصر العباسي ، ولد
سنة ٥٢٢٦ هـ ، استوزره المعتمد والمتضد و توفي سنة ٥٢٨٨ هـ .

(٣) كان مشهوراً في بغداد بالعلم والادب ، توفي سنة ٢٢١ هـ

وقال له أحمدُ بن سعيدِ الباهليّ : إني أصبتُ لباهلةً
فضيلةً لا تُوجدُ في سائرِ العرب . قال : وما هي ؟ قال :
لا يُصابُ فيهم دَعيٌّ . فقال : لأنه ليس فوقَهُم من
يقبَلُهُم ، ولا دُونَهُم أحدٌ فينزُلُون إليه .

وحضره يوماً ابنُ مكرمٍ فأخذَ يُؤذيه ، فقال له ابنُ
مكرمٍ : الساعةَ والله أنصرفُ . فقال : مارأيتُ من
يتهددُ بالعافية غيرك .

وقال له يوماً ما يُعرِّضُ به : كم عددُ المكذِبين (١)
بالبصرة ؟ قال : مثلُ عددِ البغاثين ببغداد .

وقدم ابنُ مكرمٍ من سفرٍ ، فقال له أبو العيْناء :
ما أهديتَ لي ؟ . قال : قدمتُ في خُفٍّ . قال : لو قدمتَ
في خُفٍّ لخالقتَ نفسك .

وقال له ابنُ مكرمٍ : مذهبي الجمعُ بين الصَّلَاتين .
قال : صدقتَ ، ولكن تجمعُ بينهما بالتَّرك .

وقال له ابنُ بدرٍ (٢) يوماً وهو على بابهِ : أهذا

(١) المكذِبين : جمع مكدي ، وهو المتسول السائل الملح .

(٢) هو أحمد بن ندر الشرايبي كانت إليه الشرطة زمن الراضي .

المنزل ؟ قال : نعم ، فإن أردتَ أن ترى سوءَ أثرِكَ
فانزِل .

قال له أبو الجَمَّاز : كيف ترى غِنائي ؟ قال :
كما قال الله عزَّ وجل : (إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ
الْحَمِيرِ) (١) .

ودخل إلى المتوكِّل ، فتقدَّم إليه طعام ، فغمسَ أبو
العِيناء لقمته في خَلٍّ كان حامضاً ، فأكلها وتأذَّى
بالحموضة ، وفطن المتوكِّل فجعل يضحك ، فقال :
لاتلمني يا أمير المؤمنين ، فقد مَحَتِ الْإِيمَانُ مِنْ قَلْبِي .
وقال له السُّدْرِيُّ : أشتهي أن أرى الشيطانَ .
فقال : انظر في المرأة .

قال أبو العِيناء : رأيت محمد بن مكرم يصلي
صلواته كلَّها ركعتين ركعتين ، فقلتُ : يا محمد ،
ما هذا الذي أراك تفعله ؟ قال : عزمتُ وحياتك على الخروج
إلى قُسِّم (٢) إلى عند أبي .

(١) سورة لقمان : ١٩ .

(٢) قم : بتشديد الميم مدينة بفراس افتتحها المسلمون سنة ٥٢٣ .

قيل لأبي العيناء : لم اتَّخَذْتَ خادمين أسودين ؟
فقال : أما أسودان فثلاثا أُتَّهِمَ بهما ، وأما خادمان
فثلاثا يُتَّهِمَانِي .

ونظر إلى رجل قبيح الوجه ، فقال : كأنما خلُصَّ
هذا الرجلُ لِيَعْلَمَ النَّاسُ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ .

وقدمَ صديقٌ له من بعضِ الأعمالِ السلطانية ،
فدعاهُ إلى منزله وأطعمه وجعل الرجلُ يكثرُ الكذبَ ،
فالتصت أبو العيناء إلى من كان معه فقال . نحن كما قال
الله تعالى : (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ) (١)
وقيل : ابنُ كَسَمٍ أنتَ ؟ فقال : قبضه ، يعني :
ثلاثاً وتسعين .

وقيل له : كيف حمدك أفلان ؟ فقال : أحمداه
للزُّومِ الزمان ، فأمتاً عن حُسْنِ اختيارِ فلا .
واعترضه يوماً أحمد بن سعيد ، فسأله عليه ،
فقال أبو العيناء : من أنتَ ؟ قال : أحمد بن سعيد ،
فقال : إني بك لعارف ، ولكن عهدي بصوتك يرتفعُ

(١) سورة المائدة . ٤٢ .

إليّ من أسهل . فماله ينحدر عليّ من عبثو ؟ قال :
لأنني راكب . قال : لا إله إلا الله . لعهدي بك وأنت
في طِمْرين (١) أو أقسمت على الله في رغب لأعضاك
بما تكره .

وقال يوماً لعبيد الله بن ساسمان : إلى كم يرفعني
الوزير ، ولا يرفع في رأسا ؟ .

وقال له يوماً : كيف حالك ؟ فقال : أنت الحال ،
فإذا صلحت صلحت .

وقال يوماً لعبيد الله بن يحيى . أبها الورير ، قد
يرح بي حججاً لك ، فقال له : ارفق . فقال : لو رفق
بني فعلمك رفق بك قولي .

وقيل له : لاتعجل ، فإن العجاجة من الشيطان ،
فقال : لو كان كذلك لما قال موسى عليه السلام :
(وعججتُ إليك ربّ لترضى) (٢) .

وقال لرجل : والله ما فبك من العقل نسيّة إلا ممداراً
ما تسجّب به الحجّة عايلك ، والنار لك .

(١) الطمر . الثوب الملق السالى

(٢) سورة طه ٨٤ .

قال المتوكلُ : لولا ذهاب بَصْرِ أَبِي العِيَاءِ لَأَرَدْتُ
سِنَادِمَتَهُ ، وَبَلَغَهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ : قَوْلُوا لَهُ : لِإِنِّي إِنْ أُعْفِيتُ
مِنْ قِرَاءَةِ نَقُوشِ الْخَوَاتِمِ ، وَرُؤْيَةِ الْأَهْلِيَّةِ صَلَحْتُ لِغَيْرِ
ذَلِكَ . وَأَنْهَى ذَلِكَ إِلَى الْمُتَوَكَّلِ فَضَحِكَ وَأَمَرَ بِمِنَادِمَتِهِ .

قال أبو العِيَاءِ : سَمِعْتُ جَارًا لِي أَحْمَقٌ وَهُوَ يَقُولُ
بِجَارِي لَهُ : وَاللَّهِ لِحُمَمَتِ أَنْ أَوْكَلَّ بِكَ مَنْ يَصْفَعُ
رِقَبَتَكَ ، وَيُخْرِجُ هَذِهِ الْجَفُونَ مِنْ أَقْصَى حَجَرٍ بِخِرَاسَانَ .

وَدَخَلَ إِلَى ابْنِ مَكْرَمٍ ، فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ أَنْتَ ؟
قَالَ : كَمَا تَحِبُّ ، فَقَالَ : فَلِمَ أَنْتَ مُطَاقٌ ؟ (١) .

* * *

وَمِنْ رَسَائِلِ أَبِي الْعِيَاءِ وَكَلَامِهِ الْمُسْتَحْسَنِ

كَتَبَ إِلَى أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ دَوَادٍ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ،
مَسَّتْنَا وَأَهْلَنَا الضَّرُّ ، وَبِضَاعَتُنَا الْمُدَّةُ وَالشُّكْرُ ، فَإِنْ
تَعَطْنَا أَكُنْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

أَنَا الشَّهَابُ الَّذِي يَحْمِي دِيَارَكُمْ
لَا يَخْضَمُ الدَّهْرَ إِلَّا ضَوْعَهُ يَقِيدُ

(١) مطلق : غير متقلد لشؤون الوزارة .

وإن لم تفعل فلنسنا ميمَنَ بِتَأْسِيزُكَ (١) فِي الصَّدَقَاتِ .
(فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا
إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ) (٢) .

قال ابن مكرم : مَنْ رَعِمَ أَنْ عَبْدَ الْحَمِيدِ أَكْتَسَبَ
مِنْ أَبِي الْعِيَاءِ إِذَا أَحْسَنَ بِكَرْمٍ أَوْ شَرَعَ فِي طَمَعٍ فَقَدْ وَهَمَ .
كتب إلى عبيد الله بن سليمان وقد نكبه وأباه المعتمد ،
وهما مطالبان بمال ، يبيعان له ما بما كان من عتقار
وأثاث ، وعبد وأمة . وأعطيت بخادم أسود عبيد
الله خمسون ديناراً ، فكتب إليه أبو العيَاء :

قد علمت - أطال الله بقاءك - أن الكريم المنكوب
أجدى على الأحرار من اللئيم الموفور (٣) ، لأن اللئيم
يزيد مع النعمة لؤماً ، ولا تريد محنة الكريم إلا كرمًا ،
هذا مستحيل على رآزقه ، وهذا يسبب الظن بخالقه ،
وعبدك إلى مائلك كافر فقير ، وتمننه على ما اتصل به

(١) يلزم : يعيب ويغتاب .

(٢) سورة التوبة : ٥٨ .

(٣) الموفور : الكثير الوفر والمال

يسير ، فإن سمحتَ فتلكَ منك عاقتي ، وإنَّ أمرتَ
بأخذِ ثمنِهِ فمألكَ منه مادّتي . أدام الله لنا دولتكَ ،
واستقبل بالنعمةِ نكبتكَ ، وأدام عزّكَ وكرامتكَ .
فوهب الخادمَ إليه .

قال أبو العيناء : قال ملكٌ لبنيهِ : صِفُوا لي شهواتِكُم
من النساءِ . فقال الأكبرُ : تُعجِبُنِي القُدودُ والخُدودُ
والنهودُ . وقال الأوسطُ : تُعجِبُنِي الأطرافُ والأعطافُ
والأردافُ . وقال الأصغرُ : تُعجِبُنِي الشعورُ والثغورُ
والنحورُ .

كان بين أبي العيناء وبين إبراهيم بن رباح خلةٌ
ومودةٌ وصداقةٌ قديمةٌ ، فلما نُكِبَ مع الكتابِ في
أول خلافةِ الواثق(١) أنشأ أبو العيناء كلاماً حكاها عن
بعضِ الأعرابِ ، فلما وصلَ إلى الواثقِ وقرِئَ عليه .
قال : واضعُ هذا الكلامِ ما أراد به غير إبراهيم بن رباح ،
وكان أحدُ أسبابِ الرضا عنه . ونسخةُ الكلامِ : قال :

(١) في سنة ٥٢٢٩ هـ حبس الواثق بعض الكتاب ، والزهم أموالاً
عظيمةً .

لقيتُ أعرابياً من أهلِ البادية ، فقلتُ : ما عندك
من خبَرِ البلادِ ؟ قال : قتلَ أرضاً عالمُها (١) . قلتُ :
فما عندك من خبرِ الخليفةِ ؟ قال : تبجَّحَ في عزَّةِ (٢)
فضربَ بيجرانِه (٣) ، وأخذَ الدرهمَ من مِصرِه ،
وأرغَفَ كلَّ قلمِ خيانتِه (٤) .

قلتُ . فما عندك من خبَرِ ابنِ أبي دُوادٍ ؟ قال :
عُضِّلَتْ (٥) لَاتُطَاقُ ، وجُنْدَلَةٌ لَاتُرَامُ . يُنْتَحَى
بالمُدَى لسحره فتحور (٦) ، وتُنْصَبُ له الحبائلُ حتى
يهرول : الآنَ ، ثم يَضُضِرُ (٧) صِبْرَةَ الذئبِ ، ويتَمَلَّسُ

(١) كناية عن الخبره بما سئل عنه

(٢) تبججح : توسط ، كناية عن السمك

(٣) الحران في الأصل باطن العنق ، وقيل . مقدم العنق من

مذبح البعير .

(٤) أرغف الإباء مآذ حتى سال

(٥) العضلة . الشديده الداھيه والحدلذ الحجر ، أو ما يجتمع في

النهر من حجارة تمنع الملاحة .

(٦) محور . ترجح .

(٧) يضبر : ينب ، وأصلها نوع من سير الفرس

تَمَسَّسَ الصَّبَّ ، والخليفةُ يحتمو (١) عليه ، والعراق (٢)
يأخذُ بضمِّ عَيْه .

قلتُ : فما عندك من خبرِ عُمَرَ بنِ فَرَجِ (٣)؟
فقال : ضُخَامٌ حَضَجِرٌ (٤) وغضوبٌ هِزْبِرٌ ، قد
أهدَفَه القومُ لبغيهم ، وانتَصَوْا له عن قسيهم
وأخسرَ له بمثلِ مصرعٍ من يُصرعُ منهم ! .

قلتُ : فما عندك من خبرِ ابنِ الزياتِ ؟ قال : ذاك
رجلٌ وسيعُ الوري بِشَرِّه ، وبطنُ بالأُمورِ خبِرُهُ .
فله في كلِّ يومٍ صريعٌ لا تظهُرُ فيه آثارُ مِخَابٍ ولا نَابٍ ،
إلا بقسديدِ الرَّأيِ .

قلتُ : فما عندك من خبرِ إبراهيمِ بنِ رباحِ ؟ قال :
ذاك رجلٌ "أوبقتهُ كرمُهُ ، وإنْ يفسزُ للكُرامِ قِداحُ (٥) .

(١) الختمو : العدو الشديد .

(٢) الصَّبَّ : العضد .

(٣) عمر بن فرج حبسه المتوكل ، وكان أحد من حبسهم الواصلين
من الكتاب .

(٤) الضخام : العظيم من كل شيء ، وقيل العظيم الجرم ، الكثير
الحجم ، والحضجر : العظيم البطن .

(٥) القدح : السهم .

فأحرِ بمنجاته ، ومعه دُعاءٌ لا يخذلُه ، وفوقه خليفةٌ
لا يظلمُه .

قلت : فما عندك من خبر نجاح بن سلمة ؟ قال :
لادره من خافضٍ أوتادٍ ، يقدرُ كأنه هُبُّ نارٍ ، له
في الفيسنة بعد الفينة جليلة عند الخليفة كحسوةٍ
طائر ، أو كخالسة سارق ، يقومُ عنها ، وقد أفادَ
نِعماً ، وأوقعَ نِقَمًا .

قلت : فما عندك من خبر الفضل بن مروان ؟ قال :
ذاك رجلٌ حشيرٌ بعد ما قُبِرَ ، فله نشرةُ الأحياء ،
وفيه نخوتُ الموتى .

قلت : فما عندك من خبر أبي الوزير (١) فقال :
إخاله كِبش الزنادقة . ألا ترى أنَّ الخليفةَ إذا أهمله
نخضم (٢) فرتع ، حتى إذا أمرَ بنفضه أمطر فأمرع .

قلت : فما عندك من خبر أحمد بن الحبيب ؟

(١) أبو الوزير . وزير المتوكل

(٢) الخضم الأكل بالفم كله .

فَقَالَ : أَحْمَدُ أَكَلَ لِكُلَّةِ نَهَمٍ ؛ فَأَخْلَفَ خَائِفَةً
بِسْمِ (١) .

قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ مِنْ نَخْبِ الْمَعَلِيِّ بْنِ أَيُّوبِ ؟ قَالَ :
ذَلِكَ رَجُلٌ قُدَّتْ مِنْ صَخْرَةٍ ، فَصَبْرُهُ صَبْرُهَا ، وَمَسَّهُ
مَسُّهَا .

قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ مِنْ نَخْبِ أَحْمَدِ بْنِ إِسْرَائِيلِ ؟ قَالَ :
كُنْتُمْ غُرُورٌ ، وَجَاءَتْ صَبُورٌ ، لَهُ جِلْدٌ نَمِيرٌ ، كَأَنَّهَا
قَدُّوا لَهُ إِهَابًا أَنْشَأَ اللَّهُ لَهُ إِهَابًا (٢) .

قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ مِنْ نَخْبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَعْضُوبِ ؟ قَالَ :
(أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) (٣)

قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ مِنْ نَخْبِ سَلِيمَانَ بْنِ وَهَبِ ؟ فَقَالَ :
ذَلِكَ رَجُلٌ اتَّخَذَهُ السَّلْطَانُ أَحْبَابًا ، فَاتَّخَذَتْ نَفْسُهُ
لِلسَّلْطَانِ عِبْدًا .

(١) بشم : بالغ في الطعام حتى التخمة

(٢) الإهاب : حلد الحيوان قبل دبه

(٣) سورة النحل : ٢١ .

قلتُ : فما عندك من خمر أخيه الحسن ؟ : فقَالَ
نند ما استنوّقتَ (١) مسألتك ! ذاك حرمةٌ حُبِستُ
خريرهِ المجرمِ . لبس في القوم في نخلٍ ولا خَمْرٍ ،
هيهات .

كثيبَ الحبسِ والخراجِ عليهم
وَسَلَى المَحْصَنَاتِ جَرَّ الذُّيُولِ (٢)

(١) مأخوذ من المثل : « استنوى الحمل » . إذا ضعف أمره .

(٢) مأخوذ من بيت عمر بن أبي ربيعة

كف القبل والقنال عابنا وعلى المحصنات جرّ الذيول

الباب السابع

سوار مزبد

أخذهُ بعضُ الولاةِ وقد اتَّسَمَهُمُ بالشُّربِ ،
فاسْتَنَكَمَهُ (٢) ، فلم يجد منه رائحةً ، فقال : قَسِيئُوهُ .
قال : من يضمنُ عَشَائِي أصابعك الله ؟ .

قيل له مرة - وقد أفحشني نبي كلاءه - : أمْلِ علي
كاتبَيْسِيَاكَ (٣) خَيْراً . قال : أكرهُ أنْ أنْحِطَ عليهما .
وادَّعَى رجل عليه شيئاً . وهدمته إلى القاضي .
فأذكره ، وسألهُ إقامة البَيْتِئنه ؛ فقال : ليس لي بيتنه .
قال : فأسْتَحْلِفْهُ لَكَ ؟ قال : وَمَا يَمِينُ مزبَدُ أصابعك الله ؟

(١) مزبد المدني كان يضرب به المثل في الهرل والدعابه .

(٢) استنكمه : شم أي : رائحه

(٣) المراد : الملكان الكتابيان .

فقال مُزَبَّدٌ : ابعث ، أصالحك الله ، إلى ابن أبي ذئب (١)
فاستجابه له .

وتناولَ رجلٌ من لحيته شيئاً ، فسكتَ عنه ، وكانَ
الرجلُ قَبِحَ الوجه ، فقال : ويحك لم لا تدعُولي ؟ فقال :
كرهتُ أن أقولَ صرفَ الله عنكَ السوء فتبقى بلا وجه .

وقيل له : أيسرُّكَ أن هذه الحُبَّةَ لك ؟ قال : نعم ،
وأضربُ عشرين سوطاً . قيل : ولم تقولُ ذلك ؟ قال :
لأنَّه لا يكونُ شيءٌ إلا بشيءٍ .

وأتاه أصحابُ له يوماً ، فقالوا له : يا أبا إسحاق ؛
هل لك في الخروج بنا إلى العَفِيقِ (٢) ، وإلى قُبَاءِ (٣) ،
وإلى أحدِ ناحيةِ قبورِ الشهداء ؛ فإن يومئذٍ كما ترى
يوم طيِّبٌ . قال : اليومُ يومُ الأربعاءِ ولستُ أبرحُ من

(١) ابن أبي ذئب من الصالحين .

(٢) العَفِيقُ . يعلِّق على كثير من المواضع ، والمراد هنا عَفِيقُ
المدينة ، بجانبها ، فيه عيون ونخل .

(٣) قُبَاءُ ، في طرفِ المدينة ، يقصر ويمد ، بها مساكنُ بعضِ الأنصارِ
ومسجدُ قُبَاءِ المشهور

منزلي . قالوا : وما تكره ؟ . يومُ الأربعاءِ فيهِ وُئِدَ
يونسُ بنُ متى عليه السلام . قال : بأبي وأمي أنتم فقدتم
التَّعَمُّمَ الحوتُ . قالوا : فيهِ اليومُ الذي نُصِرَ فيهِ النبيُّ
عليه السلام يومَ الأحزاب . قال : أجل . ولكنْ بعدَ
إِذْ زَاغَتِ الأبصارُ ، وبَاغَتِ القلوبُ الحناجرُ . وظنُّوا
باللهِ الظنونَ .

استأذن مُزبَدٌ على بعضِ البخلاء وقد أُهدي له
تينٌ في أولِ أوَّانِهِ ، فلما أحسَّ بدخولِهِ تناولَ الطبقَ .
فوضعه تحتَ السريرِ ، وبقيتْ يدهُ معلَّقةٌ ، ثم قال لمزبَدَ :
ما جاء بك في هذا الوقتِ ؟ قال : يا سيدي ؛ مررتُ السَّاعةَ
ببَابِ فلانٍ ، فسمعتُ جاريتَهُ تقرأُ لحناً ما سمعتُ قطُّ
أحسنَ منه ، فلمَّا عامتُ من شدَّةِ محبَّتِكَ للقرآنِ ،
وسماعتُ للألحانِ ، حفِظتُهُ ، وجئتُ لأقرأه . عليك .
قال : فهاتِهِ ، فقال : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ((والزَّيْتُونَ))
وطُورِ سِينِينَ .)) (٣) فقال : ويالك ! أين التين ؟ قال :
تحتَ السريرِ ! ! .

(١) سورة التين : ٢٥١ .

احتاج مزبّد" أن يبيع جُبته لسوء حاله ، فنادى
عليها المنادي ، فلم يطاب بشيء ؛ فقال : مزبّد : ما كنتُ
أعلمُ أي كنتُ عمرانياً إلى الساعة .

ونظر يرمأ إلى امرأته تصعد في درجة ، فقال :
أنتِ الطلاق إن صعدت ، وأنتِ الطلاق إن وقفت ،
وأنتِ الطلاق إن نزلت . فرمت بنفسها من حيث بلغت .
فقال لها : فداك أبي وأمي ! إن مات مالك احتاج إليك
أهلُ المدينة في أحكامهم .

وقالت امرأةُ مزبّد - وكانت حُبلى ، ونظرتُ
إلى فبيح وجهه - . الويلُ لي إن كان الذي في بطني
يُشبهك ، فقال لها : الويلُ لي إن كان الذي في بطنيك
لا يشبهني .

دفع مرّةً إلى والي مكة ، وقد أفطر في شهر رمضان ؛
فقال له الوالي : يا عدو الله ؛ تنفطير في شهر رمضان !
قال : أنت أمّرتني بذلك . قال : هذا شرٌّ ، كيف
أمرتك ؟ وبالك . قال : حدّثت عن ابن عباس :

أنه من صام يوم عرفة عدل صومه سنة ، وقد صمته .
فضحك الوالي وخصلاًه

واعتلّ عاه ، وأشرف منها إلى الهلاك ، وأراد أن
يوصي ، فدعا بعض أوليائه ، وأوصى إليه ، وكتب كتاب
وصيته ، وأمر للوصي بشيء ؛ فلما فرغ من الكتابة
راه مزبداً وهو يتربّب الكتاب ؛ فقال وهو على تلك
الحال : نعم يا سيدي ، فهو أقضى للحاجة (١) .
ونظر إلى قومٍ مكتتبين يندهب بهم إلى السجن ،
فقال : ما قصّة هؤلاء ؟ قالوا : خير . قال : إن كان
خيراً فاكْتفوني معهم .

* * *

(١) أشار إلى الحديث الشريف . « إذا كتب أحدكم فليرب فاته
أنجح » .

الباب الثامن

نوار أبي الحارث حمين^١

قيل له : ماتقولُ في فالوذجة ؟ قال والله لو أنَّ موسى لَتَيَّ فرعونَ بفالوذجةِ لآمن ، ولكنه لقسه بعصا .

وقيل له يوماً : ماتشتهي ؟ فقال : نَشِيشَ مِقْلَاةٍ بين غلبانِ قِدرٍ على رائحةِ شِواءٍ .

وكان لا يأكل الباذنجانَ ، فكأيده محمدُ بنُ يحيى واتخذَ ألوانه كلَّها بباذنجان ، فجعل كلما قُدِّمَ لونُ فراهُ الباذنجانُ فيه توقَّاه ، وأقبل على الخبزِ والملح ، فلما عطش قال : يا غلامُ ، اسقني ماءً ليس فيه باذنجان .

وكتب يوماً إلى صديق له : أو صلبك بتقوى الله ، إلاَّ أن تَرَى غيرَ ذلك خيراً منه .

(١) أبو الحارث حمين ، أحد المشهورين بالنوادر والمزاح .

وقيل له : سبقتَ ببرذونك هذا قط ؟ قال : بلى ،
مرة ، دخلنا زقاقاً لا منفذَ له وكنتُ آخرَ القوم ، فلما
رجعنا كنتُ أولَ الموكب .

ودخل جماعة من إخوانه . فاشتہوا عليه لونا
يطبخه لهم ، فدنا أحدُهم من القدرِ ليذوقها ، وأخرج
قطعة لحم وأكلها ، وفعل كلُّ واحدٍ منهم كذلك ،
فقال أحدهم : هي طيبةٌ لكنها تحتاج إلى شيءٍ لأدرِي
ما هو ؟ فقال أبو الحارثِ : أنا أعلمُ . هو ذا تحتاج
إلى اللحم .

وحكى دِعبلٌ قال : بلغني أنَّ أبا الحارثِ قد
فُلج ، فاغتمتُ لظرفه وملاحته ، فصيرتُ إليه فوجدته
في عافية ، فحمدتُ الله وسألته عن خبره ؟ فقال :
دخلتُ الحمامَ وأكلتُ السمك ، ودعوتُ المزيّنَ فأخذ
شعري ، فظنُّ الفالجُ ما رأى المزيّنَ عندي أني احتجّمت ،
فلما علمَ أنه أخذَ من شعري تركني وانصرف .

ونظر يوماً إلى برذونٍ يُستقي عليه ، فقال :
* وَمَا المرءُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ *

لو أن هذا همَّ لَحَ ما كان هذا (١) .

وأكل يوماً مع الرؤساء بيضاً مسلوقاً ، فجعل يأكل
الصفرة ، وينحى البياض إلى بين يدي أبي الحارث
عبثاً به ، فقال لما طال ذلك عليه - وتنفّس الصعداء - :
سقى الله روح العجّة فما أعد لها .

ودخل إلى بعض أصدقائه يوماً ، فقال له : ماتت هي ؟
قال ، أما اليوم فمأ حصرم ، وأما غدا فهريسة .
قال بعضهم : دخلت على جمة من أعوده من مرض به ،
فقلت له : ماتت هي ؟ فقال : أعين الرقباء ، وألسن
الوشاة ، وأكباد الحساد .

قيل لجمة - وقد رأى سوداء قبيحة - : ابتلاك
الله بحبها ، قال : ياغيض ، لو ابتلاني بحبها كانت
عندي من الحور العين ، ولكن ابتلاك الله بأن تكون
في بيتك وأنت تبغضها .

وقال له الرشيد : اللوزينج أطيب أم الفالودج ؟

(١) هلج . أسرع في سبره

قال : أحضِرُهُمَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَحْضَرَا ، فَجَعَلَ
يَأْكُلُ مِنْ هَذَا وَهَذَا ، نَمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَلِمَا
أَرَدْتُ أَنْ أَشْهَدَ لِأَحَدِهِمَا غَمَزَنِي الْآخَرَ بِحَاجِبِهِ .

قال بَصْرِيٌّ لِحَمِينٍ : يَا تَيْنَا الْمَدُّ وَالْجُزْرُ فِي كُلِّ
يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ . قال : يَسْتَأْذِنُ اللَّهُ فِي هَلَاكِكُمْ مَرَّتَيْنِ ،
وَكَأَنَّ قَدْرَ .

وَدَعَتْهُ امْرَأَةٌ كَانَتْ يَحِبُّهَا ، فَجَعَلَتْ تَحَادِثُهُ وَلَا تَذْكَرُ
الطَّعَامَ ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ بِهِ قَالَ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ،
لَأَسْمَعُ لِلْغَدَاءِ دِكْرًا . قَالَتْ لَهُ : أَمَا تَسْتَحْيِي ! أَمَا فِي
وَجْهِهِ مَا يَشْغَلُكَ عَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ،
لَوْ أَنَّ جَمِيلًا وَبُشَيْمَةً قَعَدَا سَاعَةً لَا يَأْكُلَانِ شَيْئًا لَبَرَقَ (١)
كُلُّ مَنْهُمَا فِي وَجْهِ صَاحِبِهِ .

* * *

(١) بزق . بصق

الباب التاسع

نوادير الجَمَّاز (١)

قال الجَمَّازُ لِأبي شُرَاعَةَ (٢) : كيف تجدك ؟
قال : أجدني وقيندا (٣) من دماميل قد ظهرت في أقبِحِ
المَوَاضِعِ . قال : ما أرى في وجهك منها شيئاً .

قال بعضُ إخوان الجَمَّازِ - وقد دخل إليه وهو
يَطْبِخُ قِدْرًا - : لا إله إلا الله ما أعجب الرزق ! فقال
الجَمَّازُ : أعجبُ منه الحرمان . امرأته طالق إن ذُقْتَهَا .

(١) أبو عبد الله محمد بن عمرو الجَمَّازُ ، بصري خبيث اللسان ماجن
وهو ابن أخي سلم بن عمرو الخناس الشاعر ، كان الجَمَّازُ شاعراً صاحباً ،
مقطعات ، توفي سنة ٥٢٥٠ هـ في أيام المتوكل .

(٢) هو أحمد بن محمد بن شراعة ، شاعر بصري جزيل اللفظ ،
مات في أيام المتوكل

(٣) الوقْدُ المريص المشرف على الموت .

وقال له السهريّ : وُلِدَ لي البارحة ابنٌ كأنه الدينار
المتقوش . فقال الحمّاز : لآعينُ أمّه (١)

صاتى رجلٌ صلاةً خفيفةً . فقال له الحمّاز : لو
رآك العجاج (٢) لُسِّرَ بك . قال : وليمَ ؟ قال : لأنّ
صلاتك رجز .

رأى رجلٌ الهلالَ فاستحسنه ، فقال له الحمّاز :
وما تستحسنُ منه ؟ فوالله إنّ فيه لخصالاً لو كانت
إحداهنّ في الحمار لُرُدّتْ بها ، قال : وما هي ؟ قال : إنه
يدخل الروازن (٣) ، ويمنعُ من الدبيب ، ويدلُّ على
اللصوص . ويسخنُ من الماء ، ويخرقُ الكتّان ، ويورث
الزكام ، ويحلّ الدين ، ويزهيم اللحم .

كان المتوكل يُحدّث عن الحمّاز ، فكتبَ في
حَمَلِهِ ، فلما دخل عليه لم يقع الموقع الذي ظنّه ، فقال

(١) لآعين الرجل زوجته إذا قدمها بالزنى .

(٢) عبد الله بن رَوْنه العجاج ساعر استهر بالرجز .

(٣) الروازن : الكوى .

المتوكل . تكلم فإني أريد أن استبرئك (١) . فقال الجمَّاز :
بحيضةٍ أو بحيضتين ، فضحكت الجماعة .

وقال له الصَّح : قد كاتمتُ أميرَ المؤمنين فيك حتى
ولاكَّ جزيرة القروِدِ ، فقال له الجمَّاز : أفلسْتَ في
السمع والطاعةِ أصلحك الله ؟ فحُصِرَ الفَتْحُ وسكتَ .
فقال له بعضُ مَنْ حضر : إنَّ أميرَ المؤمنين يريد
أن يهبَ لك جاريةً . فقال : ليس مثلي مَنْ غرَّم نفسه ،
ولا كذَّب عند أمير المؤمنين . إن أرادني أن أقودَ عليها ،
وإلاَّ فما لها عندي شيء ، فأمر له المتوكل بعشرة آلاف
درهم ، وأخذها وانحدر ، فمات فرحاً .

* * *

(١) من معاني استبرأ إن الرجل لا يعطى امرأته إذا كانت متزوجة
قبله ، أو منه حتى تحيض .

الباب العاشر

نوادير المجانين

قال مجنونٌ — ولقي الناسَ منصرفين من الجمعة — :
أيها الناس : (إنِّي رسولُ اللهِ إليكم جميعاً) (١) .
فقال له مجنونٌ آخر . (ولا تعجلُ بِالقُرْآنِ
أن يُقضى إليكَ وَحْيُهُ) (٢) .

ومرَّ موسى بن أبي الروقاء ، فناداه صَبَّاحُ الموسوس :
يا بنَ أبي الروقاء أَسَمَنْتَ بِرذونِكَ ، وهَزَلْتَ دِينَكَ (٣) .
أما والله إنَّ أَمَامَكَ لَعَقَبَةٌ لا يَجُوزُهَا إِلَّا المُخِيفُ . فحَبَسَ
موسى بِرذونَهُ ، ففَقِيلَ لَهُ : هَذَا صَبَّاحُ الموسوس . قال :
ما هو بِموسوس ؟ .

(١) سورة الأعراف : ١٥٨ .

(٢) سورة طه ٠ ١١٤ .

(٣) هزل لازم ومتعد .

وقف رجلٌ على بُهلُولٍ ، فقال له : تعرفُنِي ؟
فقال بُهلُولُ : إيَّ اللهِ ، وأنسِبُكَ نسبةَ الكُمَّةِ ،
لا أصلٌ ثابتٌ ، ولا فرعٌ ثابتٌ .

ودعا الرشيدُ بُهلُولاً ليضحكَ منه ، فلما دخلَ دعَا
له بمائدةٍ فقُدِّمَ عليها خبزٌ وحَدَه ، فولى بُهلُولٌ
هارباً ، فقال له : إلى أين ؟ قال : أجيئُكم يومَ الأضحى ،
فعمسى أن يكونَ عندكم لحمٌ .

أخرجَ بلالُ بنُ أبي بُردَةَ (١) من حَسَبِهِ مجنوناً
يمارِضُهُ ، فقال له : أتَدري لم أخرجتكَ ؟ قال : لا .
قال : لأَسخرَ منك . قال : إنَّ المسلمينَ حَكَمُوا
حَكَمَيْنِ فسخرَ أحدهُما بالآخرِ .

قال المُبرِّدُ : دخلتُ يوماً دَيْرَ هِزْقِيلِ ، فرأيتُ
في صَحْنِ الدارِ مجنوناً ، فدَلَعْتُ لِسَانِي (٢) في وَجْهِهِ ،
فنظَرَ إلى السماءِ ، وقال : الحمدُ والشكرُ مَنْ حلُّوا
ومن ربطُوا .

(١) بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، أمير البصرة
وقاضيها .

(٢) دلغ لسانه : أخرجه .

قال بعضهم : رأيتُ بحمصٍ مجنوناً يقول :
يا قوم ، مَنْ يتعلمُ : « لأأدري » ؟ يا هذا ، تعلم :
« لأأدري » ، فإنَّكَ إذا قلتَ : « لأأدري » علموك حتى
تدري وإذا قلتَ : « أدري » سألوكَ حتى لا تدري .
وجاء مجنونٌ فوقفَ عند شجرةٍ ملساء ، فقال :
مَنْ يعطيني نصفَ درهمٍ حتى أصعد ؟ فعجبَ الناسُ
وأعطوه ، فأحرزَه ، ثم قال : هاتُوا سلماً . قالوا :
ما كان السلم في الشرط . قال : وكانَ بلا سلم في الشرط ؟ .
ووقف بُهلول على رَجُلٍ ، وقال : خبِّرني عن
قول الشاعر :

« وإذا نَسَبَا بكَ منزلٌ فتحولَ »

كيفَ هو عندك ؟ قال : جيدٌ . قال : فإن كنت
في الحبس فكيف تتحول ؟ . قال : فانقطع الرجلُ ،
فقال بهلول : الصوابُ قولُ غيره :

إذا كُنْتَ في دارٍ يسوءُكَ أهلُها

ولم تكُ مكبُولاً بها فتحولَ

أصيب إسحاقُ بنُ محمدٍ بنِ الصَّحاح الكندي بابنِ

له ، فجزع ، فدخل أهل الكوفة يعزونه ، ودخل فيهم
بُهلول ، فقال : أيسرُك أنه بقى وأنه مثلي ؟ . قال :
لا والله ، وإنما التعزية ! .

هرب مجنون من الصبيان ، ودخل دهليزا ، وأغلق
الباب في وجوههم وجلس ، فخرج إليه صاحبُ الدار ،
فقال : لِمَ دخلتَ دَارِي ؟ . قال : من أيدي هؤلاء
أولاد الزنسى . فدخل صاحبُ الدار ، وأخرج طبقاً عليه
رُطبٌ كثيرٌ ، فجلس المجنون يأكل ، والصبيان يصيحون
على الباب ، فأخرج المجنون رأسه إلى صاحب الدار ،
فقال : بابٌ بساطنُهُ فيه الرَّحمةُ وظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ
العُدَابُ .

قيل لمجنون كان بالبصرةِ : عدت لنا مجانيين البصرة .
قال : كلفتموني شططاً ، أنا على عدت عقلائهم أقدر .
قال الفزاري : رأيتُ مجنوناً يُسوِّي رأسَ سكرانٍ ،
ويقول له : يؤيؤ (١) ، والله لا أفلحت أبداً .

شدتُ مجنونٌ على رجل بالبصرةِ ، فأخذه الرجل

(١) الويؤ : طائر صغير أصفر اللون يضرب إلى الزرقة .

فضربه . فقال الناس : إنه مجنون ، وجعل المجنون يقول
مِنْ تَحْتِهِ : وَيَحْكُمُ أَفْهَمُوهُ .

وجاز بهلول بسُوقِ الْبَزَّازِينَ ، فرأى قوماً مُسْتَجْمِعِينَ
على باب دُكَّانٍ يَنْظُرُونَ إِلَى نَقَبٍ قَدْ نُقِبَ عَلَى بَعْضِهِمْ ،
فَاطَّلَعَ فِي النَّقَبِ ، ثُمَّ قَالَ : وَكَلِّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ ذَا مَنِ
عَمَلِ مَنْ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : فَإِنِّي أَعْلَمُ . فَقَالَ النَّاسُ :
هَذَا مَجْنُونٌ يَرَاهُمْ بِاللَّيْلِ وَلَا يَتَحَاشَوْنَهُ ، فَأَنْعَمُوا لَهُ
الْقَوْلَ لَعَلَّهُ يَخْبِرُ بِذَلِكَ . فَسَأَلُوهُ أَنْ يَخْبِرَهُمْ . فَقَالَ : إِنِّي
جَائِعٌ ، فَهَاتُوا أَرْبَعَةَ أَرْطَالٍ رِقَاقٍ وَرَأْسِينَ ، فَأَحْضَرُوا
ذَلِكَ وَأَكَلَ ، فَلَمَّا اسْتَوْفَى قَالَ : هُوَذَا أَشْتَهِي شَيْئاً حُلُوا ،
فَأَحْضَرُوا لَهُ رَطْلِينَ فَالْوَدَجَ فَأَكَلَهُ . وَفَرَّغَ مِنْهُ وَقَامَ
وَتَأَمَّلَ النَّقَبَ ، ثُمَّ قَالَ : كَأَنَّكُمْ السَّاعَةَ لَسِمْتُمْ تَعْلَمُونَ هَذَا
مِنْ عَمَلِ مَنْ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : هَذَا مِنْ عَمَلِ اللَّصُوصِ
لَأَشْلُكَ . وَعَدَا .

جاءت امرأة دُتْدَانِ الْمَجْنُونِ إِلَى الْقَاضِيِ ؛ فَقَالَتْ .
أَصَابَكَ اللَّهُ ، إِنَّهُ يُجِيعُنِي وَيُضْرِبُنِي ! قَالَ الْقَاضِيُ .

ما تقُول ؟ . قال دندانٌ : أما الضربُ فنعم ، وأما
الجوعُ فهي طائقٌ ثلاثاً إن لم تجيء معي إلى منزلي
مع أصحابك أيها القاضي . فقال لأصحابه : قوموا بنا
لا يَحْنَثُ . فقام القاضي ، وذهب معه ، فلما دخل جاء
به إلى مَزْبَلَةٍ فيها رَجِيعٌ (١) عظيم ، فقال : أصلحك
الله . هذا يخرجُ من بطن جائعٍ ٢ . قال : أُنزلك الله ،
فإنك أحمقٌ . قال : أحمقٌ مني من أطاع المجانين .

كان بُهلول يوماً جالساً والصبيان يؤذونه وهو
يقول : لاحول ولا قوة إلا بالله . يُعيدهُ مِراراً ، فلما
طال أذاهم له أخذَ عصاه وقال : حمي الوطيسُ ،
وطابتِ الحربُ ، وأنا على بيئته من ربي . ثم حمل
عليهم وهو يقول :

أشدُّ على الكتيبةِ لا أبالي

أفيها كان حنفي أم سيواها (٢) .

(١) الرجيع : الروث .

(٢) البيت للعباس بن مرداس .

فتساقط الصبيانُ بعضهم على بعض ، وتهاربُوا ،
فقال : هُزِمَ القوم وولّوا الدبر . أمرنا أمير المؤمنين -
رضي الله عنه - ألاّ نتبع مؤثيّاً ، ولا نُدَقِّفَ (١) على
جريح ، تم رجع وجلس وطرح عصاه ، وقال :

فَأُلْقَتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى
كَمَا قَرَعَيْنَا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرِ (٢)

* * *

(١) دَفَفَ عَلَى الْجُرِيحِ : أَحْزَمَ عَلَيْهِ .
(٢) أَلْقَى الْمَسَافِرَ عَصَاهُ : بَلَعَ مَوْضِعَهُ وَاسْتَقَرَّ بِهِ

الباب الحادي عشر

سوار البخلاء

قال بعضهم لبخيل . لم لا تدعوني يوماً ؟ . قال .
لأنك جيّد المَضغِ ، سريعُ البَلعِ ، إذا أَكَلتَ لُقْمَةً
هَبَّتْ أُخْرَى . قال : فتريدُ مني إذا أَكَلتُ لُقْمَةً أَنْ
أُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى الثَّانِيَةِ ؟ .

دخل واحدٌ إلى بعضهم وهو يأكل ، ومعه آخر ؛
فقال للدّاخلِ : تعالَ كُؤُ . قال : قد تَغَدَّيْتُ .
فقال : هذا أيضاً رعم أنه تغدّي .

ودخل آخرٌ على بعضهم وبين يديه طبقٌ عليه تين ؛
فلما أحسَّ بالدّاخلِ غَطَّى الطَّبَقَ بِذَيْلِهِ ، وأدخَلَ
رأسه في جيبه ، وقال للدّاخلِ : كُنْ أَنْتَ فِي الحِجْرَةِ
الأُخْرَى حتّى أفرغَ من بخوري

أكل ابن المدثر يوماً عند ابن الفيّاص (١) ، فقدّمت
جُودابة (٢) في نهاية الجوده ، وأمعن ابن المدثر فيها ،
فلم يصبر ابن الفيّاص حتى قال له : أليس رعمت
أنك لست صاحب جُوداب . ١

وقال بعضُ المبخّطين لرجلٍ على مائدته : اكسير
ذلك الرغيّف . فقال : دعه يُبتلى به عيري .

دعا بخنلٍ قوماً ، واتّخذ لهم طعاماً . فلما جلسوا
يأكلون وهو قائم يخذلهم ، وأمعنوا في الأكل جعل
صاحب البيت يتلّو فيما بينه وبين نفسه . (وَجَزَأَهُمْ
لَمَّا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيْرًا) (٣)

وكان جعفر بن ساسمان نحيلاً على الطعام ، فرُفِعَت
المائدةُ من بين يديه وعليها دحاجهٌ ، فوثب عليها بعضُ
بنيه وأكل منها ، وأعيدتُ عليه من غدٍ ، فلما رآها
وقد أكَلَ مِنْهَا شَيْئًا . قال : من هذا الذي تعاطى فعقر (٤)

(١) علي بن محمد الفاضل ، كاتب

(٢) الجوداب : طعام يتخذ من اللحم والرر والسكر والبدق .

(٣) سورة الإنسان ١٢٠

(٤) إشارة إلى الآية : (فادوا صاحبهم فتعاطى فعقر) سورة القمر . ٢٩ .

قالوا : ابْنُكَ فُلَانٌ . فَقَطَعَ أَرْزَاقَ بَنِيهِ كُلِّهِمْ ، فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِمْ قَالَ بَعْضُ بَنِيهِ : أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا (١) ، فَأَمَرَ بِرَدِّ نِصْفِ أَرْزَاقِهِمْ .

وقف واحدٌ على الحُطَيْيئةِ استقرَّ به (٢) فسمعهُ . فقال : إِنَّ الرَّمْضَاءَ قد أَحْرَقَتْ قَدَمِي . قَالَ : بَلْ عَلَيْهِمَا تَبْرَدَا قَالَ : وَمَا عِنْدَكَ عَبْرُ هَذَا ؟ . قَالَ : بَلِي ، هِرَاوَةٌ مِنْ أَرْزَنِ (٣) مَعَجَجْرَةٍ . قَالَ : إِي ضَيْفٍ . قَالَ : لِلضَيْفَانِ أَعْدَدْتُهَا .

قال أبو الأسود الدؤلي - وكان بعيلاً - : أو
أطعنا المساكين في أمواليا كُننا أسوأ حالاً منهم .

قال الجاحظ : حدثني بعض أصحابنا قال : كما
منطلقين إلى رجلٍ من كبارِ أهلِ العسكرِ . وقد كان
لنُتُنًا عنده يطولُ ، فقال له بعضُنا : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَجْعَلَ

(١) إشارة إلى الآية : (أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا) سورة

الأعراف : ١٥٥ .

(٢) يستقره . يطلب منه القمى ، وهو طعام الضيف .

(٣) الأرزن : شجر صلب والحشبة العجراة التي بها عقد .

أنا أماره إذا طَهَّرْتُ حَفَّتْ مِنَّا ، ولم تُنْصِعِكَ بِالْقُعُودِ .
 وقد قال أصحابُ معاويةَ مثلَ الذي قلنا لك ؛ فقال :
 أمارةُ ذلكَ إذا قلتُ : إذا شئتم . وقال أصحابُ يزيدَ
 مثلَ ذلك . فقال : إذا قلتُ : على بركةِ الله ، وقيل
 لعبدِ الملك ؛ فقال : إذا ألقىْتَ الحَسيبُ زُرادةً من يدي ،
 فأبي شيءٌ يجعلُ لنا أصاحك الله ؟ فقال : إذا قلتُ :
 يا غلام ، الغداء .

قال جُحْظَةُ (١) : دخلتُ وأنا في بقايا عِلَّةٍ
 على كاتب ، فقدم إلينا مَضِيرَةٌ ، فأمنتُ فيها ، فقال :
 جُعِلْتُ فداك ، أنتَ عليلٌ ، وبدنك نحيلٌ ، واللبن
 يستحيل ، فقلتُ : والعظيمُ الجليلُ لا تركتُ منها كثيراً
 ولا قليلاً ، وحسبنا الله ونِعْمَ الوكيلُ .

حُفَيْنَ عُمَرَ بنُ يزيدَ الأَسدي (٢) بحِقْنَةٍ فيها
 دُهْنٌ ؛ فلما حَرَكَهُ بطنُهُ كرهَ أن يذهبَ الدهنُ

(١) - حظفة . هو أحمد بن حمير بن موسى البرمكي ، لقب بحظفة
 لِحسوط عينيه ، أديب ، وشاعر ، ونديم ، ولد سنة ٨٢٢٤ ، وتوفي
 سنة ٨٣٢٤ .

(٢) هو عمر بن بريد الأَسدي ، أحد الثعلمان المقدمين في حكم بني
 مروان .

صياًعاً ، فدعا بطسنت وجلس عليه . ثم قال : صفاوا
هذا الدهن فإنه يصلح للسراج .

وأوصى بعضهم ابنه : فقال : كُنْ مع الناسِ
كلاعِبِ الشطرنج يحفظُ شسئته .

كان بالكوفة رجلٌ من المصلحين — وهذا لقبُ
المُقدِّمين منهم في اللؤم — فبلغه أن بالبصرة رجلاً من
المصلحين مقدماً في شأنه ، فقام الكوفي ، وصار إلى
البصرة ليَلتقي صاحبه . فلما قدم عليه قال له : مَنْ
أنتَ ؟ . قال : أنا مصلحٌ من أهل الكوفة ، وقد بلغني
خبرك ، فرحبتُ به ، وأدخله البيت وأجلسه ، وأخذ
قطعةً ومرّ ليشتري له شيئاً يأكله ، فلما خرج إلى السوق
دنا من البقال ؛ فقال : عندك خبز ؟ فقال : عندي خبزٌ
كأنّه السمنُ فقال المصلحُ في نفسه : لِمَ لا أشتري
ما نعته به ؟ فذهب إلى آخر ، وقال : أعندك سمن ؟
فقال : عندي سمنٌ كأنّه الرّيتُ فقال في نفسه : أذهبُ
فأخذُ ما نعته به ، فذهب إلى بقالٍ آخر ؛ فقال : عندك
زيت ؟ قال : عندي ريت كأنه الماء . فقال في نفسه :
عندي واللّه راويةُ ماء . فرجع إلى البيت ، وأخذ الماء

في غَضَّارَة (١) و قدمه إلى الكوفيّ وقال : كُلْ هذا ،
 فإنه نَعْتُ النَّعْتِ ، فقال الكوفي : أنا أشهدُ أنكم أحذقُ
 بالإصلاح منّا بِألفِ دَرَجَة .

قال بعضهم : بَيْتٌ عند رجلٍ من أهل الكوفة .
 وهو من المُوسِرِينَ المعروفين بِحُسْنِ الخال ، وله
 صَبِيانٌ نيامٌ بحَثِ أراهم ، فرأيتُهُ في الليلِ يَقومُ فيقْلِبُهُم
 من جَنْبِ إلى جنب ؛ فلما أصبحنا قلتُ له : رأيتك
 يا أبا جعفرِ البارِحَةَ تفعلُ كَيْتَ وكَيْتَ ، قال : نعم ،
 هؤلاء الصبيانُ يأكلون وينامونَ على اليسارِ ، فيُمرِّهم
 الطعامَ فيصبحون جِيعاً ، فأنا أقلبُهُم من اليسارِ إلى
 اليمينِ ؛ لنلا يَنْهَضِيمَ ما أكلوه سريعاً .

قال بعضهم : دخلتُ الكوفةَ فسمعتُ امرأةً تقولُ :
 يا أبا جعفرِ الدِّقَاقُ ، حَسِيكُ اللّهِ (٢) — وقد اجتمعَ
 الناسُ عليهما — فقال الدِّقَاقُ : مالكِ ؟ قالتُ : أعطيتني
 كَيْلَجَةً (٣) دَقِيقٌ ما جاء منها إلا ثمانونَ رَغِيفاً . قال :

(١) غضارة : إناء كالقلة .

(٢) حسيك الله : انضم الله منك .

(٣) الكيلجة والكيلقة : شيء يكال به .

يا مُسْرِفَةً ؛ إذا كنتِ تخبزين رُغفاناً مثل الأرحبسة
فأَيُّ ذنب لي ؟ .

قال آخرُ : رأيتُ بالكوفة صبياً ومعه قُرْصَة (١) ،
وهو يكسر لقمةً لقمةً ، ويرمي بها إلى شَقِّ في بعض
الحيطان يخرج منه دُخَانٌ . ويأكلها . قال : فبقيتُ
أتعجبُ منه ، إذْ وقفَ عليه أبوه يسأله عن خبِّره ؛
فقال الصبي : هؤلاء قد طبخُوا سَكْبَاجَة (٢) حامضةً
كثيرةً التوابل ؛ فأنا أتأدِّمُ برائحتها . قال : فصفَعَهُ
أبوه صفعةً صُلْبَةً كادَ يقطعُ بها رأسَه وقال : تريدُ
تُعَوِّدُ نفسك من اليوم ألاَّ تأكل خبزاً إلا بأدَم .

نزل بكوفيٌّ ضيفٌ ، فقال الحارِيتَه : يا جارية ،
أصلحعي لضيفنا فالوذجاً . قالت الحارِيتَةُ : ايس عندنا
شيء . قال : ويلك ! فهاتي قطيفةً لإبريسم (٣) حتى يام .

(٣) القرصة . الحيزة من العلام ، وثلاثها القرص .

(٤) السكباجة : طعام يصنع من لحم ونخل وبصل وكراث وعسل
مع الأفاويه .

(١) الإبريسم . الحرير

قال الضيفُ : يا سيدي ، فليس بين الفالودَجِ والقَطيفةِ
رغيفٌ وقليلٌ جينٌ ؟ .

وقال آخر : رأيتُ كوفياً يُخاصِمُ جاراً له ويقائلُه ،
فقلت : ما قصَّتكما ؟ . فقال أحدهما : زارني زائرٌ ،
فتشهَّى عليَّ رُؤوساً ، فأطعمتهُ ، وأخذتُ العظامَ ؛
فرميتُ بها على بابِ دارِي أتجسَّلُ بها ، وأكبيتُ
العدوَّ ، فجاء هذا . وأخذها من بابِ دارِي ، وجعلها
على بابِ دارِهِ .

وكان بعضُ المياسيرِ منهم له والدةٌ عجوزٌ ، فقبل
لها : كم يُجري عليك ابنُك ؟ . قالت : درهماً في
كلِّ أضحى . قيل : يا سبحانَ الله ! درهمٌ في كلِّ
أضحى ! . قالت : نعم ، وربما أدخلَ الأضحى في
الأضحى .

وكان بعضهم يأكلُ ومعه على المائدةِ ابنهُ وروجهُ .
فقال : لعنَ اللهَ الرَّحمةَ . فقال له ابنهُ : يا أبهُ ،
تعنيني ! فليس ها هنا عيبي وغيرُ أمي ، قال : فتسرى
أعني نفسي ؟ .

خرج نفرٌ من أهل مَرَوْ في سَفَرٍ ، وصبروا على تَرْكِ
السراج للارتفاق بما يرجعُ عليهم منه حتى أَبْلَغَ ذلك
إليهم ، فاتفقوا على أن يُخْرَجَ كلُّ واحدٍ منهم شيئاً
للسَّراج ، وامتنع واحدٌ منهم من أن يُعْطِيَ شيئاً ؛
فكانوا إذا أَسْرَجُوا شَدُّوا عَيْنِيَه بِمَنْدِيلٍ لى وَقْتِ النُّومِ
وَرَفَعِ السراج .

قال المنصورُ للوضيِّينِ بنِ عَطَاءِ (١) : ما عِيَالُكَ ؟ .
قال : ثلاثُ بناتٍ والمرأةُ . قال ؛ أربَعٌ في بيتك . قال :
فرددَ ذلكَ حتى ظننتُ أنه سَيَصِلُنِي . قال : ثم رفعَ
رَأْسَهُ ؛ فقال : أنت أيسرُ العربِ ، أربعهُ مغازلَ تدور
في بَيْتِكَ .

وسقَى لِإنسانٍ بخيلٍ ضيفاً له نبيذاً عتيقاً على الرِّيقِ .
فتأوّهَ الرجلُ ؛ فقيل له : لِمَ لا تتكلمُ ؟ فقال : إن
سكتُ متٌ ، وإن تكلمتُ ماتَ ربُّ البيتِ .
وكان بعضُ البخلاءِ يأكلُ نصفَ الليلِ ، فقيل له

(١) الوضيين بن عطاء الشامي : محدث ثقة ، كان من الخطباء اللغاة ،

مات سنة ٥١٤٩ هـ

في ذلك ، فقال : يبردُ الماء وينقمعُ الدُّباب ، وآمن فجأة
الدَّاحِل ، وصَرَخَةَ السَّائِل . وصياح الصبيان .

قال الواقدي : خرجتُ أنا وابنُ أبي الزناد (١) إلى
بعض المواضع بالمدينة ، ورجعنا نصفَ النهار في يومٍ
صائفٍ ؛ فقال : ما أحوجنا إلى شربة ماءٍ باردٍ ! فإذا
نحنُ بسعيد مولى ابن أبي الزناد ؛ فعلت له : ابعت لنا
شربةَ ماء ؛ فقال : نعم وكرامة ، اجلس . وبادر
مستعجلاً ، فدخل الدار ومكث طويلاً ، ثم خرج إلينا ؛
فقال : تعودون العشيَ إن شاء الله .

قال العتيبي : لو بُدِّلَتِ الحنَّةُ للأصمعي بدرهمٍ
لاستنقص شيئاً .

سأل متكفِّفُ الأصمعي ؛ فقال : لا أرضي لك
ما يحضرني ؛ فقال السائلُ : أنا أرضى به ؛ فقال
الأصمعي : هو ، سُورك فاك .

(١) هو عبد الرحمن بن أبي الزناد . من العلماء الأجلة ، ولد سنة
٨١٠٠ ، وتوفى سنة ٨١٧٤ .

أعطى المنصور بعضهم شيئاً ثم ندم ، فقال له : لا تنفق
هذا المال واحتفظ به ، وجعل يكرر عليه ذلك ؛ فقال :
يا أمير المؤمنين ، إن رأيت فاختمه حتى ألقاك به يوم
القيامة فضحك وخلّاه .

كان رجلٌ على طعام بعضِ البخلاء ؛ فأخذ عُراقاً (١)
فلم يجد عليه لحمًا ، فوضعه لئلاّ يخذّ غيره ، فقال صاحبُ
البيت : العيب بِمَسَّكَ (٢) .

قال بعضهم : فلان عينه دولابٌ لقم أضيافه .

قال بعضهم لعلاءة : هات الطعام وأغلق الباب . فقال
العلام : هذا خطأ . أغلق الباب ، تم أهدمُ الطعام ،
فقال : أحسنت أنت حرّ

* * *

(١) العراق العظيم .

(٢) أى لم تجد الا بقاء فلا تأخذ غيرها .

الباب الثامن عشر

كلام شطار^(١)

ومن بحجبي محارهم ، وسوادهم .

حكى بعضهم أن شاطراً افتخر . قال : فحفظتُ
من كلامه :

أنا الموجُ الكَدِيرُ ، أنا القُفْلُ العَسِيرُ ، هذا وجهي
إلى الآخرة ، تَأْمُرُ بشيءٍ ؟ لك حاجة إلى مالكٍ نخازنِ
النارِ . أنا الدَّارُ ، أنا العارُ ، أنا الرَّحا^(٢) إذا دار ،
أنا مشيتُ سَبُوعِينَ^(٣) بلا رَأْسٍ ، لولا أني عليلٌ
لنَسَخَرْتُ نَحْرَهُ نَصْفُهَا صَاعِقَةً وَنَصْفُهَا زَلْزَلَةٌ . أَضْعَعُكَ

(١) الشاطر من أعيأ أهله خشياً .

(٢) الرحا مؤنث ، هكذا كتبها المؤلف ، مراعبا السجع ،

متحاورا في الباب التقييد بالفصحى أحيانا

(٣) أسبوعين كتبها المؤلف بلهجة الشطار .

في جبي ، وأنسك حتى سمن الساعه . أفطفُ ، أسك
 وأجعلهُ زراً فمبصي ، أو أسئتُنْزَاك فلأ أعطسك إلا في
 الجحيم ، أو أشربك هلا أسولك إلا على الصراط إذا
 صاح آدم . واممودة . والماء (١) لو كاسني الفيل
 لم يخرس . أو الحجر لم يفس . أو عضي الأسد لم يضرس ،
 أورآبي عمروذ (٢) لم يتمدس . أصداهي أكثر من خوص
 البصره ، وخردل مصر ، وعاس الشام . وحصي
 الجزيرة ، وشوك القاطول (٣) . وحينظه الموصل وهصب
 السطائح (٤) ، وذي الأذوار ، وروون فاسطين

كان بمرور رجل بتفتي وينسطنو ، ولم يكن له يوم
 من أيام العمان قط ولا هـ "ككة" من فتكنايهم ، إلى أن

(١) لعل أصلها . وآلك أو ناك ، وهي من كلام الشطار .

(٢) عمروذ - بالذال أو الدال - ملك جبار

(٣) القاطول - اسم نهر كان في موضع سامرا ، كأنه مقطوع

من دسله

(٤) البطائح . هي بطائح واسط أرض نيس واسط والبصره ،

كانت قديماً مدناً مغلقة ، ثم علا الماء فهدرها ، بعد انحساره ثبت فيها
 مرتين أكثر ردها

وفتح بئسَه وبين رجل فصَّارٍ فمبعوفٍ سرِّ . ففصر به ضرباً
 وجعاً وأذله . هكذا يفسحرون بذلك ويسطاول عند الغتيان به ،
 فتأذى حبراه . واحد فصَّاب حَمَّاء ؛ ففجاءوه وقالوا :
 فلان فد بأذنا . فكففت سناً سره وتدلته . وكففتناه .
 قال : لا أدري من فلان . ولكن إن سئمتما ضربتُ
 لكم الفصَّار وأنزلتُ كلَّ مكرهه به .

وفتح بين ماطر وسبته له كلامٌ ، فقال أحدهما
 للآخر : لولا أنك أكبر سيناً مني لحرمتك . ثم مضى
 غميراً بعداً ، ففتح دنه وبين آخر فقال : والله لولا أنك
 أصغر مني لمانأنا ، فقال له ريمنه : يا من الزانفة ،
 متى ينقُ لك ذمُّ نساتاه ؟

قال بعضهم رأيتُ ساطراً بضمِّ الرَّبِّ بالقامس (١) ،
 وهو ينظر إلى الأرض . فلما باع الصرب منه قال له
 الوالي : ارفع رأسك . فقال : يا سبتي ، بسبي رأسها .
 قال : وما معنى بسبي رأسها ؟ قال الجلاَّد : كنتُ

(١) القلس . مثل ملط من حال السفين ، أه حصل سحيم من اللبف .

أصراؤه مهير مصورٌ برجائه في الآرصرِ بطةً وقد بنفي
رأسها .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي . دخلتُ على
عنان من أهل المدينة يهربون ، وإذا هم متكئون على
كباب كدّ دية . فقال بعضهم . هاتوا وسادة لآبي محمد ،
فحاجوا وبخلت . فلما اتكأت عاياه قالوا : هاتوا له أيضاً
مخضاه . فجاءوا بخرو ، فلما تناولوا الأقداح جاء
علامٌ وفي يده فداحه فمدح في لحنه من يحبس القلح .

قال جازي بن داود . فجاء قومٌ إلى المعزول
رثتهم . فقال بعضهم . أو كان عريباً عنوناه ،
إذنا المحدث أنه أخحك . فقال اعذروه فإن الملك
يسوء . والله اعلم .

ه كان ساسان بن طراد منهم ، وكان لا يقعد
في دهايره . ولا يسرب من جناحه . بل يصير في قصرٍ
من قصر الأثبات (١) . ولا يطلع في كوةٍ ، ويأمر

(١) الأثبات : بلاد ما بين النهرين . والله في رواية الخليل الذي يدخل البصرة ،
من أقاليمها .

بذلك أصدفاه وأصحابه . ويقول : إنَّ تَعَوَّدْتُمْ النظر
إلى الماء والخروج إلى المتنزهات جزعتم من الحبس ، لم تدفعوا
ضيماً ، ولم تكسبوا مالاً .

كان يقول : لا يُعجبني الفتيّ يكونُ تخاظاً . وكان
صاحبَ إيطراقٍ .

كان يقولُ : إياكم وفضولَ النظرِ ، يدعو إلى
فضولِ القولِ والعملِ .

ومنهم بابويه ، وكان شيخاً كبيراً ذا رأيٍ ونجدة ،
وصديق وأمانة وهمّةٍ بعيدة ، وأنفةٍ شديدة وكان
محبوساً بعبادةِ دماءِ فلانٍ نَمَبَ حميرُ بنُ مالكِ السجن وقام
على باب النقبِ يُشربُ الناسَ ويحميهم ؛ ليستتمَّ الكرامة ،
وجاء رسولُهُ إلى بابويه ، فقال : أبو نعامة ينتظرك .
وليس له همٌّ سِوَاكَ ، وما بَرَدَتْ مِسْتِمَاراً ، ولا فَكَكَتْ
حَلْفَةً ، وأنت قاعدٌ غيرُ مكترثٍ ولا محتفلٍ وقد خرج
الناسُ حتى الصبحُ ؛ فقال بابويه . لبس، متلي يخرجُ

في الغمار . وتَدَفَّعُ عنه الرجالُ . لم أشاور ولم أؤامر (١) .
ثم يقال لي الآن : كن كالظَّعِينَة (٢) . والآمة ، والشيخ
الفاني . والله لا أكون في الجنة تابعاً ذليلاً .

فلم يبرح . وخرج سائرُ الناس - وإجرامه وحده
كإجرام الجميع - فلما جاء الأميرُ ودخل السجنَ فلم
يرَ فيه غيرَه قال للحرس : ما بالُ هذا ؟ . فقصُّوا عليه
القصةَ ؛ فضحك وقال له : خذ أي طريق شئت ؛
فقال بابويه : هذا عاقبةُ الصَّبر .

* * *

(١) دؤامر . يشاور
(٢) والظَّعِينَة . الزوْحَة .

الباب الثالث عشر

العبي ومكائبات الحمقى

كتب بعض الرؤساء إلى وكيل له في ضيعة : وقد وصلت النعاج، هي : تسع نعاج . وتسع نعاج نصفها أربع ونصف نعاج .

قال بعضهم : ما من شر من دين ؛ فقبل له : ولم ذلك ؟ . قال : من جرأ يتعلّقون .

قال قاسم التّمار في كلام له . بينهما كما بين السماء إلى قريب من الأرض .

وقال أيضاً : لو رأيت إيوان كسرى كأنتم رفعت عنه الأيدي أول من أمس .

(١) أبقى المؤلف في هذا الباب على كلام الحمقى وذوي العبي على الرغم من مخالفة بعضه لقواعد اللغة ، لأنه أراد أن يقدمه كما نطقه .

قال أبو هفّان : رأيت شيخاً بالكوفة قاعداً على باب دارٍ ، واه زِيٌّ وهَيْئَةٌ وفي الدار صُراخ . فقلت : يا شيخ . ما هذا الصراخ ؟ فقال : هذا رجلٌ افتصد أمس فبلغ المنبضع شادراً وانه فمات . يريد : بلغ المنبضع شريانه .

وصنف بعضهم امرأةً ؛ فقال : عينُها الأخرى أكبر من عينها الأخرى .

كتب بعضٌ من وَزَرَ بالريّ أنفاً كتاباً في معنى أبيه إلى صديق له ببغداد - وكان قد حجج أبوه - : هذا الكتابُ يوصله فلانٌ ابن فلان ، وهو والدي ، وقديمُ الصحبة لي ، واجبُ الحق علي ، ولي بأمره عناية .

ودخل أبو طالب صاحب الطعام على هاشميّة جارية حمدونة بنت الرشيد ، على أن يشتري طعاماً من طعامهم في بعض البيادر ، فقال لها : إني قد رأيتُ متاعك . فقالت هاشميّةُ : قُل طعامك . قال : وقد أدخلتُ فيه يدي فإذا متاعك قد ختمَّ وحَمِيَّ (١) . وقد صار مثل

(١) خم : أنتن .

الجيفة . قالت : يا أبا طالب ، أليس قد قلبت الشعير ، فأعطينا ما شئت ، وإن وجدته فاسداً .

ودخل أهر طالب هذا على المأمون ، فقال : كان أبوك يا أبا خيراً لنا منك ، وأنت يا أبا ليس تعدنا . وليس تبعثُ إلينا . ونحن يا أبا تجتارك وجيرانك . والمأمون في كل ذلك يتبسّم .

وكان ابنُ سعيدِ الجوهري يقول : صابى اللهُ تبارك وتعالى على محمدٍ صابى الله عليه وسلم .

وكان بالريِّ ورّاقٌ حسن الخط ، وكان إذا كتب اسم الله تعالى أو اسم النبي في القرآن أو الشعر كتب بعده ما ما يكتبه الإنسان في سائر المواضع ، فكان يكتب في القرآن : « إن الله عز وجل — يأمُرُ بالعدلِ والإحسانِ » (١) « وما محمدٌ — صابى الله عليه وسلم — إلاّ رسولٌ قد خلت من قبله الرسل » (٢) . وكان يكتبُ في الشعر :

(١) زائد في الآية . « عز وجل » والآية في سورة النحل : ٩٠ .

(٢) زائد في الآية صابى الله عليه وسلم ، والآية في سورة آل

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا - عَزَّ وَجَلَّ - خَيْرٌ نَقَلُ
وبإذن الله - تبارك وتعالى - ربِّي وعجل (١)

ويكتب:

هجوتَ محمداً - صلى الله عليه وسلم - فأجبت عنه

وعينُ الله - تعالى - في ذلك الجزاء (٢)

وقال الجاحظ قلتُ لنفيس غلامي : بعثتك إلى
السوق في حاجةٍ فلم تقضِها ؛ فقال : يا مولاي ، أنا
ناقهٌ من مرضي ، وليس في ركبتي دماغ .

وقال الجاحظُ : قال الحجاجُ لأبي الجهمير الخراساني
النخاس : أتبيع الدوابَّ المعيبةَ من جُنْدِ السلطان ؟ فقال :
شريكائُنَا في هواها وشريكائنا في مَدَائِنِهَا ، وكما يعجبني
يكون . قال الحجاجُ : ما تقول ؟ . قال بعضُ من كان
قد اعتاد الخطأ وكلام العلوج بالعربية : يقولُ : شركاؤنا

(١) زاد في الشطر الأول : « عز وجل » . وفي الثاني « تبارك
وتعالى » والبيت للبيد .

(٢) زاد في البيت : صلى الله عليه وسلم « في الشطر الأول و« تعالى »
في الثاني ، والبيت لحسان يرد به على أبي سفيان .

بالأهواز وبالمداين يبعثون إلينا هذه الدواب ؛ فنحن
نبيعها على وجوهها .

قال ابن أبي فزن (١) : طلبتُ من عبد الله بن أحمد بن
الخصيب بخوراً ، فكتب إليه : فدتك نفسي من سوء
برحمته ، كتابي إليك وأنا وحدي ، والحواري عندي ؛
فأمّا البخور فإنّ أبا العباس في الحَمَام إن شاء الله .

وكتب بعضُ الشيوخ الفضلاء إلى شيخ مسن العدول
بالري نَمَقَتْ بَغَانُتُهُ : نُبِّئْتُ أَنَّ الشَّيْخَ قَد مَاتَ بَخْلَتِهِ ،
هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ .

* * *

(١) أبو عبد الله أحمد بن أبي فزن ، شاعر مملوك من شعراء العصر
العباسي .

٢٢٥ من نثر الدر - السفر الثاني - ١٥٣

الباب الأول

كلام للنساء الشرائف

فاطمتا اسنار رسول الله عليهما السلام

قالوا : لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماعُ أبي بكرٍ منَعَهَا فِدَاكَ (١) لائتُ (٢) خِمَارَهَا على رَأْسِهَا ، واشتَمَلتْ بجلبَابِهَا ، وأقْبَلتْ فِي لُحْمَةٍ من حَفَدَتَيْهَا ونِسَاءِ قَوْمِهَا ، تَطَأُ ذُيُولَهَا ، مَا تَخْرِمُ (٣) مِشِيَتُهَا مِشِيَةَ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، حَتَّى دَخَلتْ على أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ فِي حَشْدٍ من المَهاجِرِينَ والأَنْصَارِ وَغَيْرِهِمْ ، فَنَيْطَتُ دُونَهَا مِلاءً ، ثُمَّ أَنتِ أَنْتِ أَجْهَشُ لَهَا القَوْمَ

-
- (١) فدك : قرية بينها وبين المدينة يومان ، أفاءها الله على رسوله ، ذكرت فاطمة أن الرسول تصدق عليها بها . ولم تستطع الإتيان بشاهدين على ذلك ، فحرمها أبو بكر منها
- (٢) لائت الخمار تلوثه : أدارته .
- (٢) ما تخرم مشيتها . ما تنقص عنها .

بالبكاء ، وارتجَّ المجلس تمَّ أمهلت هُنَيْةً (١) حتَّى
 إذا سكنَ نشيجُ القومِ ، وهدأتْ هورتُهُمُ افتتحتْ
 كلامها بحمد الله والثناء عابه والصلاة على رسوله صلى
 الله عليه . تمَّ قالت :

« انقصدْ جَاءَ كُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ
 عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ
 رَحِيمٌ » (٢) . فانَّ تعرفُوه تجدوهُ أبي دونَ آبائِكُمْ ،
 وأخا ابن عمِّي (٣) دونَ رجالِكُمْ ، فبلِّغ الرِسالَةَ
 صادعاً بالنَّادِرة ، بالغا بالرسالة ، مائلاً عن سَنَنِ المِشْرِكِينَ
 ضارِباً لِشَجِيهِم (٤) ، يدعو إلى سبيل ربِّه بالحكمة
 والموعظة الحسنة ، آخذاً بِأَكْظَامِ (٥) المِشْرِكِينَ ، يُهَشِّمُ
 الأصنامَ وَيَفْلُقُ الهامَ ؛ حتَّى انهزم الجمعُ وولَّوْا الدُّبُرَ ،
 حتَّى تَقَرَّرَى (٦) الليلُ عنُ صبحه ، وأسفر الحلقُ عن

(١) هنة : بمعنى هنية ، تصغير هنة ، وهي القياس في التصغير .

(٢) سورة التوبة ١٢٨ .

(٣) إشارة إلى مواخاة رسول الله لعلي

(٤) الشج : الوسط

(٥) الأكتظام جمع كظم وهو محرر النفس .

(٦) تقرى ، تشقق .

مَحْضِهِ (١) ، ونطقَ زعيمُ الدين ، وخرستَ شَقَاشِقُ (٢)
 الشيطان ، وتمتَ كلمةُ الإخلاص ، « وَكُنْتُمْ عَمَلَى
 سَفَا حُمْرَةَ مِنِ النَّارِ (٣) » . نُهْزَةُ (٤) الطامع ،
 وَمَذْفَقَةَ الشَّارِبِ (٥) ، وَقَبِيسَةَ العجَجان ، وموطِيءَ
 الأقدام ، تَشْرَبُونَ الطَّرِيقَ (٦) ، وتقتاتون القيدَ ،
 أذلةَ خاسئين ، يخطفكم الناسُ من حولكم ، حتَّى
 أنقذكم اللهُ برسوله صلى الله عليه بعدَ اللَّيْلِ واللَّيْلِ ،
 وبعد أن مُسِّيَ بِهِمَ الرجالُ (٧) وذُوبانِ العرب ،
 ومردةِ أهلِ الكتابِ « كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْمَحْرَبِ
 أَطْفَأَهَا اللَّهُ » (٨) . أو نجمَ قرنٍ للشيطان ، أو فغرتَ



- (١) المحض الخالص .
 (٢) والشقاشق القول فيه كذب .
 (٣) سورة آل عمران : ١٠٣ .
 (٤) نهزة الطامع : اسم للشيء الممرض لك كالغنيمة .
 (٥) المذقة : الشربة من اللبن المذلول بالماء والخبث .
 (٦) الطرق : اسم السماء الذي تبول فيه الإبل . والقيد : السير يقيد من
 الجلود . والقديد : اللحم المجفف .
 (٧) بهم الرجال : شجعانهم
 (٨) سورة المائدة - ٦٤

فَأَغْبِرَةٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ، قَدَفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا ، فَلَا
يُنْكفِي حَتَّى بَطَّأَ صِمَاخَهَا (١) بِأَخْمَصِهِ ، وَيُطْفِئُ
عَادِيَةً لَهَا بِهَا بِسَيْفِهِ - أَوْ قَاتَ وَيُخْمِدَ لَيْسَهَا بِحَدِّهِ
مَكْدُوداً فِي ذَاتِ اللّهِ . وَأَنْتُمْ فِي رَهَابِهِ فَتَكْفِهُونَ آمَنُونَ
وَادْعُونَ .

حتى إذا اختار الله لنبيه صلى الله عليه داراً أنبيائه
ظهرت حسكة (٢) النفاق ، وسمل (٣) جلابب الدين ،
ونطق كاظم (٤) الغاوين ، ونبغ حاميل الأفتانين ،
وهدر فنين (٥) المبطلين ، فخطر في عرصاتكم ،
وأطلع الشيطان رأسه صارخاً بكم ، فدعاكم فألفاكم
الدعوتة مستجيبين وللعزّة ملاحظين ؛ ثم استنهضكم
فوجدكم خيفاً وأحششكم (٦) فألفاكم غضاباً ؛

(١) الصماخ . فتحة الأذن الباطنة وفي المول استعارة .

(٢) الحسكة : الشوكة .

(٣) سمل الجلابب . بلى ورب .

(٤) الكاظم : الميطان للحقد .

(٥) الفنينق . الجمل الفعل .

(٦) أحششكم : جعلكم تغضبون ، ومن معانيها : ساقكم يفضب .

فوسمتم غير إبلكم ، وأوردتم غير شربكم ، هذا
والعهد قريب والكلم رحيب ، والجرح لَمَّا يندمل .
أبماذا زعمتم : خوف الفتنه ؟ « ألا في الفتنه سقطوا
وإن جهنم لمحيطه بالكافرين (١) » ، فهيهات فيكم ،
وأنتى بكم ، وأنتى تُؤفكون ، وكتاب الله بين أظهركم ،
زواجيره بينة ، وشواهدُه لاثحة ، وأوامره واضحة ،
أرغبه عنه تريدون ؟ أم بغيره تحكُمون ؟ « بشس
للظالمين بدلاً » (٢) « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً
فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » (٣)
ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نقرتها تشربون حسوا
في ارتغاء (٤) ، وتصبرُ منكم على مثل حزّ المدى
وأنتم الآن تزعمون لا إرث لنا « أفحكّم الجاهليّة
يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون » (٥)

(١) سورة التوبة : ٤٩ .

(٢) سورة الكهف : ٥٠ .

(٣) سورة آل عمران : ٨٥ .

(٤) مثل يضرب لمن يظهر أمراً ويبطن غيره .

(٥) سورة المائدة : ٥٠ .

لِهَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمَةِ الْمُهَاجِرَةِ ؛ أَلْبَتَرُ إِرْثَ أَبِيهِ ؟
 أَبِي اللَّهِ فِي الْكِتَابِ بِابْنِ قُحَافَةَ ، أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ وَلَا
 أَرِثُ أَبِيهِ . لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا فَرِيحًا (١) . فِدُونَكُمَا مَخْطُومَةٌ
 مَرْحُومَةٌ ، تَلْقَاكَ يَوْمَ حَسْرَتِكَ ، فَنَعْمَ الْحَكَمُ اللَّهُ ،
 وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَالْمَوْعِدُ الْقِيَامَةُ ، وَعِنْدَ
 السَّاعَةِ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ » وَلِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ
 وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ « (٢) .

ثم انكفأت على قبر أبيها صلى الله عليه فقالت :
 قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَيْئَةٌ (٣)

لو كنتَ شاهِدَها لم تكثِرِ الخُطْبُ
 إذْنَا فَمَقَدْنَاكَ فَمَقَدَ الْأَرْضِ وَأَيْلَهَا
 وَاخْتَلَّ أَهْلَكَ فَاحْضُرْهُمْ وَلَا تَغِيبْ (٤)

* * *

فقالت :

-
- (١) الفري : العمل الذي لم يسبق إليه .
 (٢) سورة الأنعام . ٦٧ .
 (٣) المنشة . الاختلاط في الكلام .
 (٤) في البيتين إقراء .

عائشةُ أمُّ المؤمنينَ (رضي الله عنها)

رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجَمَلِ قَامَتْ عَائِشَةُ فَتَكَلَّمَتْ
فَقَالَتْ :

أيها الناسُ ؛ إنَّ لي عليكم حقَّ الأمومةِ وحقَّ
الموعظةِ ، لا يتَّهمني إلا من عَصَى رَبَّهُ . قُبِضَ
رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ سَحْرِي (١)
وَتَحْرِي ، وَأَنَا إِحْدَى نِسَائِهِ فِي الْجَنَّةِ ، إِيَّاهِ ادَّخَرَنِي
رَبِّي ، وَخَصَّنِي مِنْ كُلِّ بُضْعٍ (٢) وَبِي مَيِّزٌ مُؤْمِنِكُمْ
مِنْ مُتَأَفِّقِكُمْ (٣) ، وَفِي رِخْصِ اكُمْ فِي صَعِيدِ الْأَبْوَاءِ (٤)
وَأَبِي رَابِعٍ أَرْبَعَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأُولُ مُسَمَّى صِدِّيقاً .
قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَنْهُ
رَاضٍ فَوْقَ النِّفَاقِ (٥) ، وَأَغْضَضَ نَبْعَ الرَّدَاةِ ، وَأَطْفَأَ

(١) السحر : الرثة . وقد توفي عليه الصلاة والسلام ورأسه على صدرها

(٢) البضع : الفرج . وربما أرادت أنها الزوج البكر من بين أزواجه

(٣) إشارة إلى حديث الأفك .

(٤) الأبواء : المفازة .

(٥) وقد النفاق : كسره ودمغه .

ماحشيت (١) يهود ، وأنتم حينئذ جحظ . تنتظرون
 العذوة . وتستمعون الصيحة ، فرأب الثأى (٢) ،
 وأوذم (٣) العطلة ، وامتاح من المهوات ، واجتتهر
 دُفن الرواد : فتمضه اللد واطئاً على هامة النفاق ،
 مذكياً ناراً لحرب المشركين ، يقظان في نصره الإسلام ،
 صفوحاً عن الجاهلين .

وروي أنه بلغها أن ناساً يتناولون أبا بكر ، فأرسلت
 إلى أزفلة (٤) من الناس ، فلما حضروا أسدلت
 أستارها ، وأعلت وسادها ، ثم دنت فحمدت الله ،
 وأثنت عليه . وصلت على نبيه صلى الله عليه وسلم ،
 وعدلت وقرعت وقالت :

أبي وما أبيه ! أبي والله لا تعطوه (٥) الأيدي ،
 طود مسيف ، وظل مديد ، هيهات هيهات !

(١) حش الحرب . أشعلها .

(٢) رأب . أصلح ، والثأى : الفساد .

(٣) أوذم الشيء : جعل له وذاماً ، وهو سير للدلاء ، والعطلة :

الدلاء ، التي بلا أوذم

(٤) أزفلة . جماعة من الناس ، وسلها أجفلة

(٥) تعطوه . تناولوه من قرب .

كاذبت الظنون . أَنْجَحَ (١) والله إذْ أكَدَيْتُمْ ، وسبقاً !
إذ ونيتهم

* سَبَقَ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوْلَى عَلَى الْأَمَدِ (٢) *
ففي قریش ناشئاً ، وَكَهَفْتُهَا كَهْلًا ، يَرِيشُ
مُمْلِقِيهَا ، وَيَنْفُكُ عَانِيَتِهَا وَيَلْمُ شَعْنَهَا وَيَرَأْبُ صَدْعَهَا
حَتَّى حَلَمَتْهُ قَلْبُوبِهَا ، ثُمَّ اسْتَشْرَى فِي دِينِهِ فَمَا بَرَحَتْ
شَكِيمَتُهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ ، حَتَّى اتَّخَذَ بَعْنَانَهُ مَسْجِدًا يُحْيِي فِيهِ
مَا أَمَاتَ الْمَبْطُلُونَ .

وكان رحمةُ الله عليه غزيرَ الدمعة ، وقيدَ الجوانح (٣)
شَجِييَ النَّشِيحِ ، فَانْفَضَّتْ إِلَيْهِ نِسْوَانٌ مَكَّةَ وَوَالِدَانُهَا
يَسْخَرُونَ مِنْهُ ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ . ((اللَّهُ يُسْتَهْزِئُ بِهِمْ
وَيَمْدَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ)) (٤) وَأَكْبَرَتْ

(١) أي أصاب إذ أخطأتم .

(٢) صدره .

إلا للملك أو من أنت سابقه

والبيت للنابيه .

(٣) وقيد الجوانح : مجزوناً كأنه مكسور القلب .

(٤) سورة البقرة . ١٥ .

ذلك رجالاتُ قريش ، فَحَنَسَتْ إليه قسيَّتها ، وفوقَ وقت له سهامها وامتثلوه غرضاً (١) فَمَا حَلَّوْا لَهُ صَفَاةً ،
 أَوْ لَا قَصَفْتُمْوَا لَهُ قَنَاةً ، وَمَرَّ عَلَى سَيْسَاتِهِ (٢) حتى إذا ضرب
 الدين بجيرانه ، وألقى برُكاه (٣) ، ورست أوتادهُ ،
 ودخل الناسُ فيه أفواجاً ، ومن كلِّ شِرعَةٍ أَشْتَاتَا
 وأرسالا اختار الله جلَّ اسمُهُ لنبيه صلواتُ الله عليه وسلامه
 ونحياته ما عنده ، فلما قَبِصَ اللهُ رُسولَهُ ضربَ الشيطانُ
 برواقه ، ومَدَّتْ طُنُوبُهُ ، ونصبَ حَبَائِلَهُ ، وأجلبَ
 بخيله ورجاله ، واضطربَ حبلُ الإسلام ، ومَرَجَّ عَهْدُهُ ،
 وماجَ أهلُهُ وبغى العوائل ، وظنَّتْ رجالٌ أن قد أَكْثَبَتْ
 نُهْزَها ، ولاتَ حينَ التي يرجون ، وأنسى والصدِّيقُ بين
 أظهرهم ؟ فقام حاسِراً مشمِراً قد جمَعَ حاشيتَيْهِ ،
 ورفعَ قَطْرِيهِ ، فردَ نَشْرََ الدين على غرِّهِ ، (٤) ولمَّ

-
- (١) امتثلوه : نصبوه . والقسي : جمع قوس ، وهو آلة رمي السهام .
 (٢) السيساء من الداية : ظهرها .
 (٣) يرك البعير : صدره .
 (٤) على غره : على كسره ، والمراد تدبير أمر الدين ، وكسر الردة .

شعته بطيبه ، وأقام أوده بتغافيه ، فامدقمر (١) النفاق
بوطئه ، وانتاش الدين فنعشه .

فلما أراح الحق على أهله ، وأقر الرؤوس على
كواهلها ، وحقق الدماء في أهبها (٢) حصرته منيته ،
نصر الله وجهه ، فسدد ثلثته بنظيره في الرحمة
ومقتنيه في السيرة والمعدلة ؛ ذلك ابن الخطاب ،
لله أم حمكت به ، ودرت عليه . لقد أوحدت ،
فمنح الكفرة ودنخها (٣) ، وشرذ الشرك شدرد مدر
وبعج الأرض ونجعتها (٤) ، فقأت أكابها ، ولقظت
نخباها ، ترأمة ويصدف عنها ، وتصدى له وبأباها ،
ثم وزع فيسثها فيها ، وودعها كما صحبها . فأروني
ماذا تترتون . وأي يومي أبي تنقون ؟ أيوم إقامته
إذ عدل فيكم أو يوم ظعننه إذ نظركم . أقول
قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

(١) امذقر اللبن . تفرق .

(٢) جمع إهاب : الجلد .

(٣) فنخ : أذل وقهر ، ودنخها : أخضعها

(٤) بيج الأرض : شقها ، ونجها : أذلها .

وقالت : لو نزل بالجمال الراسيات ما نزلَ بأبي
لهاضبها ، قبضَ رسولُ الله صلى الله عليه ، فاشربَ
النَّفَاقُ ، وارتدَّت العرب قاطبةً . وعاد أصحابُ محمدٍ
كأنهم مِعزَمِي مَطِيرَة في خِفَش (١) ، فما اختلفوا
فيه من أمر إلا طار أبي بَغْلَاثه وغنائه .

ومن رأى ابنَ الحَطَّاب علم أنه كان عَوْناً للإسلام ،
كان والله أَحْوْذِيًّا (٢) نسيجَ وحده ، قد أعدَّ للأمور
أفرائسها .

وقالت : مَنْ أَرْضَى الله بِاسخاطِ الناسِ كَفَاهُ اللهُ
ما بينه وبين الناسِ ، ومن أَرْضَى الناسَ بِاسخاطِ اللهِ جَلَّ
ذِكْرُهُ وَكَأَلَهُ اللهُ إِلَى الناسِ .

وقالت : إِنَّمَا النِّكَاحُ رِقٌّ فَلْيَنْظُرْ امْرُؤٌ مَنْ
يُرِقُّ كَرِيمَتَهُ .

وقالت : نَحَرَجْتُ أَقْفُوَ آثَارِ الناسِ يَوْمَ الحَنْدَقِ ،

(١) الخفش : البيت الدليل .

(٢) الأحوذى والأحوزي : الحسن السياق للأمور .

فسمعتُ وَثِيدَ الْأَرْضِ (١) خَلَفَنِي ، فَالْتَفَتُ فَإِذَا أَنَا بِسَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ (٢) .

وقالت لها امرأةٌ : أَأَقْبَيْدَ جَسَمِي ؟ قالتُ : نعمُ ،
قالتُ : أَقْبَيْدُ جَسَمِي ؟ فلما عامت ما تريدُ قالتُ : وَجْهِي
من وَجْهِكَ حَرَامٌ ؛ تعني بالجمل زوجها أي أومحده
عن النساء .

وقالت : لا تؤذي المرأةُ حَقَّ زوجها حتى لو سَأَطَا
نَفْسَهَا وهي على ظَهْرِ قَتَبٍ (٣) لم تمنعه .

* * *

أم كلثوم بنت علي (٤)

رُوي عن بعضهم قال : رأيتُ أمَّ كلثوم بنتَ عليٍّ

(١) وثيد الأرض : شدة الوطء ، يسمع كاللوي من بعيد .

(٢) سعد بن معاذ الأوسي الأنصاري ، صحابي جليل ، وهو الذي
حكّم على يهود بني قريظة وتوفي في نفس السنة ، وله مواقف مشهورة في
الإسلام .

(٣) أي على ظهر جمل . والقَتَب : الرجل الصغير على قدر سنام البعير .

(٤) أم كلثوم بنت علي أخت الحسين ولدت قبل وفاة الرسول ،

تزوجها عمر بن الخطاب . وله منها ذرية .

بالكوفة ، ولم أرَ حَفِيرَةً^١ واللهِ أنطقَ منها ، كما نطق
 وتُسْرِعُ عن لسانِ أميرِ المؤمنينَ رضيَ اللهُ عنه ، وقد
 أوْمَأَتْ إلى الناسِ وهم يبيكونَ على الحسينِ - رضيَ اللهُ
 عنه - أن اسكثوا فلما سكَنتُ فورَتَهُمْ ، وهَدَأَتْ
 الأَجْرَاسُ . قالت :

أبدأُ بِحمدِ اللهِ والصلاةِ على أبيه . أما بعد ،
 يا أهلَ الكوفةِ يا أهلَ الحِمْيَرِ (١) والحدِّلِ ؛ ألا فلا
 رَقَاتِ العَبْرَةِ ، ولا هَدَأَتْ الرِّقَّةُ ، إنما سَتَلَكُمُ
 كمثلَ التي ((نَتَقَصَّتْ غَزْلَهَا من بعدِ قُوَّةِ أَنْكَائِهَا
 تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ)) (٢) ألا وهل
 فيكمُ إلا الصَّلَافُ والشَّنَفُ (٣) ، مَاتِقُ الإِمْاءِ
 وغَمَرُ (٤) الأعداءِ وهل أنتمُ إلا كمرعى على دَمْنَةٍ ،
 وكفَضِيَّةٍ على سَلْحُوْدَةٍ . ألا ساءَ ما قَدَمَتْ لَكُمْ
 أَنفُسَكُمْ أن سَخَطَ اللهُ عَلَيْكُمْ وفي العذابِ أنتمُ خالِدُونَ .

(١) الحمر : أسوأ الغدر .

(٢) سورة النحل : ٩٢ .

(٣) الشنف : البغض .

(٤) الغمر : الحقد .

أَتَبْكُونَ؟ لِي وَاللَّهِ ، فَابْكُوا ؛ فَإِنَّكُمْ وَاللَّهِ أَحْرَبَاءُ
 بِالْبَكَاءِ ، فَابْكُوا كَثِيرًا وَاضْحَكُوا قَلِيلًا ، فَلَقَدْ فَرْتُمْ
 بِعَارِهَا ، وَسَنَارِهَا ، وَلَنْ تَرَ حَضْوُهَا (١) بِغُسْلٍ
 بَعْدَهَا أَبَدًا ، وَأَنْتَى تَرَ حَضُونَ قَتَلَ سَالِيلِ خَاتَمِ النَّبِيِّ ،
 وَمَعْدِنِ الرَّسَالَةِ ، وَسَيِّدِ شَبَابِ الْجَنَّةِ ، وَمَنَارِ
 مَحَجَّتِكُمْ ، وَمِدْرَه (٢) حُجَّتِكُمْ . وَمَفْزَعِ
 نَازِلَتِكُمْ ؟ فَتَعَسَّأَ وَنُكَّسَا ! اَقْدَ خَابَ السَّعْيُ ، وَخَسِرَتِ
 الصِّفْقَةُ ، وَبُؤْتُمْ بِغَضَبِ اللَّهِ ، وَضُرِبَتْ عَلَيْكُمْ
 الدُّلَّةُ وَالْمَسْكِنَةُ . ((لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدَاءً * تَكَادُ
 السَّمَاوَاتُ بِتَفْطَرِنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ
 الْجِبَالُ هَدًّا)) (٣) .

ما تَسْرُونَ أَيَّ كَبِيدٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَرَيْتُمْ
 وَأَيَّ كَرِيمٍ لَهُ أُبْرُزْتُمْ ، وَأَيَّ دَمٍ لَهُ سُفِكْتُمْ . لَقَدْ جِئْتُمْ
 بِهَا شَوْهَاءَ نَحْرَقَاءَ طِبْلَاعَ (٤) الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ،

(١) رَحَضَ الثَّوْبَ : غَسَلَهُ .

(٢) الْمَدْرَه : الْمُدَافِعُ عَنِ الْجَمَاعَةِ .

(٣) -سورة مريم : ٨٩ ، ٩٠ . وَالْإِدَاءُ : الْأَمْرُ الدَّاهِي الْمُنْكَرُ .

(٤) طِبْلَاعُ الْأَرْضِ : مَلْؤُهَا

أَفَعَجِبْتُمْ أَنْ قَطَرَتْ السَّمَاءُ دُمًّا ، ((وَلَعَدَابُ
الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ)) (١) .

* * * حَفْصَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ (٢)

خطبت حفصة بنت عمر فقالت :

الحمد لله الذي لا نظير له والفرْد الذي لا شريك له .
وأما بعدُ ، فكلُّ العَجَبِ من قوم زَيْنَ الشَّيْطَانِ
أطفالهم ، وارعَوَى إلى صنيعهم ، ودبَّ في الفتنَةِ لَهُمْ ،
ونصبَ حِبَائِلَهُ لِيَحْتَلِبَهُمْ ، حتى همَّ عَدُوُّ اللَّهِ بِإِحْيَاءِ
الْبِدْعَةِ ، ونَبَشَ الْفِتْنَةَ ، وتجديدِ الْجَوْرِ بعد
دُرُوسِهِ (٣) ، وإظهارِهِ بعد دُثُورِهِ (٤) ، وإِراقَةِ
الدَّماءِ ، وإِباحَةِ الْحَمَى ، وانتهاكِ مَسْحَرِمِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ بعد تحصيلِهَا ، فتنصرمَ وهاجَ ، وتوغرَّ وثارَ

(١) سورة فصلت : ١٦ .

(٢) حفصة بنت عمر بن الخطاب أم المؤمنين ، تزوجها الرسول

سنة ٥٣ هـ . توفيت سنة ٤١ هـ . أو سنة ٥٥ هـ .

(٣) الدروس : البلى .

(٤) الدثور : الهلاك .

غَضَبًا لِلَّهِ وَنُصْرَةً لِلدِّينِ لِلَّهِ ، فَأَخْسَأَ الشَّيْطَانَ وَوَقَمَ (١)
 كَيْدَهُ ، وَكَفَّفَ إِرَادَتَهُ ، وَقَدَّعَ مُحْسَنَتَهُ ، وَصَعَّرَ خَلْقَهُ
 السَّبْقَةَ إِلَى مُشَايَعَةِ أَوْلَى النَّاسِ بِخِلَافَةِ رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، الْمَاهِي عَلَى سُنَّتِهِ ، الْمُقْتَدِي بِدِينِهِ ،
 الْمُقْتَنَصِ لِأَثَرِهِ ؛ فَلَمْ يَزَلْ سِرَاجُهُ زَاهِرًا ، وَضَوْؤُهُ لَامِعًا
 وَنُورُهُ سَاطِعًا .^١

له من الأفعال الغررُ ، ومن الآراء المصاصُ (٢) ،
 ومن التقدم في طاعةِ الله عزَّ وجلَّ اللُّبابُ ، إلى أنْ
 قبضَهُ اللهُ إليه ، قَالِيًا لما خَرَجَ مِنْهُ ، شَانِيًا لما نَزَلَ مِنْ
 أَمْرِهِ ، سَنِيًا (٣) لما كَانَ فِيهِ ، صَبِيًا إلى ما صَارَ إِلَيْهِ ،
 وَائِلًا (٤) إلى ما دُعِيَ إِلَيْهِ ، عَاشِقًا لما هُوَ فِيهِ .

فلما صارَ إلى التي وَصَفْتُ ، وَعَايَنَ مَا ذَكَرْتُ
 أَوْمًا بِهَا إِلَى أَخِيهِ فِي الْمَعْدَلَةِ وَنَظِيرِهِ فِي السَّيْرِ ،
 وَشَقِيقِهِ فِي الْمَدْيَانَةِ ، وَلَوْ كَانَ غَيْرَ اللَّهِ أَرَادَ لِأَمَالِهَا إِلَى

(١) وقم الكيد : أذله وقهره .

(٢) المصاص . خالص كل شيء .

(٣) سنفا . مبغضا كارها .

(٤) وائلا : لاجئا .

ابنه ، ولصيرها في عقبه ، ولم يُخسرِ جُنها مِن ذُرِّيَّته ، فأخذها بحقِّها ، وقامَ فيها بقسِّطِها ، لم يُؤدِّهَ ثِقَلُها ، ولم يبيهيظنه حِفْظُها ، مُشَرِّداً للكُفْرِ عن موطنه ونافرآ له عن وكرِه ، ومثيراً له من مجشَميه ، حتى فتح الله عز وجلَّ على يديه أقطارَ البلاد ، ونصَّرُ اللهَ يقادُمه ، وملائكته تُكسِّفُه ، وهو بالله مُعْتَصِمٌ ، وعليه مُتَوَكِّلٌ ، حتى تَأَكَّدَتِ عُرَا الحَقِّ عَلَيْكُمْ عَقْدًا ، واضمحلَّتْ عُرَا الباطلِ عنكم حِلًّا ، نوره في الدُّجُنَّاتِ ساطِعٌ ، وضوءُه في الظلماتِ لامِعٌ ، قالياً للدنيا إذ عَرَفَها ، لافظاً لها إذ عَجَمَها ، وشانئاً لها إذ سَبَرَهَا ؛ تخطُّبُه وَيَقْلَاها ، وتريدُه وَيَأْبَاهَا (١) ، لا تطلبُ سواه بَعْلًا ، ولا تبغي سواه نُحْلًا (٢) أَخْبِرَها أن التي يَخْطِبُ أرْغَدُ منها عَيْشًا ، وأنصُرُ منها حُبُورًا ، وأدومُ منها سُرُورًا ، وأبقسُ منها خَلُودًا ، وأطولُ منها أيامًا ، وأغدقُ منها أرضًا ، وأنعتُ منها جَمالًا ،

(١) تريد : عمر بن الخطاب .

(٢) النحل : العطاء .

وأتم منها بلهنيّة، وأعذب منها رفهنيّة(١) فبشّعت
نفسه بذلك لعادتها، واقشعرت منها لمخالفتها، فعَرَكَها
بالعزم الشديد حتى أجابت ، وبارأي الجليد حتى
انقادت ، فأقام فيها دعائم الإسلام . وقواعد السنّة
الجزارية ، ورواسي الآثار الماضية وأعلام أخبار
النبوّة الظاهرة ، وظلّ خميصاً من بهجتها ،
قالياً لأثائها ، لا يرغب في زبرجتها(٢) ولا تطمح
نفسه إلى جيدتها ، حتى دعِيَ فأجاب ، ونودي
فأطاع على تلك الحال ، فاحتدى في الناس بأخيه
فأخرجها من نسائه ، وصيرها شورى بين إخوته ،
فبأي أفعاله يتعلقون ؟ . وبأي مذاهبه يتمسكون ؟
أبطرائقه القويمة في حياته ، أم بعدله فيكم عند وفاته ،
ألهمنا الله وإياكم طاعته ، وإذا شئتم ففني
حفظ الله وكتلاته .

* * *

(١) الرفهية : رغد العيش وخصبه .

(٢) الزبرج : الوشي .

أَرْوَى بِنْتُ الْحَارِثِ

قيل : دخلت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية بن أبي سفيان بالموسم وهي عجوز كبيرة ، فلما رآها قال : مَرَحَمًا بك يا عَمَّةٌ . قالت :

كَيْفَ أَذْتُ يَا بِنَّ أَخِي ، لَقَدْ كَتَفَرْتِ بَعْدِي
بِالنَّمَمَةِ ، وَأَسَأْتُ لِابْنِ عَمَّتِكَ الصُّحْبَةَ ، وَتَسَمَّيْتِ
بِغَيْرِ اسْمِكَ ، وَأَخَذْتِ غَيْرَ حَقِّكَ ، بِغَيْرِ بِلَاءِ كَانَتْ
وَلَا مِنْ آبَائِكَ فِي الْإِسْلَامِ ؛ وَلَقَدْ كَفَرْتُمْ بِمَا جَاءَ بِهِ
مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ . فَأَتَمَّعَسَ اللَّهُ الْجُدُودَ ، وَصَغَّرَ
مِنْكُمْ الْجُلُودَ ، حَتَّى رَدَّ اللَّهُ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ ، وَكَانَتْ
كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا . وَنَسِينَا مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ هُوَ
الْمَنْصُورُ عَلَى مَنْ نَاوَاهُ وَلَوْ كَسَرَهُ الْمُشْرِكُونَ .

* * *

رُؤْيَا رُقَيْبَةَ (١)

قال مخزومة بن نوفل (٢) : حدثتني أمي رُقَيْبَةُ
بنت أبي صَيْفِي بنِ هَاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، قَالَتْ :

(١) رقية بنت أبي صيفي بن هاشم ، قبل كانت صحابية .
(٢) مخزومة بن نوفل القرشي الزهري ، أمه رقبعة ، كان من مسلمة
الفتح ، ومن المؤلفات قلوبهم شهد حيننا مع النبي . توفي سنة ٥٥ هـ وعمره ١١٥ سنة .

تتابعت على قريش سنون أقحلت (١) الضرع
وأرقت اللحم ، وأدقت العظم فيينا أنا نائمة ، لاهم
أو مهمومة (٢) إذا أنا بهاتف يهتف بصوت صحل (٣)
اقشعر له جلدي : معاشر قريش إن النبي الأمي المبعوث
منكم قد أظلتكم أيامه ، وهذا أوان نجيومه (٤)
ألا فحي هلا (٥) بالخصب والحيا ، ألافانظروا منكم رجلا
وسيطا (٦) عظاما جساما أبيض بضا أو طف الأهداب (٧)
أشم العرين (٨) سهل الحدين ، له نجس يكظم
عليه (٩) وسنة تهدي إليه . ألا فايدف هو وولده ،

(١) أقحلت الضرع : أبيضته .

(٢) التهويم : هز الرأس من النعاس ، والمقصود هنا : الاستفراق .

في النوم .

(٣) صحل : فيه بحة .

(٤) النجوم : الظهور .

(٥) حي هلا : أسرعوا .

(٦) الوسيط : النسيب .

(٧) أوطف الأهداب : غزيرها .

(٨) العرين : الأنف . وأشم العرين ، كناية عن الرفعة .

(٩) المراد : لا يظهره .

وليدئف معه من كل بطن رجل ، فليشئوا (١) من الماء ، وليمسئوا من الطيب ثم ليسئاهوا الركن ، وليرئوا أبا قبئس (٢) ، وليدع الرجل ، وليؤمن القوم على دعائه ، فغئتم ما شئتم (٢) .

قالت : فأصبحث - عاسم الله - مدعورة قد وله قلبي ، واقشعرت جلدي لما رأيت في منامي فقصصت رؤيائي ، وتومت في شعاب مكة ، فوالحرم والحرم ، ما بقسي أبطحي إلا قال : هذا شئبته الحمد ، هذا عبد المطلب . فتنامت (٤) إليه رجالات قريش ، وهبط إليه من كل بطن رجل ، فشئوا ومسئوا واستلموا ، ثم ارتقوا أبا قبئس ، وطفقوا يزفون (٥) حواليه ، ما أن يبلغ سعيهم مهله ، حتى إذا استوا بدروة الجبل قام عبد المطلب ، ومعه رسول الله صلى الله

(١) شن الماء : صبه متفرقاً ، وسنه : صبه مجتمعاً .

(٢) جيل بمكة .

(٣) أتاكم الغيث : وغئتم : فعل مبني للمجهول . .

(٤) تنامت إليه : تناهت إليه .

(٥) يزفون : يسرعون الخطو مع تقارب وسكون .

عليه ، غلامٌ قد أبيعَ أو كربَ (١) ، فرفعَ يدهُ إلى السماء وقال :

اللهمّ كاشفَ الكُربةِ ، وسادَّ الحِلَّةِ ، أنتَ عالمٌ (٢)
غيرَ معلّمٍ ، مَسْئُولٌ غيرَ مُبْتَخَلٍّ هذه عبدك (٣)
ولماؤك بعذرَات (٤) حرَمَك ، يشكون إليك سنَّتَهُم
التي أذهبت الظِّلْفَ والخُفَّ (٥) ، فاسمعنَّ اللهم لنا ،
وأمطرنَّ غيثاً مُغْدِقاً مَرِيحاً (٦) . فما راموا الكعبةَ (٧)
حتى تفجرتِ السماءُ بمائها ، وكظَّ الوادي بشجيجهِ (٨)
فلَسَمِعْتُ شيخانَ قريشٍ وجلسَتَها : عبد الله بن
جُدعان ، وحرَبَ بنَ أميَّةَ ، وهشامَ بنَ المغيرةِ
يقولون لعبد المطلب : هَنَيْئاً لكَ أبَا البَطْحَاءِ هَنَيْئاً لك .

* * *

(١) كرب . أو شك .

(٢) في أسد الغابة : أنت معلم .

(٣) عداك : عبيدك .

(٤) عذرات : أفنية .

(٥) المراد : الغمّ والإيل .

(٦) مريع : ترقع فيه الدواب .

(٧) رام يريم : فارق .

(٨) الشجيج : السيل .

هِنْدُ بِنْتُ عُثْبَةَ (١)

قالت هندُ بنتُ عُثْبَةَ لِأبيها : إني امرأةٌ قد ملكتُ أمري ، فلا تزوجني رجلاً حتى تعرضه عليّ . فقال : لكِ ذلك . وقال لها ذاتَ يومٍ : إنَّهُ قد خَطَبَكَ رجُلانِ من قومك ، ولستُ مُسَمِّياً لكِ واحداً منهما ، حتى أصفهَ لكِ ، أمّا الأولُ ففي الشَّرَفِ الصِّمَمِ ، والحَسَبِ الكَرِيمِ ، تخالين به هوجاً من غفلته ، وذلك إسْجَاحٌ (٢) من شيمته ، حَسَنُ الصِّحَابَةِ ، سَرِيعُ الإِجَابَةِ ، إن تابعتَه تابعتك ، وإنِ ملتِ كان معك ، تَقْضِيينَ عليه في مالهِ ، وتَكْتَفِيينَ برَأْيِكِ عن مَشُورَتِهِ .

وأما الآخرُ ففي الحَسَبِ الحَسِيبِ ، والرأي الأريب ، بَدْرُ أرومته ، وعزُّ عَشيرته ، يُؤدِّبُ أهله ولا يُؤدِّبونه ؛ إن اتَّبعوه أسهلَ بهم ، وإنْ جَانَبُوهُ توَعَّرَ عنهم ، شَدِيدُ الغَيْرَةِ ، سَرِيعُ الطَّيْرَةِ ، ضَعِيبُ

(١) هند بنت عتبة القرشية الهاشمية زوج أبي سفيان ، أسلمت يوم الفتح ، وعفا عنها الرسول . بعد تمثيلها بحمزة بعد أن قتل ، وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب .

(٢) الإسْجَاحُ : حسن العفو .

حجائبِ القُبَّةِ ، إن حَسَّاجٌ فغيرُ مَنْزورٍ (١) ، وإن
تُوزَعُ فغيرُ مَقْسُورٍ ، قد بينتُ لك كليهما . .

قالت : أما الأولُ فسيِّدُ مَضِياعٍ لكريمتهِ ، مُواتٍ
لها ؛ فما عسى إن لم تَعْتَصِ أَنْ تَلينَ بعدَ إِبائِها ،
وتَضَيِّعَ تحتَ خبائِها ؛ إن جاءتهُ بولدٍ أَحْمَقَتْ وإن
أُنْجِبَتْ فَعَنَ خَطَأً ما أُنْجِبَتْ . اطوِ ذَكَرَ هَذَا عَنِّي
لَا تُسَمِّهِ لِي .

وأما الآخِرُ فَيَبْعَلُ الحُرَّةَ الكَرِيمَةَ ، لِي لأخلاقِ
هَذَا لَوامِقَةٍ ، ولِي له لِمَوافِقَةٍ ، ولِي لآخِذُهُ بأدبِ
البَعْلِ ، معَ ازومِي قُبَّتِي وَقِلَّةِ تَلَفُّفِي ، وإنَّ السَّيْلَ
بِئْسَى وَبَيْنَهُ لِحَرِيٌّ أَنْ يَكُونَ المَدافِعَ عَن حَرِيمِ
عَشيرَتِهِ ، الذائِدَ عَن كَتَيْبَتِها المَحامِي عَن حَقِيقَتِها ،
المُتَبَيِّتَ لأرُومَتِها ، غيرَ مُتَوَاكِلٍ وَلَا زُمَيْلٍ (٢)
عندَ صَعَصَعَةِ (٣) الحُرُوبِ .

(١) غيرُ مَنْزورٍ : غيرُ قَليلٍ في حِجَّتِهِ .

(٢) الزُمَيْلُ : الضعيفُ .

(٣) صَعَصَعَةُ الحُرُوبِ : حَرَكَتُها أو اضْطِرابُها .

قال : ذلك أبو سفيان بن حرب . قالت : فزوجته
 ولا تُلْقِنِي إِيَّاهُ إِتْمَاءَ الشُّكْسِ وَلَا تَسْمُهُ سَوْمَ
 الضَّرْسِ (١) ، ثم استخبر الله عز وجل في السماء
 بخرلك في القضاء . فزوجها أبا سفيان . وكان الآخر
 سهيل بن عمرو (٢) .

* * *

رُؤْيَا عَاتِكَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (٣)

كانت عاتكة بنت عبد المطلب عممة رسول
 الله صلى الله عليه ، ساكنة بمكة مع أخيها العباس بن
 عبد المطلب ، فرأت رؤيا قبل يوم بدر ، وقبل قدوم
 ضمضم عليهم ، ففرغت منها ، فأرسلت إلى أخيها
 العباس بن عبد المطلب من ليلتها ، فجاءها فقالت :

(١) الضرس : السية الخلق .

(٢) سهيل بن عمرو القرشي أحد أشراف قريش ، وهو الذي منع
 قريشاً عن الارتداد بعد وفاة الرسول ، خرج إلى الشام مجاهداً واستشهد
 سنة ٥١٤ .

(٣) عاتكة بنت عبد المطلب ، اختلف في إسلامها ، فقال بعض
 العلماء : لم يسلم من عمات النبي غير صفية .

رأيتُ الليلة رؤيا قد أشفقتُ منها ، وخشيتُ على قومك
الهلكة . قال : وماذا رأيتِ ؟ قالت : لن أحدثُك
حتى تعاهدني ألا تذكرها لقومك ، فإنهم إن سمعوها
أذَوْنَا وأسمعُونَا مالا نُحِبُّ . فعاهدها العباسُ فقالت :

رأيتُ راكباً أقبل على راحلةٍ من أعلى مكة يصبح
بأعلى صوته : يَا آلَ غُدْرَ (١) ، اخرجوا في ليلتين
أو ثلاثٍ ، ثم أقبلَ يصبحُ حتى دخلَ المسجدَ على راحلته
فصاح ثلاثَ صيحاتٍ ، ومالَ عليه الرجالُ والنساءُ
والصبيانُ ، وفزعَ الناسُ له أشدَّ الفزعِ . قالت :
ثم أراه مثلَ على ظَهْرِ الكعبةِ على راحلته فصاح
ثلاثَ صيحاتٍ فقال : يَا آلَ غُدْرَ ، يَا آلَ فُجْرَ (٢)
اخرجوا في ليلتين أو ثلاثٍ . ثم أراه مثلَ على أبي
قُبَيْسٍ كذلك يقول يا آلَ غُدْرَ ويا آلَ فُجْرَ حتى أسمعَ
مَنْ بَيْنَ الْأَخْشَبِيِّينَ (٣) من أهل مكة ، ثم عمداً
لصخرةٍ عظيمة فنزعها من أصلها ثم أرسلها على أهل

(١) غدر : معلول عن غادر .

(٢) فجر : معلول عن فاجر .

(٣) الأخشبيان : جبلان يضافان تارة لمكة وتارة لمي .

مكة ، فأقبلت الصخرة لها حسٌ شديدٌ ، حتى إذا
كانت عند أصلِ الجبلِ ارفضتْ ، فلا أعلمُ بمكةٍ
بيتاً ولا داراً إلاّ وقد دخلتها فلقةً من تلك الصخرةِ ،
فقد خشيتُ على قومك .

ففرغَ من رؤياها العباسُ ثم خرجَ من عندها ،
فلقيَ الوايدَ بنَ عُقْبَةَ بنَ ربيعةَ من آخرِ تلكَ الليلةِ ،
وكان ختليلاً للعباسِ ، فقصَّ عليه رؤيا عاتكةَ وأمره
ألا يذكرها لأحد ، فذكرها لأبيه عُتْبَةَ ، وذكرها
عتبةُ لأخيه شيبَةَ ، فارتفعَ الحديثُ حتى بلغَ أباً جهلٍ
واستفاضَ في أهلِ مكة .

* * *

فاطمةُ بنتُ عبدِ الملِكِ بنِ مروان

روي عن عطاء ، قال : قلت لفاطمةَ بنتِ عبدِ
الملِكِ : أخبريني عن عُمرَ بنِ عبدِ العزيزِ . قالت :
أفعل ، ولو كان حياً ما فعلت . إن عمرَ - رحمه الله -
كان قد فرغَ للمسلمينِ نفسَه ، ولأموارهم ذهنه ، فكان
إذا أمسى مساءً لم يقرُغُ فيه من حوائجِ الناسِ في يومه دعا

بسرّاجمه الذي كان يُسْرَجُ له من ماله ثم صلى ركعتين ،
ثم أقعَى واضعاً رأسه على يديه ، تسيلُ دموعُه على
خديّه يَسْهَقُ الشّهقةَ تكادُ ينصدعُ لها قلبه ، أو تخرجُ
لها نفسَه ، حتى يرى الصُّبْحَ .

وأصبحَ صائماً فدنوتُ منه فقلت : يا أميرَ المؤمنين ،
الشيءُ كان منك ما كان ؟ قال : أجلٌ ، فعليكِ بشأنكِ ،
وخلّيني وشأني . فقلت : إني أرجو أنْ أتَعْظَ . قال :
إذاً أخبرُكِ ، إني نظرتُ قد وجدتُني وليتُ أمرَ هذه
الأمّةِ أحمرِها وأسودِها ، ثم ذكرتُ الفقيرَ الجائعَ ،
والغريبَ الضّائعَ ، والأسيرَ المقهورَ ، وذا المالِ القليلِ
والعيالِ الكثيرِ ، وأشياءَ من ذلك في أقاصي البلادِ ،
وأطرافِ الأرضِ ، فعلمتُ أن الله عزّ وجلّ سائلي
عنهم ، وأنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حجّيجي (١) ،
لا يقبلُ الله مني فيهم معدّرةً ، ولا يقومُ لي مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم حُجّةٌ ، فرحمتُ واللهِ يا فاطمةُ

(١) حجّيج المرء : من يحاجه ويجادله .

نفسِي رحمةً دمعتُ لها عيني ، ووجَّعَ لها قلبي ، فأنا
كلِّمًا ازدددتُ ذِكْرًا ازدددتُ خوفًا فأيقِظِي أودعي .

* * *

أُمُّ سَلَمَةَ - أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ

في حديث أم سلمة أنها أتت عائشة لما أرادت
الخروجَ إلى البصرةِ فقالت لها :
إنك سُدَّةٌ بينَ رسولِ الله صلى الله عليه وأُمَّتِهِ ،
وَحِجَابُكَ مَضْرُوبٌ عَلَى حُرْمَتِهِ ، وقد جَمَعَ القرآنُ^١
ذِيكَ فلا تَسُدِّ حَيْبَهُ (١) وسكَّنَ عُقَيْرَكَ فلا تُصْحِرِيهَا .
الله من وارئ هذه الأمة ، لو أرادَ رسولُ الله صلى
الله عليه أن يعهدَ إليكِ عهدًا . عُلَّتِ عُلَّتِ (٢) بل
قد نَهَاكَ رسولُ الله صلى الله عليه وسامعَ عن الفُرْطَةِ (٣) في
البلادِ ، إنَّ عمودَ الإسلامِ لا يُثَابُ (٤) بالنساءِ إنَّ مال

(١) لا تُلحِقِيه : لا توسعي بالحركة والخروج . وعقيرك : من
عقر الدار .

(٢) عُلَّتِ : من العول ، وهو الميل .

(٣) الفُرْطَةُ : من الفُرْطِ وهو السبق والتقدم .

(٤) لا يُثَابُ : لا يصلح ، من ثاب الرجل . إذا صلح بدنه .

ولأيرأب (١) بهن أن صدع ، حُمَادَيَاتُ النساءِ غَضُ
الأطرافِ ، وَخَفَرُ الأَعْرَاضِ ، وَقَصْرُ الوَهَاذَةِ (٢) .

* * *

مُلْتَقَطَاتٌ مِنْ كَلَامِهِنَّ

قالت هندُ بنتُ عتبةَ وقد عَزَّيْتُ عن يزيدِ بنِ
أبي سفيانَ (٣) لما مات فقيل لها : إنا لنترجو أن يكون في
معاويةَ خلفاً منه . قالت : أو مثلُ معاويةَ يكون خلفاً من
أحدٍ ؟ والله لو جُمِعتِ العربُ من أقطارها ثم رُمي به فيها
ليخرجَ من أيِّها شاء .

قالت خالدةُ بنتُ هاشمِ بنِ عبدِ منافعٍ لأخي لها - وقد
سمعتَه تَجَهَّسَ صديقاً له : أيُّ أَخِيَّ ، لا تطع من الكلام
إلا ما قد رَوَاتَ (٤) فيه قبل ذلك ، ومزجته بالحلم ،

(١) يرأب : يصلح .

(٢) الوهازة : مشية الخفرات .

(٣) يزيد بن أبي سفيان صحابي ، أسلم يوم الفتح ، وشهد غزوة
حنين ، وهو أحد القادة الذين وجههم أبو بكر إلى الشام ، وولي فلسطين
لعمر ، وتوفي سنة ٨١٨ .

(٤) رَوَى فِي الشَّيْءِ : نَظَرَ إِلَيْهِ وَعَرَفَ عَاقِبَتَهُ .

وداويته بالرَّفْقِ ، فإن ذلك أشبهُ بك . فسمعها أبوها
هاشمٌ فقامَ إليها فاعتنقها وقبَّلها وقال : واهاً لك
ياقُبَّةَ الديباجِ فلقَّبَت بذلك .

قالت عائشةُ للنبي عليه السلام وقد دخل عليها :
أين كنتَ يا رسولَ الله ؟ قال : « كنتُ عندَ أمِّ سلمة . »
قالت : أما تشيعُ ؟ فتبسَّم . وقالت : يا رسولَ الله ،
لو مررتَ بعدُ وتين (١) لإحداهما عافيةٌ لم يرعها أحدٌ ،
وأخرى قد رعها الناسُ ، أيَّها كنتَ تنزلُ ؟ قال :
« بالعافيةِ التي لم يرعها الناسُ » قالت : فلستُ كأحدٍ
من نسائك .

روِي أن عمرَ نَهَى أبا سفيانَ عن رشِّ بابِ منزله
لثلاثِ يَمَرٍ به الحاجُّ فيزلقون فيه . فاحم يئته . ومرَّ عمرُ
فزأقَ ببابه فعلاه بالدرةِ وقال : ألم آمرُك ألا تفعلَ هذا .
فوضعَ أبو سفيانَ سبَّابته على فيه . فقال عمرُ : الحمدُ لله
الذي أراني أبا سفيانَ بسبَّطحاءِ مكةَ أضربُه فلا ينتصرُ ،
وأمْرُه فيأمرُ . فسمعتُه هندُ بنتُ عتبةَ فقالت : إحمدهُ
يا عمرُ فإنك إن تسخَّمدهُ فقد أراك عظيمًا .

* * *

(١) العدة : شاطئ الوادي أو حابه .

الباب الثاني

نكت من كلام النساء ومستحسن جواباتهن والفاظهن

مرّت امرأةٌ جميلةٌ على مسجدِ بني نُمَيْرٍ بالبصرةِ
وعليه جماعةٌ منهم فقال بعضهم : ما أكبرَ عَجِيزَتِها ،
وقال آخرُ : إنها مَلْفُوفَةٌ . وقال آخرُ : أنا أجيشكم
بخبرها . فتبيخنها وضربَ يدهَ على عَجِيزَتِها . قال :
فالتفتت إليه وقالتُ : ((الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الْمُسْتَرِينَ)) (١) ثم انصرفتُ إلى بني نُمَيْرِ فقالت :
يا بني نُمَيْرِ ، واللهِ ما حفظتُكم في قولِ اللهِ جلَّ وعزَّ ،
ولا قولَ الشاعرِ ، قال اللهُ تبارك وتعالى : ((قُلْ
لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)) (٢) وقال الشاعرُ :

(١) سورة البقرة : ١٤٧ .

(٢) سورة النور : ٣٠ .

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنْكَ مِنْ نُسَيْرِ

فَلا كَعَباً باغَتْ ولا كِلابِبا (١)

قالت امرأةٌ من نُسَيْرِ وحضرتُها الوفاةُ ، وأهلُها

مجتَمعونَ : من الذي يقول :

لَعَمْرُكَ مارِماحُ بني نُسَيْرِ

بطائِشَةَ الصُّورِ ولا قِصارِ (٢)

قالوا : زيادُ الأعجمِ (٣) . قالت : فيني أشهدُكم

أن له الثُّأثَ من مالي . وكان كثيراً .

وقالت امرأةٌ لزوجها : إن أكُملكِ لاقتِفافُ ، (٤) ،

وإن شُرِبَ بكِ لاشتِفافُ ، وإن ضَمَجْتَكِ لا لشتِفافُ ،

تنامُ ليلَةَ تخافُ ، وتشبعُ ليلَةَ تُضافُ .

(١) البيت بطرير . البيان والتبيين : ٢٤٣/٢ ، وذكر الجاحظ

بعدها : وأخلق بهذا الحديث أن يكون له ولداً .

(٢) مختار الأغاني : ١٣٧/٣

(٣) زياد بن سليمان ، لقب بالأعجم لعلمة العجمة على لسانه ، شاعر

جزل اللفظ ، ولد ونشأ بأصفهان ، وأقام بخراسان إلى أن مات .

(٤) الاقتفاف : الاتيان على جميع الطعام شرها .

طلّقت أعرابي امرأته فقالت له : جزاك الله خيراً ؛
لقد كنت كثير المرقّ طيب العرق ، قليل الأرق ،
قال : وأنت فجزاك الله خيراً ؛ لقد كنت لذيذة
المعتنق ، عند الكسرى والأرق ، ولكن ما قضى الله
قد سبق .

تزوج أعرابي امرأةً أشرف منه حسباً ونسباً فقال :
يا هذه : إنك مهزولة . فقالت : هزالي أو لخي بيتك .
قالت أعرابيةٌ وقد دُفِعَ إليها عليك لتمضغته :
ما فيه إلا تعب الأضراس وخيبة الخنجر .

نظر رجلٌ إلى امرأتين يتلاعبان فقال : مرّاً لعنكما
اللهُ فإنكن صواحبات يوسف . فقالت إحداهما :
يا عمّي فمن رمى به في الحب . نحن أو أنتم ؟
ومرت جاريةٌ يقوم ومعهما طَبَقٌ مغطى فقال
بعضهم : أي شيء معك على الطبق ؟ قالت : فليم
غطّيناه ؟ .

قال الجاحظ : ومن الأسجاع الحسنة قولُ
الأعرابية حين خاصمت ابنها إلى عامل الماء : أما كان

بطيبي لك وعاء؟ أما كان حججتي لك فناء؟ أما كان
نديبي لك سقاء .

وقالت امرأة : أصبحنا ما برقنا لنا فرس* ، ولا ينام
لنا حرس .

مرّ رجل بامرأة من غاضرة ، وإذا ابن لها مسجى
بين يديها ، وهي تقول : يرحمك الله يا بني . فوالله ما كان
مالك لبطنك ، ولا أمرك لعرسك ، ولا كنت إلا ليين
العظيمة . يرضيك أقل مما يسخطك . قال : فقلت
لها : يا أمّة ، ألك منه خلف؟ قالت : بلى ما هو خير
منه . ثواب الله والصبر على المصيبة .

ولما قتل الفضل بن سهل (١) دخل المأمون
إلى أمّه يعزيها فيه . وهال : يا أمّة ؛ لا تخزي على الفضل ؛
فلإني خلف لك منه . فنالت له : وكيف لا أحزن على
ولد عوضني خلفاً مثلك؟ فتمجّب المأمون من جوابها .
وكان يقول : ما سمعتُ جواباً قطُّ كان أحسن منه ولا
أحلب للقلب .

(١) الفصل من سهل ذو الرياستين وزير للمأمون كان عادلاً حكيماً .

توفي سنة ٢٠٢ هـ

حُكِي أَنَّ عَجُوزًا مِنَ الْأَعْرَابِ جَلَسَتْ فِي طَرِيقِ
مَكَّةَ إِلَى فُتَيَانَ مِنْ قُرَيْشٍ يَشْرَبُونَ نَبِيذًا طَمًا ، فَسَقَوْهَا
قَدَحًا فَطَابَتْ نَفْسَهَا وَتَبَسَّمَتْ ثُمَّ سَقَوْهَا قَدَحًا آخَرَ ،
فَاحْمَرَّتْ وَجْهُهَا وَصَحِكَتْ فَسَقَوْهَا قَدَحًا ثَالِثًا ، فَقَالَتْ :
أَخْبَرُونِي عَنْ نَسَائِكُمْ بِالْعِرَاقِ ، أَيَسْرَبِينَ مِنْ هَذَا
الشَّرَابِ : قَالُوا : نَعَمْ . قَالَتْ : زَنْبِينَ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ .
سُئِلَتْ أَعْرَابِيَّةٌ فَقِيلَ لَهَا : أَتَعْرِفِينَ النَّجُومَ ؟ قَالَتْ :
سُبْحَانَ اللَّهِ أَمَا أَعْرِفُ أَشْيَاخًا وَقَوْفًا عَلِيًّا كُلَّ لَيْلَةٍ ؟
قِيلَ لَامْرَأَةٍ أُصِيبَتْ بِوَلَدِهَا : كَيْفَ أَنْتِ وَالْجَنَعَ ؟ .
قَالَتْ : لَوْ رَأَيْتُ فِيهِ دَرَكًا مَا اخْتَرْتُ عَلَيْهِ ، وَلَوْ دَامَ
لِي لِدُمْتُ لَهُ .

خَطَبَ رَجُلٌ ابْنَةَ عَمٍّ لَهُ فَأَخْبَرَهَا أَبُوهَا بِذَلِكَ
فَقَالَتْ : يَا أَبَاهُ ، سَأَلُهُ مَالِي عِنْدَهُ ؟ فَسَأَلَهُ فَقَالَ :
الْطِفُّ بِرَّهَا ، وَأَحْمَلُ ذَكَرَهَا ، وَأَعْصِي أَمْرَهَا . فَقَالَتْ :
زَوْجَنِيهِ .

لَمَّا أَهْدَيْتِ ابْنَتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرَ إِلَى الْحِجَابِ
نَظَرَ إِلَيْهَا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَعَبَّرَتْهَا تَجُولُ فِي خَدِّهَا ،

فقال ممّ بأبي أنت ؟ . قالت : من شرفٍ اتّصَع ،
ومن ضَعَة شُرُفت .

ولما كتب عبدُ الملكِ إلى الحجاجِ بطلاقها قال لها :
إنّ أميرَ المؤمنينَ أمرني بطلاقكِ . قالت : هو أبرُّ بي ممّنُ
رَوَّجَنيك .

حكّمَ بلالُ بنُ أبي بُردةَ (١) بالتفريقِ بينِ رجلٍ
وامرأته . فقالت له المرأةُ : يا بنَ أبي موسى
إنما يُعشِشُتم بالتفريقِ بينَ المسلمين .

نزلَ رجلٌ بامرأةٍ من العربِ فقال لها : هل من
لبنٍ أو طعامٍ يُباع ؟ فقالت : إنكَ للثيمُ أو حديثُ عهدٍ
باللثامِ . فاستحسنَ ذلكَ منها وخطبها فتزوجها .

حدّث بعضهم قال : خرجتُ إلى ناحيةِ الطُّفَاوةِ (٢)
فإذا أنا بامرأةٍ لم أرَ أجملَ منها . فقلت : أيتها المرأةُ ،
إن كان لكِ زوجٌ فباركَ اللهُ له فيكِ ، وإلاّ فأعلميني .

(١) بلال بن أبي بردة يهمل نسه نأبن موسى الأشعري ، وياه خالد
بن العسري قفساء الحصرة .

(٢) الطفاوة : حي من قيس بن عيلان .

قال : فقالت : وماتصنعُ بي وفيّ شيءٌ لا أراكَ ترتضيه .
 قلت : وما هو ؟ قالت : شيبٌ في رأسي . قال : فثبّيتُ
 عنانَ دابّتي راجعاً . فصاحتُ بي : على رسيدكَ -
 أخبرك بشيء . فوقفتُ وقلتُ : ما هو يرحمك الله ؟
 فقالت : والله ما بلغتُ العشرين بعدُ ، وهذا رأسي -
 فكشفتُ عن عناقيدَ كالحُمَم - وما رأيتُ في رأسي
 بياضاً قطّ ، ولكن أحببتُ أن تعلمَ أنا نكرهُ مثلَ ما يُكرهه
 منّا . وأنشدت :

أرى شيبَ الرجالِ من الغواني
 بموضعِ شيبهنّ من الرجالِ

قال : فرجعتُ خجلاً كاسفَ البال .

وصفتُ امرأةَ نساءٍ فقالت : كنّ صدُوعاً في
 صفّاً ليسَ لعاجز فيهنّ حظّ .

قيل لابنة الخُسر (١) : من تريدين أن تتزوجي ؟
 فقالت : لأريدُهُ أخا فلان ولا ابنَ عمِّ فلان ، ولا الظريفَ

(١) هي هند بنت الخُسر ، لها أخبار مروية في كتب الأدب .

ولا المتظرفَ ، ولا السّمينَ اللحمَ ولكني أريدُه كسوباً
إذا غدا ، ضحوكاً إذا أتى .

وقيل لها : مَنْ أعظمُ الناس في عينك ؟ قالت : مَنْ
كانت لي إليه حاجةٌ .

قيلَ لأعرابيةٍ قد حملت شاةً تبيعُها : بكمم ؟
قالت : بكذا . قيل لها : أحسني . فتركت الشاةَ
ومرّت لتنصرفَ . فقيل لها : ما هذا ؟ قالت : لم تقولوا :
أنقصي ، وإنّما قلتم : أحسني . والإحسان تركُ الكلِّ .

قالت قريبةُ الأعرابيةِ : إذا كنتِ في غير قومك
فلا تنسَ نصيبك من الذلِّ .

قيل لأعرابيةٍ : ما أطيبُ الروائحِ ؟ قالت : بدّانٌ
تُحبّه ، وولدٌ تُرَبِّيه .

سأل رجلٌ الخيزرانَ (١) حاجةً ، وأهدى إليها
هديةً فردّتها وكتبت إليه : إن كان الذي وجهته ثمناً
لرأي فيك فقد بخستني في القيمة ، وإن كان استزادةً
فقد استغششتني في النصيحة .

(١) الخيزران : أم هارون الرشيد .

قتل قتيبة^(١) أبا امرأةٍ وأخاها وزوجها ثم قال لها :
أتعرفين أعدى لك مني ؟ قالت : نعم : نمسي طالبتني
بالغداء بعد من قتلني .

تقدمت امرأة إلى قاضٍ فقال لها القاضي : جأ معك
شهودك كما هم ؟ فسكتت فقال كاتبه : إن القاضي
يقول : جاء شهودك معك ؟ قالت : نعم . ثم قالت
للقاضي : ألا قلت كما قال كاتبك . كسر سنك ،
وذهب عقلك . وعظمت لحيثك فغطت على عقلك ،
وما رأيت ميتاً يحكم بين الأحياء غيرك .

قالت أعرابيةٌ لزوجها ، ورأته مهتموماً : إن
كان همك بالدنيا فقد فرغ الله منها ، وإن كان الآخرة
فزادك الله همًا بها .

قال الأصمعيّ : سمعتُ أعرابيةً تقول : إلهي ،
مأضيّقَ الطريقَ على من لم تكن دليله ، وأوحشه على
من لم تكن أنيسه !

قالت عائشةُ للخنساء : إلی کم تبکین علی صخرِ ،

(١) قائد أمير ولي خراسان .

ولئنما هو جَمْرَةٌ في النار؟ قالت : ذاك أشدُّ لجزعي عليه .

جاءت امرأةٌ إلى عَدِيِّ بنِ أَرْطَاةَ (١) تستعديه على زوجها ، وتشكو أنه عنينٌ لا يأتيها ، فقال عدي :
لئنني لأستحيي للمرأةِ أن تستعدي على زوجها من مثل هذا ،
فقالت : ولم لأرغبُ فيما رغبتُ فيه أمك ففعلَ اللهُ
أنْ يرزقني ابناً مثلك .

وقالت أعرابيةٌ لرجلٍ : مالك تُعطي ولا تُعبدُ ؟
فقال لها : مالك وللوعد ؟ قالت : ينفسحُ به الصبرُ ،
ويبتسِرُ فيه الأملُ ، وتطيبُ بذكره النفسُ ، ويرجى
به العيشُ ، وتربحُ أنتُ به المرحُ بالوفاء .

قيل لامرأة : صفي لنا الناقَةَ النجبية ، قالت :
كالعقربِ إذا هوتُ ، وكالحيةِ إذا التوتُ ، تطوي
الفلاةَ وما انطوتُ .

خطب أعرابي امرأةً وكان قصيراً فاحش القصر ،
عظيم الأنف جداً فكرهتهُ فقال : ياهذه ، قد عرّفتِ

(١) عدي بن أرتاة الفزاري ، ولي البصرة لعمر بن عبد العزيز .

شَرَفِي وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ كَرِيمُ الْمَعَاشِرَةِ ، مُحْتَمِلُ الْمَكْرُوهِ .
فَقَالَتْ : صَدَقْتِ مَعَ حَمَلِكِ هَذَا الْأَنْفَ أَرْبَعِينَ سَنَةً .
اسْتَعْمَلَ الْمَنْصُورُ رَجُلًا عَلَى خِرَاسَانَ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ
فِي حَاجَةٍ فَلَمْ تَرَ عِنْدَهُ غَنَاءً ، فَقَالَتْ : أَتَدْرِي لِمَ وَلَا أَكُ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : لَا : قَالَتْ : لِيَنْظَرَ هَلْ يَسْتَقِيمُ
أَمْرُ خِرَاسَانَ بِلَا وَالٍ .

قَالَ بَعْضُهُمْ : خَطَبَتْ امْرَأَةٌ فَأَجَابَتْ ، فَقَالَتْ :
إِنِّي سِيءُ الْخُلُقِ : فَقَالَتْ : أَسْوَأُ خُلُقًا مِنْكَ مَنْ يُلَجِّجُكَ
إِلَى سُوءِ الْخُلُقِ .

قِيلَ : إِنَّ الْحَسَنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طَلَّقَ امْرَأَتَيْنِ
قَرَشِيَّةً وَجُعْفِيَّةً وَبَعَثَ إِلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَشْرِينَ
أَلْفًا . وَقَالَ لِلرَّسُولِ : احْفَظْ مَا تَقُولُ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا
فَقَالَتْ الْقَرَشِيَّةُ : جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا . وَقَالَتْ الْجُعْفِيَّةُ :
مَتَاعَ قَلْبِي مِنْ حَبِيبِ مَفَارِقِي . فَرَاجَعَهَا وَطَلَّقَ الْأُخْرَى .

وَكَانَتْ عِنْدَ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ امْرَأَةٌ فَضَجَّجِرَ
يَوْمًا وَقَالَ : أَمْرُكَ فِي يَدِكَ . فَقَالَتْ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ
كَانَ فِي يَدِكَ عَشْرِينَ سَنَةً فَحَفِظْتَهُ ، أَفَأُضَيِّعُهُ فِي سَاعَةٍ

صارَ في يدي . قد رددتُ إليك حقك . فأعجبه قولها
وأحسن صحبتها .

قالت الخيزران : قبح الله الخدمَ ليس لهم حزمُ
الرجالِ ولا رِقَّةُ النساءِ .

كتب المأمونُ إلى شيكِّلة (١) أمَّ إبراهيمَ بنِ المهدي (٢)
يتوعدُّها فأجابته : أنا يا أميرَ المؤمنين أمُّ من أمهاتِكَ ،
فإن كان ابني عصَى اللهَ فيك فلا تعصهُ نيِّ ، والسلام .
عُرِضت عَنانُ ، جاريةُ الناطقيِّ على الرشيدِ وهو
يتبخَّر ، فقال لها : أتحبِّين أن أشتريك ؟ فقالت : ولمَّ
لا يا أحسنَ الناسِ خلُقًا وخلُقًا ؟ فقال : أمَّا الخلقُ
فقد رأيتُه ، فالخلُقُ أنِّي عرَفْتِه ؛ قالت : رأيتُ
شراةً طاحتُ من المسجِمةِ فلمعتُ في نكدك فما
قطبتُ لها ولا عاتبْت أحداً .

(١) شكِّلة أم إبراهيم بن المهدي ، سبيت ، وحملت إلى المنصور
فوهبها لأم ولده ، أخذها المهدي فولدت له إبراهيم .

(٢) إبراهيم بن المهدي أديب تناعر له صنعة في الغناء ، ولي الخلافة
بعد قتل الأمين ، ولما جاء المأمون استتر ثم استعطفه فعفا عنه .

كان معاويةٌ يمشي مع أمه فَعَثَرَ ، فقالت له :
قمْ لا رَفَعَكَ اللهُ - وأعرابيٌّ ينظر إليه - فقال : لم
تقولين له هذا ؟ فوالله إنني لأظنه سيسودُ قومه .
فقالت . لا رَفَعَهُ اللهُ إن لم يسُدْ إلا قومه .

قال محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عمرو بنِ عثمانَ :
جمَعَتْنَا أمُّنا فاطمةُ بنتُ الحُسينِ عليه السلام فقالت :
يا بَنِيَّ إِنَّه والله ما نال أحدٌ من أهل السَّفَةِ بسفهِهم
شيئاً ، ولا أدركوهُ من لذّاتهم إلاّ وقد ناله أهلُ
المروءات بمروءاتهم . فاستتروا بيسْتِرِ اللهُ .

لما قَصَدَ المعتضدُ (١) بني شيبانَ اصْطَفَى منهم
عجوزاً سريعةَ الجوابِ فصيحَةً ، فكان يُغري بينها
وبين الجلساءِ . فجاءت يوماً فقعدت بلا إذنٍ فقال لها
خفيفُ السمرقنديّ الحاجبُ : أتجلسينَ بين يديّ أميرِ
المؤمنينَ ، ولم يأذنُ لكِ ؟ فقالت : أنت جارٌ ذلك وحاجبه ،
كان يجبُ أن تعرّفني ما أعملُ قبل دخولي إذ لم تكنُ

(١) هو أحمد بن الموصي ، الخليفة العباسي ، تولى الخلافة سنة ٨٢٧٩
وتوفي سنة ٨٢٨٩ ، وكان شجاعاً فاضلاً .

لي عادةً" بمثله . ثم قامت . فتغافل المعتضد عنها فقالت :
يا سيداهُ ؛ أقيامٌ إلى الأبد ، فمتى ينقضي الأمد ؟
فضحك وأمرها بالجلوس . .

قالت هند بنت عتبةَ لأبي سفيانَ بنِ حربٍ لما
رجع مُسلماً من عند رسول الله صلى الله عليه إلى مكة
في ليلة الفتح فصاح : يا معشرَ قريشٍ ، ألا إنِّي قد
أسلّمتُ ، فأسلموا ، فإن مُحَمَّداً قد أتاكم بما لا قبيلَ
لكم به . فأخذت هند رأسه وقالت : بنسَ طليعة القوم .
والله ما خدّشتَ خدّشاً . يا أهلَ مكة . عليكم
الحمييت (١) الدسم فاقتلوه .
وقالت هندُ : إنَّما النساءُ أغلالٌ ، فليخترِ الرجلُ
غلاًّ لبيدهِ .

وذكرت هندُ بنتُ المهلبِ النساءَ فقالت : ما زُينَ
بشيءٍ كأدبِ بارعٍ تحته لبُّ ظاهرٌ .
وقالت أيضاً : إذا رأيتَ النعمَ مستدرّةً فبادروا
بالشُكرِ قبلَ حلولِ الزّوالِ .

(١) الحميت : الزق . شبهته به إعظاماً لما قال .

قدمت ليلى الأختيائيةُ على الحجاجِ ومدحتهُ . فقال :
يا غلامُ ؛ أعطِها خمسمئةَ ، فقالت : أيها الأمير ،
اجعلها أدمًا (١) . فقال قائلٌ : إنما أمرَ لكِ بِبِشَاءٍ
قالت : الأميرُ أكرمٌ من ذلك . فجمعَها إِبلاً إناثاً ،
استحياءً . وإنما كان أمرَ لها بِبِشَاءٍ أولاً .

كانت أمّنةُ بنتُ سعيدِ بنِ العاصِ عند الوليدِ بنِ
عبدِ الملكِ ، فلما مات عبد الملكُ سعتُ بها إحدى
صراحتها إلى الوليدِ . وقالت : لمُ تبيكِ على عبد الملكِ
كما بكتَ نظائرها . فقال لها الوليدُ في ذلك : فقالت :
صَدَقَ القائلُ لكِ . أكنتُ قائِمةً : يا ليتهُ بقيَ حتّى
يقتلَ أخا لي آخرَ كعمرو بنِ سعيدِ .

كانت ابنةُ هانيءِ بنِ قسيصةَ عند لقيطِ بنِ زُرارةَ ،
فقتلَ عنها وتزوَّجها رجلٌ من أهلها ، فكان لا يزال
سراها تذكرُ لقيطاً . فقال لها ذاتَ مرّةٍ : ما استحسنيتِ
من لقيطٍ ؟ فقالت : كلُّ أموره كانتُ حسنةً . ولكنني
أحدتُك إنّه خرجَ مرّةً إلى الصيِّدِ وقد انتشى ، فرجعَ

(١) الأدم . البض من الجمال ، وهي بما تمدح .

إليّ وبفميصه نَضَحُ من دَمِ صَيْدِهِ وَالْمِسْكُ يَضُوعُ
من أعطافه ، ورائحةُ الشَّرَابِ من فيه . فضمني ضُمَّةً
وشمّني شُمَّةً ، فليتني كنتُ مِتُّ ثَمَّةً . قال : ففعل
زوجها مثل ذلك تم ضمّتها إليه وقال : أين أنا من لَقِيْطٍ ؟
فقال : ماءٌ ولا كَصَدَاءٍ ، ومرعى ولا كالسعدانِ .

قالوا : كان ذو الإصبع العدواني(١) غَيُوراً ،
وكان له بناتٌ أربعٌ لا يزوّجهنَّ غَيْرَةً ، فاستمع عليهنَّ
مرّةً وقد خَلَوْنَ يتحدثنَ . فذكرنَ الأزواجَ حتّى
قالت ، الصُّغرى منهنَّ : زَوْجٌ من عُوْدٍ خَيْرٌ من قُعود .
فخُطِبَ فزوّجهنَّ .

ثمَّ أمهلهنَّ حَوَلاً ، ثم زارَ الكهبرى فقال لها : كيف
رأيتِ زوجك؟ قالت : خَيْرُ زَوْجٍ يُكْرَمُ أهْلَهُ ، وَيَسْتَسِي
فَضْلَهُ . قال : حَظِيَّتْ وَرَضِيَّتْ . فَمَا مَالُكُمْ ؟ قالت : خَيْرُ
مَالٍ . قال : وما هو ؟ قالت : الإِبْلُ ، نَأْكُلُ لِحْمَانَهَا
مِرْزَعاً ، ونشربُ ألبانها جِرْعَةً ، وتحملنا وضعفتنا معاً .
فقال : زوج كريمٌ ومال عَمِيمٌ .

(١) ذو الإصبع العدواني . سحرثان بن عمرو ، شاعر فارس بن
شعراء الجاهلية .

ثم زار الثانية فقال : كيف رأيت زوجك ؟ قالت :
يكرمُ الحليمةَ ويقرب الوسيلة (١) ، قال : فما مالكم ؟
قالت : البقرُ قال : وما هي ؟ قالت : تألفُ الصيانة ،
وتملأُ الإناء ، وتودك السفاء (٢) ، ونساءً مع نساء . قال :
رضيتِ وحظيتِ .

ثم زار الثالثة فقال : كيف رأيت زوجك ؟ فقالت :
لا سمحَ بَدْرٌ ، ولا بخيلٌ حَكيرٌ (٣) . قال : فما لكم ؟
قالت : المعزى . قال : وما هي ؟ قالت : لو كنا
نولدها فطماً ، ونسلخها أدماً . لم نبيعِ بها نَعماً .
فقال : جنوةٌ مُخنية (٤) .

ثم زار الرابعة فقال : كيف رأيت زوجك ؟
فقالت : شرُّ زوجٍ ، يُكريمُ نفسه ، ويُهين عيرتهُ .
قال : فما مالكم ؟ قالت : شرُّ مالٍ ، الضانُّ . قال :
وما هي ؟ قالت : جوفٌ يشبعن ، وهيمٌ لا ينقعن ،

(١) الوسيلة . الحاحه .

(٢) تودك : من الودك ، وهو الدم .

(٣) الحكر : السوء العشرة .

(٤) جنوة : مطعة .

وَصُمُّ لَا يَسْمَعَنَّ ، وَأَمْرٌ مَغْوِيٌّ يَتَّهِنُ يَتَّسَعَنَّ (١) . فقَالَ :
أَتَسْتَسْهَ امْرَأَةً بَعْضُ بَزْدٍ (٢) ، فَارْسَاهَا مِثْلًا

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قِيلَ لَامْرَأَةٍ : عِلَامٌ تَمْنَعِينَ زَوْجَكَ
الْقِيْضَةَ (٣) ؟ فَإِنَّهُ بَعَثَلُ بِيكَ . فقَالَتْ : كَذَبَ وَاللَّهِ ،
لِنِي لِأُطَاطِيءِ الْوَيْسَادِ وَأُرْخِي اللَّيْبَادِ (٤) .

قَالَ بَعْضُهُمْ : سَمِعْتَ أَعْرَابِيَةً بِالْحِجَازِ تَرْقِي رِجْلًا
مِنَ الْعَيْنِ فقَالَتْ :

أَعْيَانُكَ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ ، الَّتِي لَا تَجُورُ عَلَيْهَا
هَامَةٌ (٥) ، مِنْ شَرِّ الْجِنَّ وَشَرِّ الْإِنْسِ عَامَةً ، وَشَرِّ
النَّظَرَةِ وَاللَّامَةِ (٦) . أَعْيَانُكَ بِمَطْلَعِ الشَّمْسِ ، مِنْ
شَرِّ ذِي مَسْئِي هَمَسَ ، وَشَرِّ ذِي نَظَرٍ خَسَّسَ ،

(١) أَي لِنَ الشَّاةِ الْوَاحِدَةِ فَدَ تَمَعُ فَيَمَعُ وَرَاهَا بَاقِي الْقَطِيعِ .

(٢) الْبَزْدُ : الثِّيَابُ .

(٣) الْقِيْضَةُ : إِدْرَاعُ الْعِذْرَاءِ

(٤) نَوْعٌ مِنَ الثَّبَاءِ ؛ أَوْ هُوَ اللَّوْدُ الَّتِي تَمْرُسُ كَالْبَسَاطِ .

(٥) الْهَامَةُ : الْوَاحِدَةُ مِنَ خَشَائِشِ الْأَرْضِ نَحْوِ الْعَقْرَبِ

(٦) الْلَامَةُ . الْعَيْنُ تَصِيبُ بِالسَّوَاءِ

وشرُّ ذي قولٍ دسّ ، من شرِّ الحاسدينَ والحاسداتِ ،
والنّافسينَ والنّافساتِ ، والكائدينَ والكائداتِ .

نَشَرْتُ عَنْكَ بِنُشْرَةِ نَشَّارِ (١) ، عن رأسِكَ ذي
الأشعار ، وعن عَيْنَيْكَ ذَوَاتِي الأشفار ، وعن فيكَ
ذِي المَحَارِ (٢) ، وظَهْرِكَ ذِي الفقار ، وبَطْنِكَ ذِي
الأسرار ، وفَرْجِكَ ذِي الأستار ، ويديكَ ذَوَاتِي
الأظفار ، ورجليكَ ذَوَاتِي الآثار ، وذيلِكَ ذِي العُبار ،
وعنكَ فضلاً وذا إزار ، وعن بيتِكَ فُرْجاً وذا أستار .
رَشَشْتُ بماءٍ بارِدٍ ناراً ، وعينينَ وأشفاراً ، وكان
اللهُ لكَ جاراً .

ذُكِرَ أَنَّ الجُمَانَةَ بنتَ المهاجرِ بنِ خالدِ بنِ الوليدِ
نظرت إلى عبدِ اللهِ بنِ الزُّبيرِ وهو يَرَقِي المنبرَ ،
يُخَطِّبُ بالنّاسِ في يومِ جُمُعَةٍ فقالت حينَ رأته رَقِيَ المنبرَ :
أيا نَشَّارُ انْقُر . أما واللهِ لو كانَ فوقهَ نجيبٌ من
بني أُميَّةَ ، أو صَقْرٌ من بني مَحْزُومٍ لقال المنبرُ :

(١) النشرة : الرقية ، ونشر عنه : رقاها .

(٢) المحار : إما بمعنى الصدف تشبيهاً للأسنان به وإما بمعنى باطن الخنك

طَبِيقٌ طَبِيقٌ . قَالَ : فَأَنْسَمِيَّ كَلَامُهَا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الزَّبِيرِ ، فَبِعَثَ إِلَيْهَا فَأَتَى بِهَا فَقَالَ لَهَا : مَا اللَّيْثِيُّ بِلِغْنِي
عِنَّا يَا لِكَتَّاعٍ ؟ قَالَتْ : الْحَقُّ أَبْلَغَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : لَا تَعْدُمُ الْحَسَنَاءُ
ذَامًا (١) . وَالسَّأخَطُ لَيْسَ بِرَاضٍ . وَمَعَ ذَلِكَ فَمَا عَدَوْتُ
فِيمَا قُلْتُ لَكَ أَنْ نَسْبِتُكَ إِلَى التَّوَاضِعِ وَالذُّيْنِ ،
وَعَدَوْتُكَ إِلَى الْحَيْلَاءِ وَالطَّمَعِ . وَلَمَّا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ
لِتَحْمَدَنَّ عَاقِبَةَ شَانِكَ ، وَلَيْسَ مَنْ قَالَ فَكَلَذِبَ كَمَنْ
حَدَّثَ وَصَدَّقَ . وَأَنْتَ بَالْتَسَّاجُوزِ جَدِيرٌ ، وَنَحْنُ لِلْعَفْوِ
أَهْلٌ ، فَاسْتُرْ عَلَيَّ الْحُرْمَةَ ، تَسْتَتِمُ النَّعْمَةَ ، فَوَاللَّهِ
مَا يَرْفَعُكَ الْقَوْلُ وَلَا يَضَعُكَ . وَإِنَّ قَرِيشًا لَتَعْلَمُ
إِنَّكَ عَابِدُهَا وَشَجَاعُهَا ، وَسَنَانُهَا وَلِسَانُهَا ، حَاطَ
اللَّهُ لَكَ دُنْيَاكَ ، وَعَصَصْتُمْ أَخْرَاكَ ، وَاللَّهِمَّ كَشَكَرَ
مَا أَوْلَاكَ .

ذَكَرَ الْأَصْمَعِيُّ عَنْ أَبِي بَانَ بْنِ تَغْلِبِ (٢) قَالَ : خَرَجْتُ
فِي طَلَبِ الْكَلْبِ ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى مَاءٍ مِنْ مِيَاهِ كَلْبٍ ؛

(١) الذَّامُ : الْعَيْبُ ، وَالْقَوْلُ مِنَ الْأَمْثَالِ .

(٢) أَبِي بَانَ بْنِ تَغْلِبِ ، فِيهِ مَعْرُوفٌ وَقَارِيءٌ مَشْهُورٌ .

وإذا أعرابيُّ على ذلك الماءِ ومعه كتابٌ منشورٌ يقرؤه
عليهم ، وجعل يتوعدهم . فقالت له أمُّه وهي في خباثيها .
وكانت مُتَعَدَّةً كِبَرًا : ويلك ! دعي من أساطيرك .
لا تحمِلِ عُقُوبَتَكَ على من لم يُحمِلْ عليك ، ولا تتناولُ
على من لا يتناولُ عليك . فإنك لا تدري ما يُقَرِّبك إليه
حوادثُ الدهور ، ولعلَّ من صَيَّرَكَ إلى هذا اليوم أن
يُصَيِّرَ غيرَكَ إلى مثله غدًا ، فينتقم منك أكثرَ ممَّا
انتقمتَ منه ، فاكفُفْ عَمَّا أسمع منك ألمَ تسمع إلى
قول الأوَّل (١) .

لا تَحْقِرَنَّ الْفَقِيرَ عَسَّكَ أَنْ
تَرَكَعَ يَوْمًا وَالِدَهُرُ قَدْ رَفَعَهُ

قال مهدي بن أبان : قلت لولادة العبدية - وكانت
من أعقل النساء - إنى أريد الحجَّ فأوصيني . قالت :
أوجِزْ فأبْلِغْ ، أم أطيلُ فأحْكِمْ . فقلت : ما شئت .
قالت : جُدْ تَسُدْ . واصبرْ تَفز . قلت : أيضا قالت :
لا يتعدَّ غضبُك حِلْمَكَ ، ولا هواك عِلْمَكَ ، وق

(١) هو الأضبط بن قريع . شاعر جاهلي .

دينك بدنياك ، وفير عيرضك بعرضك ، وفضل
تخدم ، واحلم تقدم .

قلت : فمن أستعين ؟ قالت : الله . قلت : من
الناس ؟ قالت : الجسد الشيط ، والتأصح الامين .

قلت : فمن أستشير ؟ قالت : المجرب الكيس ،
أو الأديب الصغير .

قلت : فمن أستصحب ؟ قالت : الصديق المسلم ،
أو المداجي المتكرم . ثم قالت : يا أبتاه ؛ إنك تفيد
إلى ملك الملوك ، فانظر كيف يكون مقامك بين يديه .

روي أن رسول الله صلى الله عليه خرج ليلة هاجر
من مكة إلى المدينة وأبو بكر رحمه الله وعامر بن
فهييرة (١) ودلياهما اللبني عبد الله بن أريقط .
فدروا على خيمة أم مسعب الخزاعية (٢) - وكانت
امرأة برزة جادة نحتت بي بفناء الكعبة ، ثم تسقى

(١) عامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، من السابقين إلى الإسلام ، شهد
درا وأحدا ، وقتل يوم بدر معونة .

(٢) اسمها عاتكة ، وهي أخت حبيش بن خالد .

وتُطعمم — فسألوا لها لحمًا وتمرًا ليشتروه منها ، فلم يصيبوا
عندها شيئاً من ذلك ، وكان القوم مُرمِلين مُسِنَّين (١) ،
فنظر رسول الله صلّى الله عليه إلى شاةٍ في كِسْرِ الخَيْمَةِ .
فقال : ما هذه الشاةُ يا أمّ معبد ؟ قالت : شاةٌ نخلتُها
الجَهْدُ عن الغنم . قال : هل بها من لبن ؟ قالت : هي
أجهدُ من ذلك . قال : أتأذنين لي أن أحلبها . قالت :
بأبي وأمي أنت . نعم ، إن رأيت بها حلباً فاحلبها . فدعا
رسول الله صلّى الله عليه بالشاةِ فمسح ضرعها ، وسهّى
الله ودعا لها في شاتها ، فتفاجت (٢) عاياه ودرت
وأخترت (٣) ، ودعا بإزاء يربض الرهط (٤) فحلب
فيه ثجاً (٥) حتّى غلبه الشمال (٦) . ثم سقاها حتّى
رويت ، وسقى أصحابه حتّى رويوا ، ثم شرب آخرهم

-
- (١) أصابتهم السنة أي الفقر .
 - (٢) تفاجت : بالغت في تفريج رجليها .
 - (٣) اخترت : أكثرت .
 - (٤) يربض الرهط : يروهم ويشبههم .
 - (٥) ثجا : لبنا سائلا كثيراً .
 - (٦) الشمال : جمع شمالة وهي الرغوة .

وقال : سَأَتِي الْقَوْمُ آخِرُهُمْ شُرْبًا . فشرَبوا جميعاً عِللاً
بعَدْنَهَل ، ثم أَرْضُوا (١) ، ثم حَلَب فيه ثانياً عَوْدًا على
بَدءٍ حَتَّى مَلَأَ الْإِنَاء ، ثم غادره عندها وباعها وارتحلوا
عنها .

كانت حميدةُ بنتُ النعمانِ (٢) بنِ بَشِيرِ بنِ سَعْدِ
تحتَ رَوْحِ بنِ زِنْبَاعِ (٣) فنظر إليها يوما تنظرُ إلى قومه
جُدَامَ وقد اجتمعوا عنده فلامها . فقالت : وهل أرى
إلا جُدَامًا ؟ فوالله ما أحبُّ الحلالَ منهم فكيِّفَ الحرام .

قالت الجُمَانَةُ بنتُ قَيْسِ بنِ زُهَيْرِ العَبَسِيِّ لِأَبِيهَا
لَمَّا تَرَقَّ ما بينه (٤) وبين الربيعِ بنِ زيادِ (٥) في الدَّرْعِ :
دعني أناظرُ جدي ، فإن صلح الأمر بينكما ، وإلا كنتُ
من وراء رأيك . فأذن لها ، فأتت الربيعَ فقالت : إن كان

(١) أراضه : صب اللبن على اللبن وروي .

(٢) شاعرة مجيدة ، كانت تهجو زوجها روح بن زنباع .

(٣) روح بن زنباع أمير فلسطين ، كان ذا رأي مقدما عند

الخلفاء توفي سنة ٥٨٤ .

(٤) شرق : اختلط واضطرب .

(٥) الربيع بن زياد العبسي أحد شجعان العرب .

قَيْسٌ "أَبِي فَإِنَّكَ يَا رَبِيعُ جَدِّي ، وما يجبُ له من حقِّ
الأبوةِ عليَّ إلا كالذي يجبُ عليكَ من حقِّ النبوةِ لي .
والرأيُ الصحيحُ تبعثُهُ العنايةُ ، وتُجَلِّي عن مَحْضِهِ
النصيحةُ . إِنَّكَ قد ظلمتَ قيساً بأخذِ درْعِهِ ، وأجد
مكفأتهِ إيساكَ سوءَ غرمه ، والمُعَارِضُ مُنْتَصِرٌ ،
والبادي أظلم ، وليس قيسٌ ممَّنْ يخوفُ بالوعيدِ ولا
يردَعُهُ التهديدُ ، فلا تركننَّ إلى مُتَّابِلَتِهِ ، فالخزمُ في
مُتَّارِكَتِهِ ، والحربُ مُتَّالِفَةٌ للعباد ، ذَهَابَةٌ بالطَّارِفِ
والتلاد ، والسَّامُ أرخى للمال . وأبقى لأَنْفُسِ
الرَّجَالِ . وبحقِّ أقول ، لقد صدَّعتُ بِجُكُمِ ، وما يدفعُ
قولي إلا غيرُ ذي فهم .

دخل عبد الله بن الزبير على أهله أسماء بنت أبي بكر
في اليوم الذي قُتل فيه ، فقال : يا أمة ؛ خذلني الناسُ
حتى أهلي وولدي ولم يبقَ معي إلا اليسيرُ ومن لا دَفْعَ
عنده أكثرَ من صبرِ ساعةٍ من النهار . وقد أعطاني القومُ
ما أردتُ من الدنيا فما رأيتُك ؛ قالت : إن كنتَ علي
حقٌّ تدعو إليه فامضِ عليه ، فقد قُتل عليه أصحابُك ،
ولا تُسَمِّكُنَّ من رقبتيك غلمانَ بني أميةٍ فيساعَعبوا بك .

وإن قلت : إني كنتُ على محقٍّ فليمتَّ وهن أصحابي
صعفتُ نيتي فليسَ هذا فعلَ الأحرارِ ، ولا فعلَ
من فيه خير ، كم نخلودك في الدنيا ؟ القتلُ أحسنُ ما تقعُ
به يا بنَ الزبير . والله لضربةٌ بالسيفِ في عزِّ أحبُّ إليَّ من
ضربةٍ بسوطٍ في ذلِّ .

قال لها : هذا والله رأيي ، والذي قمتُ به داعياً إلى
الله . والله ما دعاني إلى الخروجِ إلاَّ الغضبُ لله عز وجل
أن تهتكتِ محارمه . ولكنني أحببتُ أن أطلعَ رأيك
فيزيدني قوةً وبصيرةً مع قوتي وبصيرتي . والله ما
تعمدتُ إتيانَ منكرٍ ولا عملاً بفاحشة ، ولم أجزُ
في حكمٍ ، ولم أغدرَ في أمان ، ولم يبلغني عن عمالي
فرضيتُ به . بل أنكرتُ ذلك ولم يكن شيء عندني آثر
من رضا ربِّي .

اللهم إني لا أقول ذلك تزكيةً لنفسي ، ولكن أقوله
تعزيةً لأنمي لتسلو عني . قالت له : والله إني لأرجو أن
يكون عزائي فيك حسناً بعد أن تقدمتني أو تقدمتكَ ،
فإن في نفسي منك حرجاً حتى أنظرَ إلى ما يصيرُ أمرك .

ثم قالت : اللهم ارحم طولَ ذلكَ التحيبِ والظمأ
 في هواجرِ المدينةِ ومكّةِ وبرّةِ بأُمَّه . اللهم إني قد سلّمتُ
 فيه لأمرِك ، ورضيتُ فيه بقضائِك ، فأثبيني في عبدِ الله
 ثوابَ الشاكرين . فودّعها وقال : يا أُمَّه لا تدعي الدعاءَ
 لي قبلَ قتلي ولا بعده . قالت : ان أدعك لك . فمن قُتِلَ
 على باطلٍ فقد قُتِلَ على حقٍ . فخرج وهو يقول :
 فُلستُ بسببِ تَساعِ الحِياةِ سببَةَ
 ولا مُرتقٍ من نخشِيةِ الموتِ سلّماً (١)
 وقال لأصحابه : احمسوا على برّكّةِ الله . وحارب
 حتّى قُتِلَ .

وروي أنه دخل على أمِّ أسماء وهي عليقة ، فقال :
 يا أُمَّه . إنني الموت لراحة . فقالت : يا بني ؛ اعدك
 تستمسي موتي فوالله ما أحبُّ أن أموتَ حتّى تأتيَ على أحدٍ
 سرفتيك ، فإما أن تظفرَ بعدوك فتقرّ عيني وإما أن تُقتلَ
 فأحتسبك . قال : فالتفت إلى أخيه عروة (٢) وضحك .

(١) السبت للحصين بن الحمام المري .

(٢) عروة بن الزبير ، المدني الفقيه ، جمع العلم
 والسيادة وكان بصوم الدهر ، ولد سنة ٢٩ هـ وتوفي
 سنة : ٩٤ هـ .

فلما كان في الليلة التي قُتِلَ في صبيحتها دخل في
السحرِ عليها فشاورها ، فقالت : يا بُنيَّ لا تجيبنَّ لي
نخْطَةً نخافُ على نفسك القتلَ . قال : إنَّما أخافُ
أن يُسْأَلُوا بي . قالت : يا بُنيَّ ؛ زِنِ الشاةَ لا تألَمِ
السَّخَّعَ بعد الدَّبْحِ .

حجَّتْ أمُّ حَسِيْبِ بنتُ عبدِ الله بنِ الأَهِمِّمِ فبعث
إليها الحسنُ بنُ علي بنِ أبي طالبٍ عليهما السلام فخطبها ،
فقالت : إنِّي لم آتِ هذا البلدَ للتزويجِ ، وإنما جئتُ لزيارة
هذا البيتِ فإذا قدمتُ بالدي وكانتُ لك حاجةً فشاءَ ذلكُ .
قال : فازدادَ فيها رَغْبَةً ، فلما صارتُ إلى البصرة أُرسل
إليها فخطبها ، فقال إخوانها : إنَّها امرأةٌ لا بُفَسَّتْ
على مثلها برأي ، وأتوها فأخبروها الخبرَ ، فقالت : إنَّ
تَزَوَّجَنِي على حُكْمِي أجنتُهُ . فأدوا ذلكَ إليه فقال :
امرأةٌ من تميم ، أتزوجها على حُكْمِهَا . ثم قال : وما
عسى أن يبلغَ حُكْمُهَا لها ؟ قال : فأعطاها ذلكَ . فقالت :
قد حَكَمْتُ بصدَّقِ أزواجِ النبي صلي اللهُ عليه وبناته ؛
إنِّي عَشَرَ أوقيةً . فتزوجها على ذلكَ ، وأهدى لها مائة
ألفِ درهمٍ . فمَجَّاتُ إليه فبَسَنِي بها في ليلةٍ قانِظةٍ على سطحِ

لا حظّارَ (١) عليه ، فلمّا غلبته عينه أخذتُ نخمارها
فشدّته في رجله ، وشدّت الطرفَ الآخرَ في رجلها .

فلما انتبه من نومه رأى الخمار في رجله . فقال :
ما هذا ؟ قالت : أنا على سطح ليسَ عليه حظّار ، ومعى
في الدار ضرائرُ ، ولم آمنْ عليك وسنّ النوم ، ففعلتُ
هذا حتى إذا تحركت تحركتُ معك . قال : فازداد فيها
رغبة ، وبها عجباً . ثم لم يلبث أن مات عنها فكلموها في
الصلح عن ميراثه . فقالت : ما كنتُ لأخذ له ميراثاً أبداً ،
وخرجت إلى البصرة ، فبعثَ إليها نَقْرٌ يخطبونها منهم
يزيدُ بن معاوية وعبدُ الله بن الزبير وسعيدُ بن العاص (٢)
وعبد الله بن عامر (٣) فذاتها إخوتها فقالوا لها : هذا ابنُ
أمير المؤمنين ، وهذا ابن عمّة رسول الله صلى الله عليه ،
وهذا ابنُ حواريّه ، وهذا ابنُ عامرٍ أميرُ البصرة .

(١) الحظّار بفتح الحاء وكسر ها : بناء يمنع السقوط من السطح .

(٢) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص الأموي ، قائد وأمير شجاع

افتتح طبرستان ، توفي سنة ٥٥٩ هـ .

(٣) عبد الله بن عامر الأموي أمير قائد ولاء عثمان على العراق وافتتح

خراسان وأطراف فارس وتوفي سنة ٥٥٩ هـ .

اختراري من شئت منهم . قال : فردتهم جميعا . وقالت :
يا كنت لأتخذن حتماً بعد ابن رسول الله صلى الله عليه .

وقال المدائني : أتتني عبيد الله بن زياد (١) بامرأة
من الخوارج ، فقطع رجلها وقال لها : كيف ترين ؟
فقلت : إن في الفكر في هول المطلق لشغلا عن
حد يدتكم هذه . ثم قطع رجلها الاخرى وجدتها ،
فوضعت يدها على فرجها . فقال : إنك لتسترينه .
فقلت : لكن سميته أمك (٢) لم تكن تستره .

قال المهدي للخيزران أم موسى وهارون ابنيه :
إن موسى ابنك يتيه أن يسألني حوائجه . قالت : يا أمير
المؤمنين ، ألم تك أنت في حياة المنصور لا يتبدئ به بحوائجك
وتحب أن يتبدئك هو ؟ فموسى ابنك كذلك يحب
منك . قال : لا ، ولكن التيه يمنع . قالت : يا أمير
المؤمنين ، فمن أين أتاه التيه ؟ أمن قبلي أم قبلك ؟

(١) عبيد الله بن زياد ، الذي أرسل الجيش للمحسين لفتله ، ولي العراق
بعد أبيه ، قتل المختار الثقفي سنة ٦٧ هـ .
(٢) تريد : أم أجه زياداً .

روي عن بعضهم أنه قال : بينا أنا ذات يوم بالبادية ،
فخرجت في بعض الليالي في الظلم ، فإذا أنا بجارية
كأنّ لها عظم ، فأردتها على نفسها فقالت : ويحك !
أمالك زاجرٌ من عقلٍ إذ لم يكن لك ناهٍ من دينٍ ؟
قالت لها : والله ما يراننا شيءٌ إلا الكواكب . قالت :
ويحك . وأين مكوكبها ؟ !

قال الحافظ : لما مات رقبّة بن مصقلة (١) أوصى
إلى رجلٍ ودفع إليه شيئاً . فقال : ادفعه إلى أختي .
فسأل الرجلُ عنها فخرجت إليه فقال لها : أحضريني
شاهدين يشهدان أنك أخته . فأرسلت جاريتها إلى الإمام
والمؤذن ليشهدا لها . واستندت إلى الحائط . فقالت :
الحمد لله الذي أبرزَ وجهي ، وأنطقَ عني ، وشهَرَ
بالفاقة اسمي . فقال الرجلُ : شهدت أنك أخته حقاً .
ودفع الدنانيرَ إليها ، ولم يحسبْ إلى شهادة من يشهد لها .
خطب سعيد بن العاص عائشة بنت عثمان . فقالت :
لا أتزوجُ به والله أبداً ، فقيلَ لها : ولم ذلك ؟ قالت :

(١) رقبّة بن مصقلة العبدي الكوفي ، من سادات العرب ، كان ثقة

منوها ، توفي بعد سنة ٥١٤٠ .

لأنه أحرق ، له بيرذونانِ أشهبان ، فهو يتحملُ مؤونة
اثنينِ واللونُ واحد .

ذكر رجلٌ من قريشٍ سوءَ خلقِ امرأته بين يدي
جاريةٍ له كانَ يَتَحَضَّطُهَا فقالت له : إنَّما حُظوظُ
الإماءِ لسوءِ خلَاقِ الحِرائِرِ .

اختلف الحجاج وهيند بنتُ أسماء بنِ خارِجةَ
في بناتِ قَيسِ ، فمعت إلى مالك بنِ أسماء (١) فأخرجه
من الحبس ، وسأله عن الحديثِ فحدثه ثمَّ أقبل على هند .
فقال لها : قومي إلى أخيك . فقالت : لأقوم إليه وأنت
ساخطٌ عليه . فأقبل الحجاجُ على مالك فقال : إنك والله -
ما علمتُ - للخائنُ لأمانته ، اللئيمُ حسنته ، الزاني
فرجته . فقالت هند : إن أذن الأميرُ تكلمت فقال :
تكلمي . فقالت : أما قول الأميرِ : الزاني فرجه ،
فوالله لهو أحقرُ عند الله وأصغرُ في عين الأميرِ من أن
يجيبَ لله عليه حدثاً فلا يقيمَه .

(١) مالك بن أسماء بن حارجه الفزاري شاعر من الأشراف ،
توفي سنة ثيف ومائة هجرية .

وأما قول الأمير : اللئيمُ حسبُهُ فواللهِ لو علمَ
مكانَ رجلٍ أشرفَ منه لصاهرَ إليه .

وأما قولُهُ : الخائنُ أمانته . فواللهِ لقد ولاهُ الأميرُ
فوفتر ، فأخذَهُ بما أُخِذَ به فباعَ ماوارَهُ ظَهْرَهُ . ولو
ملكَ الدنيا بأسرها لافتدى بها من مثل هذا الكلام .
أتى البردُ على زرعِ عَجوزٍ بالبادية ، فأخرجت
رأسها من العِباءِ ونظرتُ إلى الزرعِ قد احترق فقالت -
ورفعت رأسها إلى السماء - : اصنعْ ماشئتُ فإنَّ رزقي
عليك .

قيل لرابعة (١) : إنَّ التزوجَ فرضُ الله عز وجل فلم
لاتزوجين ؟ فقالت : فرضُ الله قطعني عن فرضه .
كانت عاتكةُ بنتُ زيد بن عمرو بن نفيل (٢) عند
عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقتلَ عنها ،
فخلفَ عليها عمرُ بن الخطاب فقتلَ عنها ، فخلفَ عليها

(١) رابعة العدوية العابدة الزاهدة ولدت سنة ١١٠ هـ وتوفيت سنة ١٨٠ هـ

(٢) عاتكة بنت زيد القرشية العدوية ، كانت من المهاجرات

للمدينة ، كادت تحصر صلاة الجماعة في المسجد .

الزبيرُ ، فقتلُ ، فخلف عليها محمدُ بن أبي بكر فقتل (١) .
فقال عبد الله بن عمر : من سرّه الشهادة فليتزوج عاتكة .
فباغها ذلك فقالت : من سرّه أن يكون بيضة البلد ، حُبلى
لا تطيرُ ولا تلد ، فليكن كعبد الله . فبلغ ذلك عبد الله بن
جعفر الطيّار (٢) فضحك وقال : ما هو كما قالت إنه
لمصباح بلد ، وابنُ كهفِ الإسلام .

وقد روي عن أمير المؤمنين كرم الله وجهه أنه قال :
من اشتاق إلى الشهادة فليتزوج عاتكة .

قال بعضهم : مررتُ على هند بنت المهلب ، فرأيت
بيدها مغزلاً تغزل به ، فقلت لها : تغزلين ؟ قالت :
نعم سمعتُ أبي يذكره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « أعظمُ كُنَّ أجراً أطولُ كُنَّ طاقة ، وهو يطرد
الشیطان وينهب بحديث النفس » .

(١) هو : ابن أبي بكر الصديق ، ولي مصر من قبل علي ، أرسل
إليه معاوية حسناً فهزم ، وقتل سنة ٥٣٨ هـ .
(٢) أحد أجداد العرب ، ولد بالحينة ، وهو آخر من رأى الرسول
من بني هاشم . توفي سنة ٥٨٠ هـ .

وروي عن عائشة أنها قالت : الميغزلُ في يد المرأة
مثلُ الرُمحِ في يد الغازي .

قيل للخنساء : لم يكن صخرٌ كما وصفتِ . قالت :
وكيف ذلك ؟ فوالله لقد كان نديَّ الكتفَيْن ، يابسَ
الجنين ، يأكلُ ما وجده ، ولا يسأل عما عهده .

قيل لحبشي (١) المدينة : ما السقم الذي لا يبرأ ، والجرح
الذي لا يندمل ؟ قالت : حاجةُ الكريم إلى اللئيم لا يُجدي
عليه . قيل : فما الشرف ؟ قالت : اعتقادُ المِنَنِ في
أعناق الكرام ، يبقى للأعقاب على الأحقاب .

ذَكَرَ نِسْوَةٌ أزواجهنَّ فقالت إحداهن : زوجي
عَوْنِي فِي الشَّدَائِدِ ، وَالْعَائِدِ دُونَ كَلِّ عَائِدٍ ، إِنْ
غَضِبْتُ عَطْفٌ ، وَإِنْ مَرَضْتُ لَطْفٌ .

وقالت الأخرى : زوجي لما عَنَانِي كَافٍ ، وَلَمَّا
أَسْقَمَنِي شَافٍ ، عَنَانُهُ كَالْعَلْدِ ، وَلَا يَمَلُّ طَوْلَ الْعَهْدِ .

(١) حبشي المدينة امرأة كانت مزواجا على كبر سنها .

وقالت الأخرى زوجي الشعارُ (١) حين أُجردُ ،
والأنسُ حين أُفردُ ، والسكّنُ حين أرفدُ .

قال بعضهم : رأيتُ بالمدينة امرأةً بين عينيها
سجّادةٌ ، وعليها ثيابٌ معصّفةٌ ، فقلت لها : ما أبعد
زيّك من سمّتكِ ! فقالت :

وللهِ منّي جانبٌ لا أضيّعهُ
وللهو منّي جانبٌ ونصيبُ

قال الزبير بن بكار (٢) : قالت بنتُ أخي لزوجي :
خالي خيرٌ رجلٌ لأهله ، لا يتخذُ ضرةً ولا يشتري
جارية . فقالت المرأة : واللهِ لهذه الكُتُبُ أشدُّ عليّ من
ثلاثِ ضرائرٍ .

حجّتُ فاطمةُ بنتُ الحرّشَب الأمازيغيّة أمّ الكَمَلَة ؛
الربيعِ وعمارةَ وقيسَ وأنسَ ، وكانت حجّتها هذه في
الجاهلية ، فقال لها رجلٌ من أهل مكّة : من أشرفُ

(١) الشعار : الثوب الذي يلبس على الجسد ويلى الشعر فيه .

(٢) الزبير بن بكار الزبيري ، قاضي مكة ، إخباري مؤلف ،

توفي سنة ٢٥٦ هـ .

ولذلك ؟ قالت : الربيع . لا بل عمارة . لا بل قيس .
لا بل أنس . شكياتهم إن كنت أدري أيهم أسود .

وكان يقال للربيع الكامل ، ولأنس الطويل ، ولقيس
الوقاعة ، ولعمارة دالِق وإنما قيل له ذلك أنه كان
يبدُلُ الحَيْلُ في كل وجه .

خرج محمد بن واسع (١) في يوم عيد ومعه رابعة :
فقال لها : كيف ترين هذه الهيئة ؟ فقالت : ما أقولُ
لكم ؟ خرجتُم لإحياء سنَّة وإماتة بدعة ، فأراكم قد
تباهيتُم بالنعمة ، وأدخلتُم على الفقير مضرَّة .

قالت امرأة من بني تغلب للجحاف بن حكيم (٢)
في وقعة البشر التي يقول فيها الأخطل .:

لقد أوقع الجحاف بالبشرِ وقعةً
إلى اللهِ فيها المشتكى والمعولُ
فصنَّ اللهُ عمادك ، وأكسبى زنادك ، وأطالَ

(١) محمد بن واسع الأزدي من الورعين العبَّاد . توفي سنة ٨١٢٣ .
(٢) الجحاف بن حكيم بن عاصم السلمي ، عاش في أيام عبد الملك بن
مروان ، وله حروب مع بني تغلب .

سُهَادَكَ ، وَأَقْسَلَ زَادَكَ ، فَوَاللَّهِ إِنَّ قَتْلَكَ
إِلَى نِسَاءِ أَسَافِلِهِنَّ دُمِّي وَأَعَالِيهِنَّ تُدِيُّ — وَكَانَ قَدْ
قَتَلَ النِّسَاءَ وَالذُّرِّيَّةَ — فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ : لَوْلَا أَنْ تَلَدَ
مِثْلَهَا لَأَسْتَبْقَيْتُهَا وَأَمَرَ بِقَتْلِهَا . فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ
فَقَالَ : إِنَّمَا الْجَحَافُ جَدْوَةٌ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ .

قال أبو عمرو بن العلاء (١) : خرجت ذات ليلة أطوف ،
فإذا أنا بامرأة قد فضح وجهها ضوء القمر متعلقة وهي
تقول : إلهي ؛ أما وجدت شيئاً تُعذِّبُ به إلا النار .
ثم ذهبت ، فتمت ثم عدت فوجدتها وديدها أن تقول
ذلك . قلت : لو عذِّبَ بما سوى النار ، فكان ماذا ؟
قالت : يا عمته ؛ أمّا والله لو عذِّبَ بغير النار
أقمضينا أوطاراً .

قال بعضهم : كنت عند فاطمة بنت المهلب أعرض
عابها طيباً فقممت وتركت المتاع بين يديها ، فلما جئت
قالت : يئس ما صنعت ، لا تأمن امرأة قط على رجل
ولا على طيب .

* * *

(١) قيل : اسمه كنيته ، وقيل : اسمه زيان بن جبر ، عالم أهل
البصرة ، ومن أوسمهم علما بكلام العرب ، توفي سنة ١٥٤ هـ .

الباب الثالث

الحيل والنخداع

قدّم بعضهم رجلاً إلى القاضي وادّعى عليه مالا فقال : صدّقوا ، أسألهم أن يؤخروني حتى أبيع مالي أو عقاري أو رقيقتي أو أجلي . فقالوا : كذب أيها القاضي . ماله قليل ولا كثير . ولكنه يريد مدافعتنا فقال : أصلحك الله . فقد شهدوا بالعدم . فخلّني سبيله .

قال بعضهم : خرجت ليلة فإذا أنا بالطائف قد أقبل : فلما رأيته من بعيد صحت : المستغاث بالله وبالطائف فقال لي الطائف : مالك ؟ قلت : قوم سكارى في بيتي قد عربدوا ، وسلّوا السكاكين ، وجئت في طلبك لتخاضعتي منهم فقال : امش بين يدي . فمشيت ودخلت البيت ، وأغلقت الباب ، وصعدت السطح ، وتطلّعت عليه وقلت : انصرف مأجوراً فنقدتصالحوا .

سُئِلَ بعضهم عن رجل أرادوا أن يزوجه فقال :
 إِنَّ لَهُ شَرَفًا وَبَيْتًا وَقَدَمًا (١) فَنظَرُوا فَإِذَا هُوَ سَاقِطٌ .
 سَفَلَةٌ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : مَا كَلِمَتٌ . شَرَفُهُ
 أَدْنَاهُ ، وَقَدَمُهُ الَّتِي يَمْشِي عَلَيْهَا ، وَلَا بَدَنٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ
 لَهُ بَيْتٌ يَأْوِي لِإِيهِ .

لَمَّا بَاعَ الرَّشِيدُ وِلْدَانَهُ تَخَلَّفَ رَجُلٌ مَذْكُورٌ مِنْ
 الْفُقَهَاءِ ، فَأَحْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ : لِمَ تَخَلَّفْتَ عَنِ الْبَيْعَةِ ؟
 قَالَ : عَاقِبِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَائِقُ . فَأَمَرَ بِقِرَاءَةِ كِتَابِ
 الْبَيْعَةِ عَلَيْهِ . فَلَمَّا قُرِئَ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ الْبَيْعَةُ
 فِي عِنْتِي إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ . فَلَمْ يَفْهَمِ الرَّشِيدُ مَا أَرَادَ ،
 وَقَدَّرَ أَنَّهُ يُرِيدُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ . وَذَهَبَ مَا كَانَ فِي
 نَفْسِهِ عَلَيْهِ .

فِيلٌ لِبَعْضِ الْفُقَهَاءِ : لَمْ اسْتَجِزْتُكُمْ اسْتِعْمَالَ الْحَيْلِ
 فِي الْفَقْهِ ؟ فَقَالَ : اللَّهُ تَعَالَى عَلَّمَنَا ذَلِكَ فَإِنَّهُ قَالَ :
 « وَخَذْنَا بِيَدِكَ ضِغْثًا فَأَضْرَبَ بِهِ وَلَا تَحْتَسِبْ (٢) » .

(١) التَّمَامُ : السَّابِقُ

(٢) سُورَةُ ص : ٤٤ ، وَفِي التَّفْسِيرِ . أَنَّ سَيِّدَنَا أَيُّوبَ حَلَفَ
 لِيَضْرِبَ امْرَأَتَهُ مِثَّةً سَوْطِ فَقَالَ لَهُ اللَّهُ تَعَالَى : خُذْ حِزْمَةً فِيهَا مِائَةٌ عِودٍ
 فَأَضْرِبْ بِهَا صَرِيحَةً وَاحِدَةً . وَالضُّغْثُ : الشُّمْرَاخُ .

جحد رجلٌ مالَ رجلٍ فاحتكمَ إلى إياس بن معاوية (١) فقال للطَّالِب : أين دفعتَ إليه هذا المال ؟ قال : عند شجرة في مكان كذا . قال : فانطلقْ إلى ذلك الموضوعِ لعَلَّكَ تتذكَّرُ كيفَ كان أمرُ هذا المال ، واعلِّ اللهَ يوضحُ لك سبباً . فمضى الرجلُ وتخصمهُ فقال إياس بعد ساعة : أتري خَصْمَكَ بلغ موضعَ الشجرة . قال : لاَ بَعْدُ . قال : يا عدوَّ الله ، أنتَ خائن . قال : أفلنبي أقالك الله . فاحتفظَ به حتى أقرَّ وردَ المال .

قال معاويةُ لعمرو : أنتَ أدهى أم أنا ؟ قال عمرو : أنا للبديةِ وأنتَ للأناة . قال : كلا . قال عمرو : أدنٍ مني رأسك أسأركَ ، فأدنى رأسه فقال عمرو : هذا من ذلك . هل هنا أحدٌ غيرك .

قال المخيرةُ بنُ شعبةَ : ما خدعني غيرُ غلامٍ من بني الحارثِ بنِ كعب . فإني ذكرتُ امرأةً منهم فقال : أيها الأميرُ لا خَيْرَ لكَ فيها . قلت : ولم ؟ قال : رأيتُ

(١) إياس بن معاوية فاضي البصرة ، يصرّب بدكاته المثل ، توفي

رجلاً يقبلها . فأضربتُ عنها فتزوجها النبي . فأرسلتُ
إليه : ألم تعلمتي كذا وكذا من أمرها . قال : بلى رأيت
أباها يقبلها .

كان لعبد الله بن مطيع غلامٌ مؤنثٌ قد أدبه
وخرجه وصيره قهرمانه ، وكان أتاهم قومٌ من العدو
في ناحية البحر . فرآه يوماً يبكي فقال : مالك ؟ قال :
تمنيتُ أن أكون حراً ، فأخرجُ معَ المسلمين . قال :
وتحب ذلك ؟ قال : نعم . قال : فأنت حرٌّ أوجه الله
فأخرج . قال : فإنه قد بدا لي ألاّ أخرج . قال :
شددعني والله .

كان عُمَرُ بنُ هُبَيْرَةَ (١) أمياً لا يقرأ ولا يكتب .
وكان إذا أتاه كتاب فتحه ونظرَ فيه كأنه يقرؤه فإذا
نهض من مجلسه حُمِلتِ الكتبُ معه . فيدعو جاريةً
كاتبَةً ويدفعُ إليها الكتبَ فتقرؤها عليه ويأمرها فتوقعُ
بما يريد ، ويُخرج الكتاب ، فاسترابَ به بعضُ كُتَّابِهِ
فكتب كتاباً على لسان بعض العمال وطواه مُنكساً أعلاه

(١) أمير العرابين : عزله هشام سنة ٨٩٧ ، وتوفي حوالي سنة ٩١٣ .

إلى أسفله ، فلمّا أخذَهُ ونظرَ فيه ولم ينكرهُ تحقّق
أنه أمّي .

قال بعضُ القُضاة لرجل : كيف أقبلُ شهادتك
وقد سمعتك تقول لمغنيّة : أحسنت ؟ قال : أليس إنّما
قامتُ ذلك بعد سكوتها . فأجاز شهادته .

أبي معنُ بنُ رائدةَ (١) بثلاث مئة أسيرٍ من
حصّرموت فأمرَ بضرب أعناقهم ، فقام منهم غلامٌ حين
سالَ عِذاره فقال : أنشدك الله أن تقتلنا ونحن عِطّاشٌ
فقال : اسقوهم ماء فلمّا شربوا قال : اضربوا أعناقهم .
فقال الغلام : أنشدك الله أن تقتل ضييعاتك . قال :
أحسنت . وأمر باطلاقهم .

كان بالأهواز رجل له زوجةٌ ، وكانت له أرضٌ
بالبصرة ، فكان يُكثّر الانحدارَ إليها فارتابت زوجتهُ
وتتبعت أثره ، فوقفّت على أنّه قد تزوّج بالبصرة
فاحتالت حتّى صار إليها خطٌّ عمّ البصريّة ، وبعثت

(١) أمير قائد شجاع ولي سجستان وقتلته الخوارج سنة ٥١٥ هـ .

به إلى رجل يحكي كلَّ خطِّ رآه ، وأجازته ، حتى كتب كتاباً عن لسان عمِّ البصريَّة إلى روحها بذكر أنَّ المرأة قد ماتت ، ويسأله التعجيلَ إليه لأنخذ ما تركتُ وسمِّى ما لها وجاريتها . ودسَّمت الكتاب مع ملاحٍ قدم من البصرة ، فلمَّا وصل إليه الكتابُ قرأه فلم يشكَّ فيه ، ودخل وقال لامرأته : اعلمي لي سمِّرة . قالت : ولم ؟ قال : أريدُ البصرة . قالت : كم هذه البصرة ؟ ! قد رابني أمرك . لعنَّ لك بها امرأة ، فأنكر ، فقالت : احلف . فحلف أن كلَّ امرأة له غيرَها طالق ، سكوناً إلى أن تلكَ قد ماتت ، وما يضرُّه ذلك . فلمَّا حلف قالت : دَعِ السمِّرة . قد أغناك الله عن البصرة . قال : وما ذاك ؟ قالت : قد طلَّقت الماسقة . وحدثته بالقصة فندم .

قال الأعمش (١) : أخبرني تميمُ بنُ سلمة أن رجلاً شهد عند شريِّح (٢) وعليه جبةٌ ضيقةٌ الكُميين .

(١) سليمان بن مهران الأعمش ، محدث الكوفة وعالمها ، كان له دعابة ، توفي سنة ١٤٨ هـ .

(٢) ابن الحارث الكندي ، ولي القضاء لعمر وتوفي سنة ٥٧٨ هـ .

فقال شريح . أتتوضأً وعليك جيبتك هذه ؟ احسِرْ عن
دراعك . فحسِرَ ، فلم يبلغ كُمُّ جيبته إلى نصفِ الساعدِ ،
وردَّ شهادته .

فَدَعَتْ امرأةٌ روجهما إلى أبي عسرَ القاضي ، وادّعتُ
عاليه مالاً ، فاعترف به فقالت : أيها القاضي خذ بحقي
ولو بحسبه . فتأطّفت لها لثلاث تحبسه ، فأبت إلا ذلك ،
فأمر به ، فاما منى خَطُواتِ صاحِ أبو عمر بالرجل وقال
له : أَلَسْتَ مِسْنُ لا يصبرُ على النساءِ ؟ ففَطِنَ الرَّجُلُ
فقال : بلى أصلح الله القاضي . فقال : خذها معك إلى
الحبس . فلما عرفت الحقيقة ندمت على لجاجتها
وقالت : ما هذا أيها القاضي ؟ قال : لَنَكِ عَالِيه حَقٌّ ،
واه عليك حقٌّ . ووالنكِ عليه لا يُبطل مالهُ عليك .
فعدت إلى السَّلَاسَةِ والرِّضَا .

أخذ عبدُ الملك رجلاً كان يرى رأيَ الخوارج
فقال له : أَلَسْتَ القائلُ :

وَمِنَّا سُوَيْدٌ وَالبطينُ وَقَعَنَسَبُ
وَمِنَّا أميرُ المؤمنينَ شَسِيبُ

فقال : إنما قلت : ومنا أمير المؤمنين وناديتُك ،
فخأسي سبيله .

كان يختلف إلى أبي حنيفة رجلٌ يتَحَمَّلُ بالسترِ
الظاهر ، والسَمَتِ البيِّنِ فقدم رجلٌ غريبٌ وأودعه
مالاً خطيراً ، وخرج حاجاً ، فلما عادَ طالبه بالوديعة
فجَحَدَهُ . فألح الرجلُ عاياه فتبادى ، فكاد صاحبُ
المالِ يَهِيمُ ، ثم استشار ثِقَّةً له فقال له : كُفْ
عنه ، وصِرْ إلى أبي حنيفة ، فدواؤك عنده .
فانطلق إليه وخلا به وأعلمه شأنه ، وشرح له
قصته فقال له أبو حنيفة : لا تُعَلِّمُ بهذا أحداً ، وامضِ
راشداً ، وعدْ إليَّ غداً . فامتا أمسى أبو حنيفة جالساً
كعادته للناس . وجعلَ كما سئل عن شيء تنفَّسَ
الصُّعداءَ . فقيل له في ذلك فقال : إن هؤلاءِ - يعني
السُّلطانَ - قد احتاجوا إلى رجلٍ يبعثونه فاضياً إلى مكان .
وقالوا لي : اخترْ من أحببت . ثم أسبل كُمه وخلا بصاحب
الوديعة ، وقال له : أترغبُ حتى أُسمِّيَّاك . فذهب
يتمتع تحلية . فقال له أبو حنيفة : اسكت فإني أبغُ

لك ما تحبّ . فانصرف الرجل مسروراً يظنُّ الظنونَ
بالجاه العريض ، والحال الحسنة .

وصار ربُّ المال إلى أبي حنيفة فقال : امض إلى
صاحبك ولا تخبره بما بيننا ، ولو حُذِرَ بكري وكتفالك ،
فمضى الرجلُ واقتضاه وقال له : ارددْ علي مالي وإلا
شكوتك إلى أبي حنيفة . فلما سمعَ ذلك وفتاه المال .
وصارَ الرجلُ إلى أبي حنيفة وأعلمه رجوع المال إليه
فقال له : استره عليه .

ولما غدا الرجلُ إلى أبي حنيفة طامعاً في القضاء نظر
إليه أبو حنيفة وقال له : نظرتُ في أمرِكَ فرفعتُ قدركَ
عن القضاء .

أتى وكيعُ بنُ أبي سودٍ (١) إياسَ بن معاوية وهو
قاصٌّ ليشهد عنده بشهادة . فقال : مرحباً بك يا أبا
ميطرف ، ما جاء بك ؟ قال : جئت لأشهد . قال : مالك
وللشهادة . إننا يشهد الموالي والتجار والسُّقاط . قال :

(١) وكيع بن حسان بن أبي سود التميمي ، ولي خراسان بعد تنبئة
ابن مسلم حتى نزعها منه يزيد بن المهلب .

صدقت وانصرف . ففيل له : خدعك ولم يقبل شهادتك
فردك . فقال : لو علمت لغاوته بالتضيب .

كان أبو بردة (١) ولي القضاء بعد الشعبي (٢) بالكوفة .
فكان يحكم بأن رجلاً لو قال ليمانوك لا يملكه : أنت حر .
أنه يعتق ويؤخذ المعتق بتمنه .

قال : فعشق رجل من بني عيس جاريةً بجارٍ له
فجئن بها وجئت به ، فكان يشكو ذلك إليها . فأتيتها
يوماً فقال لها : إلى الله أشكو . قالت : بلى والله إن لك
لحيلةً ، ولكنك عاجزٌ . هذا أبو بردة يقضي في العتق
بما قد عادت . فقال لها : أشهد إنك لصادقةٌ .

ثم قناتمتها إلى مجلس يتجمع فيه قومٌ يعادون فقال :
هذه جاريةٌ آل فلان أشهدكم أنها حرّة . فألقت ما حننتها
على رأسها . وبلغ ذلك موآلها فجاؤوا ففدّتهم إلى أبي
بردة وفتدّموا الرجل فأنفذ عينئقئها ، وأرّم الرجل ثمنها ،
فأما أمر به إلى السجن يخاف إذا مسلكت أمرها أن تصير

(١) أبو بردة بن أبي موسى الأشعري قاضي الكوفة . توفى سنة ١٠٤ هـ

(٢) عامر بن سرحل الشعبي ، عالم زمانه ، ولد لست سنين من

خلافة عثمان وتوفى سنة ١٠٤ هـ

إلى أوّل مَنْ يَطلبها ، وأن تخيّبَ فيما صنع في أمرها .
فقال : أصلح الله القاضي ، لا بدّ من حبسي ؟ قال : نعم
أو تُعطيهمُ منها . قال : وليس مثلي يُحبسُ نبي شيءٍ
يسير . أشهدُكم أنّي قد اعتقتُ كلَّ مملوكٍ لأبي بُردَةَ ،
وكلَّ مملوكٍ لآل أبي موسى ، و كلَّ مملوكٍ للمدحجِ .
فخاضني سبيله ، ورجعَ عن ذلك القضاء فلم يحكم به .

كتب معاوية إلى عمرو بن العاصِ والمغيرة بن
شُعْبَةَ أن يقدما عليه ، فقدم عمرو من مصرَ والمغيرة
من الكوفة فقال عمرو للمغيرة : ما جمعنا إلا ليعزلنا ،
فإذا دخلت عليه فاشك الضعفَ واستأذنه أن تأتي الطائفَ
أو المدينةَ ، فإنني إذا دخلت عليه سألتُه ذلك فإنه يظنُّ
أنا نريد أن نُفسد عليه .

فدخل المغيرة فسأل أن يُخفِيَه ويأذن له . ودخل
عليه عمرو فسأله مثلَ ذلك . فقال له معاوية : قد تواطأتما
على أمر ، وإنكما لتريدان شرّاً . ارجعا إلى عمليكما .
كان الإسكندرُ لا يدخلُ مدينةً إلاّ هدمها وقتلَ
أهلها حتّى مرَّ بمدينةٍ كان فيها مودّبٌ به . فخرج إليه

وَأَلْهَلْفَتَهُ الْإِسْكَندَرُ وَأَعْظَمَتَهُ فَقَالَ لَهُ مَوْدُبُهُ : إِنْ أَحَقَّ
 مِنْ رَبِّينَ رَأَيْكَ وَسَدَّدَهُ وَأَتَى كُلَّ مَا هُوَ لِأَنَا ، وَإِنْ
 أَهْلَ هَذِهِ الْمَدِينَةَ قَدْ طَمَعُوا فِيكَ لِمَكَانِي مِنْكَ فَأَنَا أَحَبُّ
 الْآلَاءِ تَشْفَعُنِي فِيهِمْ . وَأَنْ تَحْلِفَ لِي يَمِينًا أَعْتَدُ بِهَا عِنْدَ
 الْقَوْمِ فَاحْلِفْ لِي عِنْدَهُمْ أَنْكَ لَا تَشْتَفِعُنِي فِي شَيْءٍ أَسْأَلُكَ ،
 وَأَنْ تَخَالَفَنِي فِي كُلِّ مَا سَأَلْتُكَ . فَأَعْطَاهُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا
 يَتَمَدَّرُ عَلَى الرَّجْوِ عَنْهُ فِي دِينِهِ ، فَلَمَّا تَوَثَّقَ مِنْهُ قَالَ :
 فَإِنْ حَاجَتِي أَنْ تَدْخُلَهَا وَتَخْرُجَهَا وَتَقْتُلَ مِنْ فِيهَا .
 قَالَ : مَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ وَلَا بَدَأَ مِنْ مَخَالَفَتِكَ وَقَدْ كُنْتُ
 مَوْدُبِي وَأَنَا إِلَيْكَ الْيَوْمَ أَحْوَجُ . فَلَمْ يَدْخُلْهَا وَضَمَّهُ إِلَيْهِ .

أَصَابَتِ الْمُسْلِمِينَ جَوْلَةٌ (١) بِخُرَّاسَانَ ، فَسَرَّ فِيهِمْ
 شُعْبَةُ بْنُ ظَهْرٍ عَلَى بَغَاةٍ لَهُ فَرَأَاهُ بَعْضُ الرِّجَالِ فَتَمَدَّرَ (٢)
 لَهُ عَلَى جَيْدٍ (٣) حَائِطٍ ، فَلَمَّا حَازَى بِهِ حَالَ فِي عَجْزٍ
 بَغْلَتِهِ . فَقَالَ لَهُ : اتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّهَا لَا تَحْمِلُنِي وَإِيَّاكَ .

(١) الجَوْلَةُ . الفرار . من العدو ثم العودة إلى قتاله .

(٢) تَمَدَّرَ . تَهَيَّأَ .

(٣) الجَيْدُ . الأَصْلُ .

قال : امضِ ، فإنني والله ما أقدرُ أنْ أمشيَ . قال : إنَّكَ تقتلني وتقتل نفسك . قال : امضِ فهو ما أقولُ لك . قال : فصَرَفَ شُعبَةَ وجهِ البَغلةِ قِبَلَ العَدُوِّ . فقال له : أين تريد ؟ قال : أنا أعلمُ أني مقتولٌ ، فَلأن أُقتلُ مُقبِلاً خيراً من أن أُقتلَ مُدْبِراً . فنزل الرَّجُلُ عن بغلته وقال : اذهبْ في حُرْقِ الله .

اشترى شريكُ بنُ عبدِ الله (١) جاريةً من رجلٍ فأصابَ بها عيباً ، فقال للذي اشتراها منه : قد ظهر بها عيبٌ . قال : ما عليك . هي رخيصةٌ ، وإن أحببتَ بيعَها لك بريحٍ . قال : فافعلْ . فدفعَ الجاريةَ إليه وأقامَ أياماً ثم أتاه فقال له : لم أصبْ بها ثمناً أرضاه . فقال له شريكٌ : فخذها وارِدْ عليَّ الثمنَ . فقال له الرَّجُلُ : أبعدَ ما وكَّلتني لأبيعَها ورضيتَ ، تردُّها عليَّ ؟ فقال : صدقتَ ، والله خدعتني .

وأى عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه ابنه عبدَ الله جالساً مع رجلٍ فقال له : يا بني ، احذرْ هذا ، لاتشترينَّ

(١) شريك بن عبد الله النخعي القاضي ، فقيه إمام توفي سنة ١٧٧ هـ .

منه شيئاً ، فإنه يتمبرأ إلى الرجل من العيب ، والرجل لا يفظن لذلك .

قال : فمرَّ عبدُ الله بنُ عمرَ بذلك الرجلِ يوماً ومعه غلامٌ وَصِيٌّ . فقال له : تبيعه ؟ قال : نعم . قال : بكم ؟ قال : بكذا . قال له : هل به عيبٌ . قال : ما علمت أن به عيباً إلا أننا ربما أرسلناه في الحاجة فيبطلئ فلا يأتينا حتى نبعث في طلبه . فقال عبد الله : وما هذا ؟ فاشتراه منه .

فلما صار إليه أرسلاه في حاجة فهرب ، فطلبه أياماً حتى وجده ، فأتى صاحبه ليرده عليه بالإيق ، فقال له : ألم أخبرك أننا ربما أرسلناه في الحاجة فلا يرجع حتى نرسل في طلبه ؟ فعلم أنه قد خدعه .

قيل لأعرابي : أتشرب قديحاً من لبّين حازرٍ (١) ولا تنحنح ؟ قال : نعم . فأخذه في حلقة مثل الزجاج ، فقال : كبّش أمّاح . فقيل له : إنك تنحنحت . فقال : من تنحنح فلا أفلح . ومدّ صوته ففضى وطره .

(١) الحازر . الحامض .

قال عبّيد الله بن زياد بن ظبيان (١) : إياكم والطمع فإنه يردي . والله لقد هممت أن أفتيك بالحجاج ، فإني لواقفٌ على بابه بديسرِ الجسماجيم (٢) ، إذا بالحجاج قد خرج على دابة ، ليس معه غيرُ غلام ، فأجمعتُ على قتله فكأنه عرّف ما في نفسي فقال : ألقيت ابنَ أبي مسلم ؟ قلت : لا . قال فالقته ، فإن عهدك معه على الري . قال : فطمعتُ وكففتُ فأثيتُ يزيدَ بنَ أبي مسام فسألتُهُ فقال : ما أمرني بشيء .

وقال عمرو بن يزيد الأسدي : خفينا أيام الحجاج ، وجعلنا نودّع متاعنا ، وعلم جارُّ لنا ، فخشيتُ أن يُظهِرَ أمرنا ، فعمدتُ إلى سقط فجمعتُ فيه لبننا ودفعته إليه ، فمكثَ عنده حتى أمِنّا . فطلبتُ منه ، فقال لي : أما وجدت أحدا تودعه لبناً غيري .

توجه عمرو بن العاص حث فتح قيسارية (٣) إلى

(١) أحد فتاك العرب ، ومن خطبائهم وهو الذي حمل رأس مصعب ابن الزبير إلى عبد الملك .

(٢) دير بظاهر الكوفة على بعد سبعة فراسخ منها .

(٣) هناك مدينتان بهذا الاسم في فلسطين والروم والمراد هنا التي

من أعمال فلسطين .

مصر وبعث إلى عائجها (١) فأرسل إليه : أن أرسل إليّ رجلاً من أصحابك أكلمه . فنظروا فقال عمرو : ما أرى لهذا أحداً غيري . فخرج ودخل على العليج ، فكلمه فسمع كلاماً لم يسمع مثله قط ، فقال : حدثني . هل في أصحابك مثلك ؟ قال : لا تسل عن هواري عليهم ، إلا أنهم بعثوني إليك وعرضوني للمعرضوني لا يدرون ما تصنع بي . فأمر له به جائزة وكسوة وبعث إلى البواب : إذا مرّ بك فاصرب عنقه ، وخذ ما معه .

فخرج من عنده ، فمرّ برجلٍ من نصارى العرب من غسانٍ فعرفه فقال : يا عمرو ، إنك قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج . فرجع فقال له الملك : ما ردك ؟ قال : نظرت فيما أعطيتني فلم أجده يسع بني عمي ، فأردت أن أجيتك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطيّة ، وتكسوهم هذه الكسوة ، فيكون معروفك عند عشرة خيراً من أن يكون عند واحد . قال : صدقت . فاعجل بهم . وبعث إلى البواب أن خلّ سبيلهم ، فخرج عمرو

(١) العليج : الرجل من كفار العمم .

وهو يلتفتُ حتى إذا أمِنَ قال : لا أعود لثأرها أبدا .
فما فارقها عمرر حتى صالحه ، فلما أتيت بالعلاج قال :
أنت هو ؟ قال عمرو : نعم على ما كان من غدرِكَ .

قُدِّمَ هُدْبَةُ بْنُ الْحَشْرَمِ (١) لِيُقَادَ بَابِنِ عَمَتِهِ
زِيَادَةَ ، وَأَخَذَ ابْنُ زِيَادَةَ السَّيْفَ وَقَدْ ضَوْعِفَتْ
لَهُ الدِّيَّةُ حَتَّى بَلَغَتْ مِثْلَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَخَافَتْ أُمُّ الْغُلَامِ
أَنْ يَقْبَلَ ابْنُهَا الدِّيَّةَ وَلَا يَقْتُلَهُ فَقَالَتْ : أُعْطِيَ اللَّهُ
عَهْدًا لَنْ لَمْ يَقْتُلْهُ لِأَنْزَوْجِنَهُ فَيَكُونُ قَدْ قَتَلَ أَبَاكَ وَنَكَحَ
أُمَّكَ . فَقَتَلَهُ .

وَحَدَّثَ الْمَدَائِنِيُّ أَنَّ قَوْمًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أُسْرُوا قَوْمًا مِنَ
الرُّومِ وَكَانَ فِيهِمْ فَتَيَانِ لِنُحْوَةِ فَضْرَبُوا أَعْنَاقَهُمْ ،
وَأَخَذُوا أُمَّهُمْ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهَا ، فَأَحْبَبَتْ أَنْ تُقْتَلَ
وَلَا تَبْقَى بَعْدَ وِلْدَانِهَا ، فَقَالَتْ لِلنَّذِيِّ صَارَتْ لِيْلِيهِ :
إِنْ عَلِمْتُمْ شَيْئًا تَتَّخِذُهُ فَلَا يَحِيكَ فِيكَ السَّلَاحُ ،
تُخَلِّي سَبِيلِي ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَأَخَذَتْ أَشْيَاءَ سَتَرَتْهَا عَنْهُ
فَطَلَّتْ بِهَا رَقَبَتَهَا وَقَالَتْ : دُونَكَ اضْرَبْ وَشُدِّ ،

(١) هدبة بن الحشرم بن كرز شاعر فصيح من بادية الحجاز ، كان

راويها للمطيشة .

فإن السيف لا يعمل في . فضرب رقبتها فحز رأسها
فعلم أنها خدعته .

لما بلغ يزيدُ ومروانُ ابنا عبدِ الملك لعاتكة بنتِ
يزيد بن معاوية (١) قال لها عبد الملك : قد صار ابنك
رجلين ، فلو جعلت لهما من مالك ما يكون لهما به
فضيلة على إختوتهما . قالت : اجتمع لي أهل معدلة
من موالي ومواليك . فجمعهم وبعث معهم روح بن
زنباع الجندامي - وكان يدخل على نسائهم - فدخل
كهولتهم وجلسهم وقال له : أخبرها برضائي عنها ،
وحسن لها ما صنعت . فلمّا دخلوا عليها أخذ روح
في ذلك فقالت : يا روح ، أتاني أخشى على ابني
عيلة وهما ابنا أمير المؤمنين ، أشهدكم أني قد تصدقت
بمالي وضياعي على فقراء آل أبي سفيان . فقام روح ومن
معه . فلمّا نظر إليه عبد الملك مقبلاً قال : أشهد
بالله لقد أقبلت بغير الوجه الذي أدبرت به . قال : أجل .
تركت معاوية في الإيوان آنفاً . وخبره بما كان . فغضب .

(١) عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، أم يزيد بن عبد الملك توميت

حوالي سنة ١٢٠ هـ .

فقال : مَهْ يا أمير المؤمنين ، هذا العقلُ منها في ابنك
خير لهما ممَّا أَرَدْتِ .

قال المدائني : أنيَ عليُّ عليه السلام برجل ذي
مروءة قد وجبَ عليه حدٌّ . فقال لخصمائه : ألكم شهود؟
قالوا : نعم . قال : فأتوني بهم إذا أمسيتم ولا تأتوني بهم
إلاَّ مُعْتَمِنِينَ . فلما أمسوا اجتمعوا فأثوه ، فقال لهم
علي عليه السلام : نشدتُ الله رجلاً لله عندَه مثلُ هذا
الحدِّ إلاَّ انصرفَ قال : فما بقي أحدٌ فدرأَ الحدَّ .

عرض شُرَيْحٌ ناقةً لابييع ، فقال له المشتري :
كيف غزارتها؟ قال : احلبُ في أيِّ إناءٍ شئتَ . قال :
فكيف وثاقتها؟ قال : احملُ على الحائِطِ ما شئتَ . قال :
فكيف وطاؤها؟ قال : افرشُ ونمُ . قال : كيف
نجاؤها (١) قال : هل رأيتَ البرقَ قَطُّ؟

قال بعضهم : ركضَ رجلٌ دابَّةً وهو يقول :
الطريقَ ، الطريقَ . فصدمَ رجلاً لم يُنحَ ، فاستعدى
عليه فتحارسَ الرجلُ فقال العاملُ : هذا أحرصُ .

(١) النجاء : السرعة والسبق .

قال : أصلحك الله . يتخارسُ عمداً ، والله ما زال
يقول : الطَّريقَ . الطَّريقَ . فقال الرجلُ : فما تريدُ
وقد قلت لك الطَّريقَ ؟ قال العاملُ : صدقَ .

قال : كانت ابنةُ عبدِ الله بنِ معروفٍ عند أبي
حرثان فماتَ ، ولم يصل إليها لِقوتها . فتزوجها أبو
دُلَيْفٍ (١) . فكانت تمنعه سنة لا يصلُ إليها . فقال له
مَعْقِلٌ "أخوه : ما أنت برجل . وقد عجزت عن امرأة .
فقال : أحبُّ أن تبعثَ جاريتك فلانة تكلمَها . فبعث
بها وأمر أبو دُلَيْفٍ امرأته أن تلوي العمودَ في عنقِ
الجارية إذا أتتها وتركتها . ففعلت فرجعت إلى مَعْقِلِ
فقال : أشهدُ أن أخي معذورٌ . فما قدر عليها أبو دلفٍ
حتى احتالَ عليها . بأن قال لها يوماً : ما أظنك ببكرٍ .
فأمكنتُ من نفسها .

كان بالكوفة لعبد الملك بن رامير مولى بشر بن
مروان (٢) جارية يقال لها : سلامةُ الزرقاء . وكان

(١) أبو دلف بن عيسى العجلي ، أمير شاعر ممدح ، توفي سنة ٥٢٥ هـ .

(٢) بشر بن مروان أخو عبد الملك ، ولي العراقين بعد مصعب .

روحُ بنِ حاتمِ المهلبِي (١) يهواها ولا تهواه ، ويكثر
غشيانَ منزلِ مولاها . وكان محمدُ بنِ جَمِيل (٢)
يهواها وتهواه . فقال لها : إن روحُ بنِ حاتمٍ قد تُقْبَلُ
علينا . قالت : فما أصنعُ ؟ قد غمّرَ مولايَ ببرّه .
قال : احتالي .

فبات عندهم روحٌ ليلةً من الليالي فأخذت سراويله
فغسلته . فلما أصبحَ سأل عن سراويله . فقالت : غسلناه .
فظنَّ أنه قد أحدثتَ فيه فاحتيجَ إلى غسله ، واستحيا
من ذلك . وانقطع عنها . وخلا وجهها لابن جميل .

لما استخلف سليمانُ بن عبد الملك دفع عُمّالَ أخيه
الوليدِ إلى يزيدِ بن المهلبِ وأمره ببسط العذاب عليهم ،
واستخراج المال منهم . وكان فيهم رجلٌ من بني مرة ،
فقال ليزيد : أمّا أنا فلست بذي مال ، ولا تنتفعُ بتعديبي
ولكن عشيرتي تتفكّني بأموالهم ، فأذن لي أن أجولَ
فيهم . فأذن له فقال لهم : إنّ أمير المؤمنين قد أخذني

(١) روح بن حاتم بن قبيصة المهلبِي ، تولى على السند الخلفاء العباسيين ،
وعزله الرشيد توفي سنة ١٧٠ هـ .

(٢) محمد بن جميل كان أحد المقربين للمنصور .

بمال . والمالُ عندي . ولكن أكره أن أقرَّ بالحياة .
فاضمنوا له هذا المالَ عنِّي وأطلقوني من حبسه . ولا
غرِّمَ عليكم فإني مضطلع بأداء هذا المال .

فنهض وجوهُ عشيرته في أمره ، وضمنوا المال عنه
وأطلقوه . فلما أخذوا بالمال قالوا للرجل : أدِّ المال كما
زعمت . فقال : يا نوكي (١) . أتظنون أنني اختنت مالا
تعرضتُ فيه للمأثم ، وسُخِطَ الخليفة وعقوبته ، وأؤديه
اليومَ طائعا ، وقد صيرتُ ما أطلبُ به في أعناقكم .
إيسَ ما ظننتم ، إغرموه من أعطياتكم وأنا فيه كأحدكم
ففعلوا ذلك وهو كأحدهم .

هَمَّ الأزارقة (٢) بقتل رجل فنزع ثوبه واتزرَّ
ولبَّسَ وأظهرَ الإحرامَ فخلَّوا سبيلَه لقول الله جلَّ وعزَّ
« لا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ » (٢) .

غضب المأمونُ على رجل وقال : لأقتلنَّك ولأخذنَّ

(١) النوكي : الحق .

(٢) الأزارقة : فرقة من الخوارج .

(٣) سورة المائدة : ٢ .

مالك . اقبلوه . فقال أحمدُ بنُ أبي دؤاد(١) : إذا قتلته
فمن أين تأخذ المال ؟ قال : من ورثته . فقال : إذا
تأخذ مال الورثة . المالُ للورثة . وأمير المؤمنين يأبى
ذلك . فقال : يؤخرُ حتى يُستصفي ماله . فانقرض
المجلسُ وسكنَ غضبه وتوصلَ إلى خلاصه .

جاءت امرأةٌ إلى أبي حنيفة فقالت : إنَّ زوجي
حلف بطلاقي أن أطبخَ قِيدراً أطرحُ فيها مكثوكا(٢) من
الملح فلا يتبين طعم الملح فيما يؤكل منها . فقال لها :
خذي قِيدراً واجعلي فيها الماء واطرحي فيها مكوك ملح ،
واطرحي فيها بيضاً واسلقيه ، فإنه لا يُوجد طعم الملح
في البيض .

افتعلَ رجلٌ كتاباً عن المأمونَ إلى محمد بن الجهم
في دفع مال إليه ، فارتابَ به محمد ، وأدخله على المأمون .
فقال المأمونُ : ما أذكركُ هذا . فقال الرجلُ : أكلتُ

(١) أحمد بن أبي دؤاد قاضي القضاة للمعتصم ، كان مذهبه الاعتزال ،
وكان جواداً فصيحاً مدحاً توفي سنة ٢٤٠ هـ .
(٢) المكوك . مكيال يسع صاعاً ونصفاً .

منعروفك تذكر يا أمير المؤمنين ؟ قال : فاجعل هذا
مما نسيت وقد فعلت . قال : ادفع إليه يا محمد ما في
الكتاب .

كان حوثة الضمري صديقاً لعبد الملك وخرج مع
ابن الزبير فلماً قُتل ابنُ الزبير استاء من الناس وأحضر
حوثه فقال له عبد الملك : كنت مني بحيث علمت
فأعنت ابنَ الزبير . قال : يا أمير المؤمنين ، هل رأيتني
قطاً في حرب أو سباق أو نضال إلاّ والثمة مغلوبة
بحرقي ، وإنما خرجت مع ابن الزبير لتعلمه بي على رسمي .
فضحك عبد الملك وقال : قد والله كذبت ولكني قد
عرفت عنك .

قالت خيرة بنت ضمرة التميمية امرأة المهلب للمهلب :
إذا انصرفت من الجمعة فأحب أن تمرّ بأهلي . فقال لها :
إن أخاك أحقق . قالت : فأحب أن تمرّ بنا . فعجاء
وأخوها جالس فلم يوسّع له فجلس المهلب ناحية
ثم أقبل عليه فقال : ما فعل ابن عمك فلان ؟ قال :
حاضر : قال : أرسل إليه . ففعل فلماً نظر إلى المهلب
غير مرفوع المجلس . قال : يا ابن الآخفاء ، المهلب

جالسٌ ناحية ، وأنتَ في صدرِ المجلسِ وواثبه . فتركهُ
المهلبُ وانصرفَ فقالت له خيرةٌ : أمّرت بأهلي ؟
قال : نعم وتركْتُ أخاكِ الأحمقَ يُضربُ .

قالوا : إنَّ الحجّاجَ بنَ يوسفَ قال ذاتَ يومٍ لمحمّدِ
ابنِ عميرِ بنِ عطارد (١) : اطلبْ لي امرأةً حسيبةً
أتزوّجها : قال : طلبتُها إن زوّجتها . قال : ومن هذا
هذا الذي يمتنع من تزويجي ؟ قال : أسماءُ بنُ خارجة (٢) .
يدّعي أنَّه لا كفءَ لبناته إلاّ الخليفةُ .

قال : فأضمرها الحجّاجَ إلى أن دخلَ إليه أسماءُ
فقال : ما هذا الفخرُ والتّطاولُ ؟ قال : أيّها الأمير ؛
إنّ تحتَ هذا سبباً . قال : بلغني أنّك تزعمُ أن لا كفءَ
لبناتِكَ إلاّ الخليفةُ . فقال : والله ما الخليفةُ بأحبَّ
أكفائهنَّ إليّ ، ولستُظرأني من العشيرةِ أحبَّ إليّ منه ،
من خالطني منهمُ حفِظني في حرمتي ، وإن لم يحفظني

(١) محمد بن عمير بن عطارد ، كان سيد أهل الكوفة .

(٢) أسماء بن خارجة بن حذيفة ، من أشراف العرب ، توفي

سنة ٥٦٦ .

تهدرت على أن أنتصفت منه والخليفة لا تصف إلا
بمشيئته . وحرمته مصيبة مطرحة يقدم عاينها من ليس
مثليها . ولسانُ ناصرها أقطع . قال : فما تقول في الأمير ؟ .
فإنَّ الأميرَ خاطيفٌ هندياً . قال : قد روجتُه إياها بصداقِ
نساءها . وحوَّلَها إليه .

فلما أتى على الخديت حولان دخل إلى الحجاج فقال :
هل أتى الأمير ولدٌ . نُسِرُّ ونَحْمَدُ الله على هبته .
قال : أما من هند فلا . قال : ولد الأمير من هند وغير
هند عنادي بمنزلة . فقال : والله إني لأحبُّ ذلك من هند .
قال : فما يمنع الأمير من الضرِّ (١) ، فإنَّ الأرحامَ
تتغايير . قال : أو تقول هذا القول وعندي دندٌ قال :
أحبُّ أن يفتشوا نَسْلُ الأمير . قال : فمِمَّنْ ؟ قال على
الأمير بهذا الحَيِّ من تميم ، فنسأؤهم مناجيب . قال :
فأَيُّهنَّ ؟ قال : ابنتُ محمد بن عمير . قال : إنه يزعم
أن لا فارغة له . قال : فدما فعاتُ فلانة ابنته ؟

فلما دخل إليه محمد بن عمير قال : ألا تزوج الأمير ؟
قال : لا فارغة لي : قال : فأين فلانة ؟ قال : روجتُها

(١) الضر : اتخاذ الصرء .

من ابنِ أنحى البارحة . قال : أحضر ابنَ أخيك ؛ فإن أقرَّ بها ضربتُ عنقه . فجيءُ بابنِ أخيه ، وقد أبلغ ما قال الحجاجُ . فلما مشلُ بين يديه قال : باركَ اللهُ لك يا فى . قال : في ماذا ؟ قال : في مصاهرتك لعمِّك البارحة . قال : ما صاهرته البارحة ولا قبَّلتها . قال : فانصرف راشداً . ولم ينصرفْ محمدٌ حتى زوجه ابنته .

وحضر بعد ذلك يوماً من الأيام . عنة من الأشرافِ بابَ الحجاجِ فحجج الجميعَ غير أسماءَ ومحمدٍ . فلما دخلوا قال : مرحباً بصهري الأميرِ سلاني ما تريدان أسعِفكما فلم يُبقيا عانياً إلا ألقاه . ولا مُجَمَّراً (١) إلا أقتلاه (٢)

فلما خرجا أتبعهما الحجاجُ بمن يحفظُ كلامهما . فلما فارقا الدار ضرب أسماءُ يده على كتفِ محمدٍ وأنشأ يقول :

(١) تجمير الجند : إبقاؤهم في الثغور . والعاني : الأسير .

(٢) أقتلاه : أرحماه .

جزيتك ما أسديتَه يابنَ حاجب
وفاءً كعرفِ الديكِ أوقئدَةَ (١) النسر

في أبيات كثيرة . فعاد الرجل فأنخبر الحجاج فقال :
لله درّ ابنِ خارجة ! إذا وُزن بالرجال رجحَ .

أُتي زيادُ برجلٍ فأمر بضرب عنقه . فقال : أيّها
الأميرُ ؛ إن لي بك حرمةً قال : وما هي ؟ قال : كان
أبي جارك بالبصرة . فقال : ومن أبوك ؟ قال : قد والله
نسيتُ اسمَ نفسي ، فكيف اسمَ أبي ؟ قال : فردّ زيادُ
كُسمه إلى فمه وضحك ونحلتى سبيلته .

مرّ زيادُ بأبي العُريان (٢) فقال : من هذا ؟ فقالوا
زياد بن أبي سفيان . فقال : ربّ أمرٍ قد نقضه الله ،
وعبدٍ قد ردّه الله . فسمعها زيادُ فكره الإقدامَ عليه
وكتب بها إلى معاويةَ ، فأمره بأن يبعث إليه بألف دينار ،
ويمرّ به ويسمع ما يقول . ففعل زياد ذلك ، ومرّ به
فقال من هذا ؟ قالوا : زياد . فقال رحم الله أبا سفيان ،
لكأنتها تسليمتُه ونغمتُه . فكتب بها رِياد إلى معاوية
فكتب إلى أبي العريان :

(١) قذّة النسر : مقطع ريشه .

(٢) أبو العريان . شاعر .

مَا لَبِثْتُمْكَ دَنَائِرٌ رُشِيَتَ بِهَا
أَنْ لَوْنَتْكُمْ - أبا العُريَانِ - أَلْوَانَا

فَدَعَا أَبُو الْعُرْيَانِ ابْنَهُ وَأَمْسَى عَلَيْهِ إِلَى مَعَاوِيَةَ :

مَنْ يُسَدُّ خَيْرًا يَجِدُهُ حَيْثُ يَطْلُبُهُ
أَوْ يُسَدُّ شَرًّا يَجِدُهُ حَيْثَمَا كَانَ

تَقَدَّمَ رَجُلٌ إِلَى سَوَّارٍ ، وَكَانَ سَوَّارٌ لَهُ مِبْغَضَا
فَأَلْحَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ سَوَّارٌ فِي بَعْضِ مَخَاطِبَتِهِ : يَا بَنَ اللَّمَّخَاءِ (١) .
فَقَالَ : ذَاكَ نَحْصَمِي . فَقَالَ الْخَصْمُ : أَعْدُنِي عَلَيْهِ .
فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : خُذْهُ لَهُ بِحَقِّهِ وَخُذْ لِي بِحَقِّي . فَفَهِم .
وَسَأَلَهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ .

قَالُوا : لِمَا حُبِسَ الْحَلَّاجُ (٢) عِنْدَ الْقَشُورِيِّ ،
مَرَضَ ابْنٌ لَهُ ، وَاشْتَهَى التَّفَاحَ الشَّامِيَّ ، وَكَانَ لَا
يَصَابُ لِفَوْتِ أَوَانِهِ ، فَتَلَطَّفَ الْحَلَّاجُ وَاحْتَالَ حَتَّى
سَأَلَهُ الْقَشُورِيَّ تَفَاحًا شَامِيَّةً . فَقَصِدَ بِهَا لِيَعْرِفَ أَمْرَ
الْحَلَّاجِ فِي صِدْقِهِ وَكُذْبِهِ ، وَأَرَادَ أَيْضًا بَلُوغَ مَرَادِهِ فِي

(١) اللخاء : المتننة الرائحة .

(٢) المنصور بن الحسين الحلاج ، كان يقول بتناسخ الأرواح
والحلول ، وقيل أنه ادعى الألوهية ، وافتتن به كثير من الناس ، صلب
ثم قتل سنة ٥٣٠٩ هـ . وأحرقت جثته .

ولده . وكان الحلاجُ قد أعدَّ تفاحةً لذلك فحين سألَه
أولمّا بيده هكذا وأعادها بتفاحةٍ . وتناولها القشوري
يفلتبها ويتعجبُ منها والحلاج يقول : الساعةَ قطعْتُها
من شجرِ الحسنةِ . قال القشوريُّ : إني أرى في موضع
منها عذباً . فالحلاج غيرَ مُطْرِقٍ ولا مُكْثَرِثٍ : أما
علمتَ أنها إذا خرجتُ من دارِ البقاءِ إلى دارِ الفناءِ ،
لحقها جزءٌ من البلاءِ . فكان جوابُه أحسنَ من فعله
وحيلته .

أُتِيَ مصعبُ بنِ الزُّبيرِ برجلٍ من أصحابِ
المُختارِ (١) . فأمرَ بضربِ عنقه . فقال : أيُّها الأميرُ ،
ما أقبِحَ بكَ أن أقومَ يومَ القيامةِ إلى صورتك هذه الحسنةِ ،
ووجهيك هذا الذي بُسِّتَ ضياءُ به . فأتعاقبَ بأضرافك
وأقول : ياربُّ . سلِّ مُصعباً لماذا قتاني ؟ فقال : أطلقوه
فقال : أيها الأميرُ ، اجعل ما وهبتَ لي من حياتي في
خِصْفِ عيشٍ . قال : أعطوه مئة ألفِ درهمٍ .

* * *

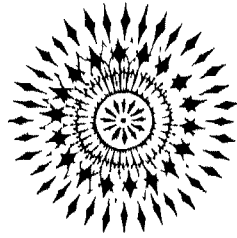
(١) هو المختار بن أبي سيد الثقفى ، من زعماء الثائرين على بني
أمية قُتِلَ مصعب وهو أمير البصرة عام ٥٦٧ هـ .

فهارس السفر الثاني من نشر الدر

الصفحة	الموضوع
٥	الباب الأول
٧	كلام معاوية بن أبي سفيان وولده
٢٠	يزيد بن معاوية وولده
٢٩	الباب الثاني
٣١	كلام مروان بن الحكم وولده في الخلفاء
٣٣	عبد الملك بن مروان
٣٨	الوليد بن عبد الملك
٤٠	سليمان بن عبد الملك
٤٣	يزيد بن عبد الملك
٤٤	هشام بن عبد الملك
٤٥	الوليد بن يزيد
٤٧	يزيد بن الوليد بن عبد الملك
٥٠	مسلمة
٥٢	مروان بن محمد
٥٧	الباب الثالث
٥٩	كلام الخلفاء من بني هاشم / السفاح

الصفحة	الموضوع
٦١	المنصور
٦٧	المهدي
٧١	المغادي
٧٢	الرشيد
٨٠	الأمين
٨٣	المأمون
٩٣	المتصم
٩٧	الواثق
١٠٢	المتوكل
١٠٤	المنتصر
١٠٥	المستعين
١٠٦	المعتز
١٠٧	المهتدي
١٠٨	المعتصم
١٠٩	المعتضد
١١١	المكتفي
١١٢	المقتدر
١١٣	الراضي
١١٣	إبراهيم بن المهدي
١١٦	عبد الله بن المعتز

١٢١	الباب الرابع
١٢٣	كلام جماعة من بني أمية
١٣١	الباب الخامس
١٣٣	نكت لآل الزبير
١٤٥	الباب السادس
١٤٧	نوادير أبي العيناء ومخاطماته
١٥٨	من رسائل أبي العيناء وكلامه المستحسن
١٦٧	الباب السابع
١٦٩	نوادير مزبد
١٧٥	الباب الثامن
١٧٧	نوادير أبي الحارث جمين
١٨١	الباب التاسع
١٨٣	نوادير الجماز
١٨٧	الباب العاشر
١٨٩	نوادير المجانين
١٩٧	الباب الحادي عشر
١٩٩	نوادير البخلاء
٢١١	الباب الثاني عشر
٢١٣	كلام الشطار ومن يجري محراهم ونواديرهم
٢١٩	الباب الثالث عشر
٢٢١	العبي ومكاتبات الحمقى



طبع في مطابع وراثة النفاذ

دمشق ١٩٩٧

في الاقطار المرسية ما يعادل

٣٥ ل م

سجل المحرر داخل القطر

١٧٥ ل م